

الجزء الاول
حصريا لشبكة روايتي الثقافية
رفقاً بقلبي
كاردينيا73
رفقاً بقلبي يا حاكم قلبي
هل لقلبكَ من سبيل ؟!!
تعشق اخرى ! الذنب ذنبي
هل عشقتُ المستحيل؟!!

المقدمة

بعد الألم .. الخدر !!

خرجت مرام للشرفة ... اجمل جزء في غرفة صديقتها منى هو هذه الشرفة ... تطل مباشرة على حديقة البيت التي تعتني بها والدتها بنفسها .. ارتكزت مرام على حافة السور الابيض و .... نفس عميق .... ابتسمت وهي تستعذب عطر زهرة الجاردينيا الذي تسلل اليها محمولا بالنسمات الناعمة التي داعبت وجنتيها البيضاوتين....فجأة اجفلت من صوت علا لتدرك انه قادم من الاسفل ... اسفل الشرفة تماما ...

تبينت همهمات والدة منى وهي تحاول تهدئة احدهم وفي الغالب رجل .... كان صوته غاضبا وهو يحاول كتم نبراته ... للحظة تصورت مرام والدّي منى يتشاحنان فشعرت بالحرج واوشكت ان تتراجع بهدوء لتغادر الشرفة عندما علا صوت الرجل لتدرك انه ليس والد منى ... قال الرجل بحرقة " لااستطيع ان انسى ... لااستطيع .... انها تسكنني .. تسكن قلبي ... انها توأم الروح يا نجاة .. كلما اقول تجاوزت الامر اعود فاتعثر برؤيتها في طريق ما لتتجدد الآمي وكأنها أدمت قلبي بالامس فقط وليس منذ عام كامل ... " خطوات نزقة قدّرت مرام انها للرجل بينما الاصوات تزداد وضوحا لاذنيها وقد شعرت بتحرك الاثنين من تحت الشرفة ليتوسطا الحديقة ... تراجعت مرام قليلا

لتلصق ظهرها بالحائط المجاور حتى لايرياها وقد تغلب على حرجها فضول المراهقات لتعرف من هذا الرجل الذي يشكو غرامه المفقود هكذا ... رفعت رأسها قليلا في محاولة فاشلة لتنظر اليه دون ان يتنبه اليها احدهما لكن لم تستطع ولم تجازف اكثر لتكشف نفسها .. سمعت صوت ام منى وهي تقول بتعاطف " احمد لاتفعل بنفسك هذا ... ارضى بالنصيب يا اخي .. شهد الان على ذمة رجل آخر .." كانت مرام تجمع الخيوط في رأسها عندما ضاعت افكارها مع صوته المتهدج وهو يقول بصوت ينضح بالالم " انها ... حامل يا نجاة ... حامل منه ... هذا الطفل كان يجب ان يكون طفلي انا ..يا الهي ما هذا العذاب ؟!!!" شهقت مرام وهي تشعر بيد تربت على كتفها لكنها تصرفت سريعا لتكتم باقي شهقتها بيدها وهي تنظر لصديقتها منى بحنق ثم همست " لقد افزعتني !!" ابتسمت منى بمشاكسة وقالت همسا ايضا " تستحقين لانك استغليت غيابي في الحمام وتتنصتين على حديث امي وخالي .." احمرت مرام قليلا فضحكت منى بخفة ثم مدت يدها لتسحب صديقتها للداخل ...

قالت منى وهو ترفع يدها لتوقف سيل الكلمات من فم صديقتها الفضولية " سأخبرك بالقصة فقط توقفي عن اطلاق الكلمات بلا توقف وكأنها زخات مطر غاضبة.." ... جلست الفتاتان على السرير وابتدأت منى الكلام " خالي احمد في الثامنة والعشرين الان قبل خمس سنوات عشق فتاة اسمها شهد تقاربه في السن وهي بدورها احبته

بجنون ... حاول خطبتها اكثر من مرة لكن اخاها كان يرفض بشدة مصرا ان شهد لن تتزوج الا بابن خالتها ... " قالت مرام على عجالى " وماذا عن والديها ؟!" تنهدت منى وهي تسرح بنظراتها وتقول " والدها متوفي لذلك اخوها هو المسيطر في البيت اما والدتها فهي كانت تؤيد ابنها .." صمتت مرام ببؤس وهي تشعر بالحنق فاضافت منى " مضت سنوات في هذا الصراع وحدثت مشاكل كثيرة انتهت باستسلام شهد لرغبة اخيها وامها وزواجها من ابن خالتها العام الماضي .." ابتأست مرام اكثر وهي تتذكر الكلمات الحارقة التي صدرت من خال منى قبل قليل فقالت بتعاطف " المسكين .. مؤكد تألم بشدة .." ردت منى " نعم ... لقد جن جنونه !! اذكر جيدا ما حدث ... اوشك ان يذهب للعرس ليخربه لولا تدخل ابي ومنعه اياه بالقوة .. كانت امي تبكي بلا توقف وهي تشهد انهيار اخيها الصغير والذي تحبه كأنه ابنها وليس اخوها فقد ربته طفلا بعمر اشهر بعد وفاة والديها في حادث ..." قالت مرام بتاثر كبير " انه مسكين ... يبدو انه رآها اليوم ولاحظ حملها .." ردت منى باحباط " هذه ليست اول مرة يراها بعد زواجها وفي كل مرة ينتكس ويأتي لامي بهذه الحالة !!فيظل هنا لبضعة ايام حتى يستعيد توازنه فيعود بعدها لبيته .." سألت مرام ببعض الدهشة " كنت سأسالك الان لماذا لم اره سابقا هنا في بيتكم تصورت انه يعيش معكم بما ان امك هي من ربّته " قالت منى " منذ ان قرر الزواج من شهد وبدأ يقيم في بيت جديّ

رحمهما الله آملا انه سيجمعه يوما بالفتاة التي يحب .." تنهدت مرام وهي تقول باحباط " الحب سلاح ذو حدين قد يسعدنا وقد يشقينا .." ابتسمت منى وهي تقول " لاتكوني فيلسوفة ... الامر ابسط من ذلك ... هو احب فتاة ولم تكن من نصيبه وعليه ان يتجاوز الامر ويجد فتاة اخرى يرتبط بها .." قالت مرام بلوم " انت حقا بلا مشاعر !! انه يحبها بصدق ولذلك لايستطيع نسيانها بسهولة .." ردت منى بهدوء " انا لست بلا مشاعر ... انا احاول ان اكون عملية ، لااحب ان ارى نفسي ضعيفة .. بصراحة.. رؤية خالي ضعيفا هكذا تجعلني اكره الحب واهابه !! " اصرّت مرام قائلة بانفعال وتأثر " ولكن هذا ليس ضعفا !! ان خالك يتألم يا منى.. من حقه ان يشعر بالألم هكذا بعد ان خذلته حبيبته.. انه يحتاج لمزيد من الوقت لكي ينساها .." تنهدت منى ورددت " ربما ما تقولين هو الصحيح ... من يعلم ان كنا سنعاني مثله في الحب .." ردت مرام وهي تستلقي على سرير صديقتها " اجل من يعلم ... ما زلنا في الثامنة عشرة ولم نجرب الامر يوما ... ترى هل سيكون مؤلما ؟!!" استلقت منى بجانبها وسرحت هي الاخرى بخيالها الذي لايتعدى ابن الجيران الخجول !!

بعد ساعتين ....

نزلت مرام درجات السلم مع صديقتها منى .. كانتا في منتصفه عندما تذكرت مرام انها نسيت هاتفها في الغرفة فقالت لها منى وهي تكمل نزول

السلم " احضري هاتفك والحقي بي الى الحديقة عبر باب المطبخ .." هزّت مرام رأسها بنعم وذهبت راكضة لتحضر هاتفها ثم عادت ركضا ايضا وهي تنزل السلم... لم تشعر الا بارتطامها بجسد عضلي طويل ليتمازج تأوهها مع تأوه رجولي .. اوشكت ان تفقد توازنها وتقع عندما احاطتها ذراعين لتسندانها .. لهثت خجلا وهي ترفع راسها له على همهمات اعتذار صدرت عنه .. كانت على وشك الاعتذار هي الاخرى عندما تسمرت الكلمات على شفتيها كما تسمرت نظراتها على وجهه الوسيم .. عيناه من اجمل ما رأت ... هل هي خضراء زرقاء ..؟؟ ام ربما عسلية ؟!! اتسعت عيناها في صدمة وعقلها يحاول استيعاب وسامته الصاااااعقة ...

الفصل الاول

قارئة الفنجان

بعد خمس سنوات ...

اغلقت مرام باب سيارتها على عجل بعد ان علقت حقيبتها على كتفها وحملت محاضراتها وكتبها ... اضطرت لركن سيارتها بعيدا عن بوابة الجامعة لعدم وجود مكان شاغر قريب مما سيضطرها لاضاعة المزيد من الوقت وهي تهرول عبر الشارع لتلحق بمحاضرتها الاولى ... تأففت بأحباط وهي تحاول عبور الشارع ولا يسمح لها احد !! قالت بضيق " ما بهم اليوم ؟!!؟ الاستاذ طارق سيمنعني من الدخول حتما .. لقد تأخرت عشر دقائق كاملة ..."

وكما توقعت حصل ... اطلقت نفسا محبطا وهي تجلس على احد المصاطب في ساحة الجامعة ورمت احمالها الثقيلة بجانبها، نظرت حولها فلم تجد الا بضع طلاب هنا وهناك قالت بامتعاض " سيكون عليّ استنساخ المحاضرات من منى .. كم هو شيء سخيف ان امنع من دخول قاعة المحاضرات وكأني طالبة ثانوية !! الا يراعي هذا الاستاذ المتعجرف اني ساحمل لقب دكتورة صيدلانية بعد شهر واحد فقط ؟!! " انحنت للامام قليلا وهي ترتكز بكلتا يديها على حافة المصطبة فتهدل شعرها الاسود حولها ليحجب وجهها بينما اخذت تدندن باغنية

تحبها .. تبحث بين كلماتها عن سكون نفس تفتقده...

تلفت يمينا وشمالا عسى ان يلمحها قبل ان تدخل المحاضرة ولكن للاسف انه لايراها في اي مكان حوله ... في احدى لَفَتاته التقطت عيناه كومة من شعر اسود ... دقات قلبه تغير انتظامها رغما عنه ... لمسة من حنان حزين قديم مرت على صفحة وجهه .. همس برجفة خفيفة " كيف يمكن للقلب ان ينساكِ ؟!!" شعر ان ارادته سُلبت منه وهو يتقدم نحوها دون اعتبار لغرابة فعلته .. كان يدرك انه الهوس القديم فقط ما يجعله يقترب هكذا من فتاة لاتعرفه .. ولا يعرفها !! فقط شعرها الاسود كان يؤثر على خلايا عقله وينشط ذاكرته لصورة شعر اسود حالك واصابعه تتلاعب فيه بانبهار ...

(قالت يا ولدي.. لا تَحزَن .. قالت يا ولدي.. لا تَحزَن .. فالحُبّ عَليكَ هوَ المكتوب يا ولدي ... الحب عليك هو المكتوب يا ولدي) ....

ارتبك لترتبك خطواته معه ... رمش بعينيه وهو يفكر بشكل ضبابي " شهد !!" عاد لينظر للفتاة وهي تختفي خلف ظلال شعرها الاسود وتهاجم دون ان تدري اعماقه السحيقة تنبش فيها دون رحمة ... همس في سره تائها وعيناه لاتحيدان عن الفتاة " هل كان يجب ان تجتمع هذه الكلمات

مع شعرها الاسود ؟!!" نفض رأسه واغلق الابواب التي فتحت في اعماقه مقاوما بقوة دوامة من القلق حاصرته .. استعاد حس المنطق لديه وعاد لارض الواقع ليتوارى تدريجيا سحر الكلمات التي كانت تدندن بها هذه الشابة مع سحر الذكرى لسواد شعرها .. اخيرا زجر نفسه قائلا " لاتكن سخيفا ... انها مجرد فتاة جامعية ترتدي قميصا ابيضا وتنورة سوداء ... قصيرة ..." تغيرت نظراته وهو يحدق في ساقيها الناعمتين باعجاب ... لم يشعر بتأنيب الضمير لاستراقه النظر اليها هكذا بل ابتسم بصبيانية وهو يفكر .. هل ذنبه ان ساقيها البيضاوتين جذّابتان هكذا لتلوّحا له بقصر تنورتها ولونها المناقض باستفزاز للون بشرتها ؟!! اوشك ان يضحك عاليا بعد هذه المحاورة السخيفة مع النفس ..وبدلا من ذلك تنحنح قليلا لينبهها لوجوده قبل ان يقول يقول بلهجة مؤدبة " عفوا آنسة .. هل انت في قسم الصيدلة ؟" كانت انتفاضتها قوية وهي ترفع رأسها اليه .. لتتطلع في وجهه بعينين متسعتين مصدومتين !! رفع حاجبيه عاليا عجبا من تلك النظرة التي توسدت عينيها البنيتن .. بينما احساس بالتسلية توارد اليه وهو يتطلع لحمرة خديها .... ما بها هذه الفتاة ؟!!

كانت مرام غارقة في بحور قارئة الفنجان .. فهي عاشقة لكل كلمة يغنيها عبد الحليم ... لذلك لم تشعر بوقوف احدهم امامها حتى تنحنح .... عضت شفتيها احراجا وهي تلمح عبر خصل

شعرها حذاءه الرياضي وبنطاله الجينز .. قالت في سرها " مؤكد هذا الشاب سمعني أغني !! الا اتوقف عن زج نفسي في هذه المواقف المخجلة ؟!!" ابت ان ترفع رأسها وهي تتمنى من قلبها لو يتركها ويذهب بعيدا .. حتى جاءها صوته الرجولي ... صوت ايقظ ذاكرتها البعيدة الهامدة ... الغائبة الحاضرة دوما !!... رفعت رأسها اليه لتصطدم بتلك العينين .. يا الهي ... انه هو !! في غمضة عين وبكل بساطة عادت لتلك اللحظة قبل خمس سنوات ... تلك اللحظة الغريبة من حياتها عندما تغير قدرها ... لحظة ارتطمت به .. قد تكون في الواقع لحظة مخزية !! فقد ظلت تنظر اليه كالبلهاء عاجزة عن اخراج كلمة اعتذار واحدة ! بينما هو نظر اليها وكأنه لايراها فقط اعتذر بشرود وتجاوزها ليكمل طريقه ... اما هي لم تستطع تجاوزه ولا اكمال طريقها ابدا !! وبعد فترة جمود حمقاء التفتت نحو مرآة معلقة على الحائط ونظرت لنفسها بتقييم سلبي !! شعرها معقود بطريقة خرقاء وقميص اصفر فضفاض يعلو بنطال جينز مهترئ !! بدت كمتشردة حقا لكنها في تلك الفترة كانت قد اعتادت على ارتداء هذه الملابس السخيفة ما دامت تشعر بالراحة فيها .. ولكن بعد هذا الحادث تغيرت اولوياتها في اختيار الملابس مئة وثمانين درجة !!

عادت للواقع عندما اخترق ذهنها صوته مرة اخرى وهو يقول بريبة " هل انت بخير يا انسة ؟؟" تنحنحت وهي تحاول استعادة توزانها " نعم ... اسفة ... كنت شاردة قليلا .." ابتسم ... ويا ليته لم

يبتسم !! ما هذه الورطة ؟!! الا يدرك تأثيره على الفتيات ؟!! الا يستطيع ان يشعر بما يحدث معها هي ؟ الا يكفي انها التقته هكذا دون اعلان مسبق ؟! متى لم تخبرها انه سيأتي للجامعة اليوم .. تلك البلهاء !! حتى انها لم تخبرها بعودته من سفره الطويل الا البارحة وبشكل عرضي اثناء محادثتهما الهاتفية وهذا هو سبب سهادها ليلة الامس وسبب تأخرها بالنوم هذا الصباح وسبب جلوسها هنا تغني كغبية قارئة الفنجان !!...

عاد ليقول وقد بدى عليه الملل من بلادتها " عفوا انسة لااريد ازعاجك فقط هل انت في قسم الصيدلة ؟ " هزّت رأسها بعجز وهي تقول بضعف " نعم .." فقال على عجل " حسنا ابنة اختي في المرحلة الاخيرة هل يمكنك اعطاؤها كتابها لو سمحتِ ؟ لقد نسيته معي في السيارة عندما اوصلتها صباحا ...اسمها .." قاطعته وهي تقول باحباط " منى ... " عقد حاجبيه قليلا وهو يقول " كيف عرفتِ ؟" ردت وهي تعتصر اناملها على حافة المصطبة " لانها صديقتي ..المقربة .." فقال بحيرة تشوبها بعض السخرية " ولكن كيف عرفتِ اني اعنيها هي بالذات؟ هل نحن متشابهان مثلا ؟!" ردت وهي تبتلع ريقها " لا ... لستما متشابهين ... كل ما في الامر اني ... اعرفك ... " امال رأسه جانبا وكتّف ذراعيه وهو يقول بابتسامة مستمتعة " هل كانت تريك صوري التي ارسلها لها ؟" ردت باضطراب لم تستطع اخفاءه " كنت اراها احيانا ولكني اعرفك قبل هذا ... اقصد .. اعرف شكلك ... سبق والتقينا .." ازداد فضوله وهو يتساءل

بحاجبين معقودين " انا وانت التقينا سابقا ؟!! متى ؟! واين ؟" ردت بصوت جاهدت للسيطرة على رجفته " قبل خمس سنوات في بيت منى .. التقينا صدفة .. كنت اركض على الدرج و.. ارتطمنا ببعض .." ضيق عينيه قليلا وكأنه يحاول استعادة ذاكرته ولكنه ولشدة بؤسها لم يتذكر واعتذر قائلا " اسف لاني لااتذكرك ... لابد انك كنت صغيرة جدا ... عموما تشرفت برؤيتك ... مرة ثانية ... تفضلي .." ومد اليها يده بالكتاب وقال بابتسامة مهلكة لحواسها " شكرا لك مقدما ... وداعا .." اخذت الكتاب من يده وهي تدعو الله ان لاترتجف يدها ... رددت في سرها وهو يبتعد بنظراته عنها " حمقاء !! وحتى لو ارتجفت يدك انه لاينظر اليك اصلا !!" وهكذا استدار على عجل وهو يلوح لها مودعا وربما شاكرا !! لاتعرف ايهما بالضبط ... كل ما تعرفه انها سمحت لارتجافها اخيرا بالتحرر بينما عيناها ظلتا تراقبان هيئته الغاربة عنها لتطلق بعدها سراح بضع دمعات احتبستها ... دموع لاتفهمها ربما لانها لم تكن قد تهيأت نفسيا لمواجهته هكذا.... انه لم يتغير !! لا .. بل تغير قليلا ... اصبحت وسامته لاتطاق !!

تلمست اطراف الكتاب بشغف لم تستطع منعه .. قبل خمس سنوات رأته ولم تستطع تجاوز مشاعر المراهقات نحوه لحد الان .. وما حدث بعد لقائها الاول به صدمها اكثر وزادها تعلقا به بدلا ان يوقفها .. فبعد اسبوعين قضتهما في احلام يومية يزورها بها صاحب اجمل عينين راتهما اخبرتها منى ان خالها احمد سيتزوج !! قالت ان والدتها (اي

اخته) قد حثته على خطبة احدى الفتيات الجميلات ليبدأ حياة جديدة معها بعيدا عن حبه الضائع .. وبعد طول الحاح وافق وهكذا تمت الخطبة والزواج خلال شهر واحد اعقبها سفر مفاجئ اقدم عليه وهو يأخذ عروسه ليبحث عن فرصة عمل افضل في بلد آخر .. وربما فرصة حياة جديدة بعيدا عن تأثير حبيبته !!... رحل احمد وعروسه والتي لم ترها مرام الا عبر الصور ... بدت جميلة حقا... خمرية بشعر كستنائي .. لكنها لم تعجبها ... ربما لشعور وحشي بالغيرة !! شعور ليس من حقها ،هي تعرف ذلك ولكنها لم تستطع كبحه الا امام الاخرين ومن ضمنهم صديقتها المقربة منى ... لكن في داخلها شعور الغيرة هذا اهلكها لاشهر طويلة خصوصا عندما علمت ان زوجته حامل !! وعندما جاء خبر ولادة ابنه اوجدت حاجزا منيعا عزلت فيه هذا الاحساس بالانجذاب والشغف الغير منطقي بعيدا عن واقعها اليومي .. لتعيش بنوع من التوازن الذي ارضاها .. ولكن... لمحة واحدة عنه في حديث على لسان منى او صورة جديدة يرسلها لعائلته وتجد طريقها اليها تجعلها تضطرب فتجاهد لاستعادة توازنها مرة اخرى ... كثيرا ما سألت نفسها هل السبب وسامته فقط ام كلمات الحب الحارقة عن حبيبته والتي استرقتها اذناها عندما كان يكلم اخته عصر ذلك اليوم ...

" هل ترغب بفنجان قهوة .." ابتسم احمد وهو يسبل اهدابه فاضافت نجاة بمشاكسة " ساقرأ لك الفنجان بعدها .." ضحك بخفة وهو يقول بغموض " فنجاني قُرِأ منذ الصباح !!" عقدت نجاة حاجبيها قليلا وقالت " هل حقا قرأ لك احدهم الفنجان ؟!!" لوح بيده وقال " لاتهتمي بكلامي .. مجرد تخاريف .." تاهت نظراته في ظلمة ماضيه واحزان عشق عاد اليه دفعة واحدة ما ان رآى شعر اسود ... كشعرها .. آآآه يا شهد .. نظرت اليه نجاة بحنو وقد فسرت نظراته الهائمة على غير حقيقتها فقالت " هل اشتقت لايمن ؟ " اسم ايمن جعله يسترجع حاضره ليخرج من فلك الماضي الذي يجتذبه بين الحين والآخر ... رغم ان الدوامة كانت اقوى هذه المرة لكن ذكر ايمن اكثر من كاف ليلغي كل شيء حدث في ماضيه ويعيش فقط لحاضر ومستقبل يشمله ويشمل ايمن ... قال بنظرات تطفح حبا لاحدود له " اموت شوقا اليه .. لم يمضِ الا يومين على فراقي له ولكني اشعر بالغربة الباردة من دونه .. شيء غريب ان نشعر بالانتماء لطفل صغير لايتعدى الثلاث سنوات .. " ردت نجاة برقة " نحن نشعر بالانتماء لما يكمل نواقصنا ويشعرنا اننا نتكامل معه هو دون غيره.." ترددت نجاة قبل ان تضيف بمزاح " ماذا عن سهام ... الا تشعر بالحنين اليها ؟!" غموض كسا ملامح احمد ليقول بهدوء " سهام زوجتي ... مؤكد اشتاق اليها لكن ايمن مختلف ... ربما لاني لم ارزق بطفل آخر وانت تعرفين مدى عشقي للاطفال .." قالت نجاة بحرج " لااريد التدخل بشؤونكما لكن هل هناك

سبب يمنع انجاب المزيد ؟" عضلة اهتزت في خد احمد وهو يطبق فكيه بشدة .. شعرت نجاة بالندم لفتحها موضوع خاص كهذا معه .. في السابق وقبل زواجه كان يحدثها بكل شيء دون اي حواجز ولكن منذ قراره بأن يمضي في حياته قدما وينسى شهد ليبدأ مع امرأة اخرى واحمد تغير ... اصبح اكثر غموضا .. اكثر هدوءا ... اقل حيوية .. اقل اندفاعا نحو الحياة ... صحيح لم تره خلال سنوات غيابه لكنها كانت تشعر به في كل مكالمة في كل صورة في كل فيلم يصوره ليرسله لهم ... فيلم دوما يخلو من سهام !! فقط الاب والابن ... طال الصمت بينهما فتحركت نجاة نحو جهاز اعداد القهوة وهي تتجاهل الاجابة الضائعة لسؤالها ... تفاجأت وهي تضغط على الزر عندما

قال لها بصوت لاروح فيه " هل تعرفين ؟! لعام كامل بعد زواجنا وانا اتوسل لسهام حتى ننجب طفلا ؟!" دهشة علت وجه نجاة وهي تستدير نحو اخيها الصغير لتزداد دهشتها وهي ترى تعابير لم ترها سابقا على وجهه .. كان يبدو شاحبا باردا .. غريبا تماما عن ذلك الاحمد الدافئ الذي تعرفه ... قالت ببعض التوجس " لماذا كانت ترفض ؟ اغلب النساء يفضلن الانجاب ما ان يتزوجن بل ان الكثيرات يصيبهن القلق اذا تأخر الحمل بضعة اشهر بعد الزواج .." ضحك ضحكة كرهتها نجاة ثم سمعته يقول بسخرية " ليس سهام ... لقد اخبرتها والدتها ان عليها التمتع بحريتها مع زوجها لعام او عامين على الاقل.." عبست نجاة ولكنها لم تعلق بشيء فاضاف احمد بصوت اكثر برودة " بعد

ولادة ايمن رفضت قطعيا ان ننجب غيره في وقت قريب... وما زالت ترفض ... بل انها اكدت لي قبل اشهر انها لن تنجب طفلا آخر .." لم تستطع نجاة الصمت اكثر فقالت بحنق بالغ " يا الهي ... لماذا ؟!! ما الذي يمنع ؟ انتما شابان وبصحتكما... الحالة المادية جيدة جدا والحمد لله فغربتكم حسّنت وضعكم اكثر وها انتم ستعودون للعيش بيننا وبهذا نستطيع انا وامها مساعدتها مع الاطفال.." صمت مطبق هو ما انتظر كلماتها الحانقة ... عينا احمد كانتا جامدتين تماما .. ذلك الجمود الميت اخترق قلبها في الصميم فارتعشت !! قالت اخيرا " احمد ما الذي يجري بينك وبين زوجتك ؟!" اسبل احمد اهدابه وقال بلا مبالاة " لاشيء ... فقط مشاكل عادية مما يحدث بين اي زوجين .." ثم

رفع وجهه اليها وهي يتصنع ابتسامة مرحة ويقول " اين قهوتك التي وعدتني بها .. " جارته في محاولته لانهاء الموضوع فابتسمت وهي تستدير لجهاز القهوة وتقول بمشاكسة " لن اعطيك اياها الا عندما تقول لي من قرأ لك الفنجان صباحا .." فرد احمد ضاحكا " لن تصدقي ... نزار قباني .." التفت بشكل جانبي وهي تعقد حاجبيها وتقول بابتسامة " نزار قباني ؟!!" فاضاف غامزا " او ربما عليّ ان اقول عبد الحليم حافظ .." هزّت رأسها بقنوط وقالت " اخبرني يا ولد والا الفضول سيقتلني .." ضحك عاليا ثم قال " حسنا حسنا .. هل تعرفين قصيدة نزار قباني (قارئة الفنجان) ؟" فردت بعدم تصديق " هل تمزح ؟!! انا احفظها عن ظهر غيب ... " ثم اضافت باستدارك " آآآآآآ

.. لابد انك سمعتها في المذياع وعبد الحليم يغنيها ..'' قال بابتسامة صغيرة '' نوعا ما ... فقط جزء واحد (قالت يا ولدي لاتحزن فالحب عليك هو المكتوب) .. حقيقة انا لااحفظ كل كلماتها بل لااحفظ اي اغاني عادة ولكن اعترف ان قارئة الفنجان مميزة جدا .. '' التمعت عينا نجاة وقالت بحالمية '' انها تذكرني بايام خطوبتي .. كان كريم يعشقها '' قال احمد وهو يعض شفته السفلى بمكر '' هل كان يسمعها لك في مكالماتكما الليلية قبل النوم؟'' ضربته على كتفه وقالت تغطي على خجلها '' تأدب يا ولد كريم هو من ربّاك ..'' ضحك عاليا وقال من بين قهقهاته '' لااصدق انك تحمرين خجلا لذكريات زواجك الاولى بعد كل هذه السنوات ..'' همست بسعادة '' لم يكن يسمعني عبد الحليم يغنيها ... بل كان يقرؤها لي بنفسه .. بصوته ..'' غامت عينا احمد وهو ينظر لاخته الكبرى والتي اوشكت على الخمسين وما زالت تعشق زوجها كمراهقة ... التمعت عيناها وهي تقول هائمة '' كان يقول لي دوما انه ادرك معنى (النصف الآخر) ما أن وجدني .. '' ضحكت بخفة وهي تقول بشجن '' اعتاد ان يردد ابيات معينة من قارئة الفنجان عند نهاية كل مكالمة بيننا محاولا استدرار عاطفتي وهو يخبرني انه يشعر بالوحدة ما ان اغيب عنه !!'' رفع احمد حاجبيه بدهشة يشوبها الحنان عندما سافر صوت نجاة بعيدا لتلك الفتاة التي لم تبلغ العشرين لتعيش بين كلمات شعر يلقيها عليها حبيبها وزوجها ...

هو نفسه سافر مع صوتها الشجي نحو حبيبة بعيدة عن العين قريبة دوما من القلب ...

وتَظلَّ وحيداً كالأصداف وتظلَّ حزيناً كالصفصاف

مقدوركَ أن تمضي أبداً.. في بحرِ الحُبِّ بغيرِ قُلوع

وتُحبّ ملايينَ المَرّاتِ...وترجعُ كالملكِ المخلوع..

شعر احمد انه.... يلهث !! خصلات شعر اسود تتطاير لتتداخل مع خلايا ذاكرته تتلاعب فيها تشعلها لترسل الدماء حارة في شرايينه ... تسيطر على حواسه وتخادع بصره برؤيتها ... استرخت اجفانه ليغمض عينيه وتحركت انامله بهوس مألوف عبر الهواء وذاكرته تعذبه وتخدعه بقسوة لتشعره بملمس شعرها الفاتن ...

نادته نجاة بمرح " احمد ؟!! انك تحرك اناملك وكأنك تلامس اوتار قيثارة !!هل كنت تعزف لعبد الحليم ؟" فتح احمد عينيه لتطل منهما الآم الهجران والشوق الذي لاينطفئ!! اطلق انفاسا وهمس بشرود " وتحب ملايين المرات... وترجع كالملك المخلوع !!" صدمة ظهرت في عيني نجاة وتجمدت الابتسامة المرحة على شفتيها ... لقد لقد اخترقها ألمه ... لاول مرة تستشعر هذه الابيات باحساس مختلف عمّا اعتادت عليه... كان كريم يتعمد اسماعها اياها وهو يبثها اشواقه المستعرة اليها كأي خطيبين متحابين مقبلين على الزواج .... لكن احمد ... انه .. همست في سرها بحزن "

حبيبي الصغير .. لم تستطع ان تنساها بعد كل هذه السنوات ؟!!ما زلت تتألم بل تستعذب ألمك لفراقها!! تلك الغبية سهام لم تستطع كسب قلبك المرهف... " ارتبكت وتلكأت ضحكتها التي اطقلتها بمرح زائف لتخفي تأثرها بملامح الالم على وجهه الوسيم ثم قالت وهي تمد يدها لتداعب شعره الداكن الكثيف " دوما كنت عاطفيا ..." امال رأسه جانبا باسترخاء وهو يغمض عينيه مرة اخرى .. كأنه يهرب او يحاول ان يجد مخدرا للالم ..

فجأة قال وهو يفتح عينيه ويرفع وجهه اليها بفضول " نجاة ... ما اسم صديقة منى .. تلك الفتاة ذات الشعر الاسود ؟!" .....

تمطت منى بتعب ثم نظرت نحو مرام تستجدي تعاطفها قائلة " الا نستطيع التوقف قليلا لنرتاح ؟!!" وقفت مرام على قدميها لتلتف حول طاولة المطبخ البيضاوية حيث تناثرت المحاضرات عليها اخذت تقلب الاوراق امامها وهي ترد على منى " بالتأكيد لا ... لاتكوني متذمرة ونزقة ... دعينا ننهي الامر لاعود لبيتي مبكرا .. وايّاك ان تقولي انك بحاجة لاخذ حمام الان ..." وقفت منى هي الاخرى وتحركت نحو مرام وهي تقول " ارجوك مرام لن آخذ اكثر من ربع ساعة .. صدقيني مجرد حمام سريع لانتعش .. عقلي لم يعد يستوعب كلمة أخرى .." تذمرت مرام متأففة وهي ترد على منى وتقول " حسنا .. حسنا .. فقط ارجوك لاتتأخري .. علينا اكمال بضع محاضرات اخرى .."

هللت منى وهي تطبع قبلة على خد مرام ثم قالت وهي تشير لاناء زيتون على الطاولة " انظري لهذا الزيتون ... انه كله لك .. وقبل ان تنتهي من افراغ الاناء كعادتك ستجديني امامك .." نظرت مرام للاناء المقعر الكبير والذي ضم حبات شهية من الزيتون الاخضر الذي تعشقه .. والدة منى ماهرة جدا في اعداده بطريقتها الخاصة ووصفتها السريّة كما تحب ان تقول دوما بمرح .. الزيتون نفسه هي من تهتم باشجاره التي زرعتها بيديها وهي ايضا من تقطف الزيتون عندما ينضج لتعده بهذه الطريقة الشهية ..

كانت مندمجة جدا وهي تحمل بضع اوراق باحدى يديها تقرأها بتركيز بينما يدها الاخرى تؤدي مهمتها في التقاط حبات الزيتون وايصالها لفمها ... يد رجولية امتدت فجأة من خلف ظهرها لتصل الى اناء الزيتون متزامنة مع صوته الساخر الرجولي وهو يقول " كيف حالك.... مرام؟" ..

الفصل الثاني

يا قلبي خبّي ...اغنية لعبد الحليم

اجفالها كان عنيفا وهي تلتفت بقوة لترتطم بصدره وشعرها يضرب صفحة وجهه !! تناثرت اوراقها على الارض وهي عاجزة عن تمالك نفسها بينما عقلها يخبرها انه هو !! ابتعدت خطوة للخلف وهي تترنح اما احمد فقد اخذ ينظر اليها بدهشة واستغراب وبعض الشعور بالذنب .. اعتذر بصدق قائلا " اسف جدا .. يبدو انك كنت مستغرقة في القراءة ... كان يجب ان انبهك لحضوري بشكل افضل.. " ...

تسمرت في مكانها تحدق فيه .. تحاول التصالح مع قلبها الذي ارتفع وجيبه وهو يأن !!.. تحاول ان تستعيد شيئا من التعقل لتحيد بنظراتها بعيدا عنه بينما هو يتطلع لجسدها المرتعش ... " ماذا يحدث يا مرام ... انت لم تعودي مراهقة لتتأثري به هكذا .. لقد اصبحت شابة ناضجة تدرك ان احلام المراهقة تبقى للمراهقات فقط .. لاتعبر معنا الحاجز الذي يفصلنا عن النضوج .. لقد اتيت اليوم خصيصا بعد امتناع لاسبوعين كاملين لتثبتي انك قادرة على مواجهة رؤيته مرة اخرى .. دون ان ترتجفي ... دون ان تحتاجي لتقاومي رغبتك في الاغماء !! اتيت وكنت مستعدة لتتصرفي بأدب ولياقة تناسبان سنك مع ... رجل ... متزوج ... رجل داعب خيالك المراهق وهذا طبيعي فهو

وسيم جدا .. اجل الامر طبيعي يامرام ...فتأثيره على الجنس اللطيف استثنائي !!.. رجل اعجبت بمشاعره القوية تجاه حبيبته الضائعة ... تألمت لخسارته واحببت حبه لشهد .... !!" عضت مرام على شفتها وهي تستوعب نظراته الفضولية الغامضة نحوها ... آه من تلك العينين !! عادت لتردد في سرها بحزم وعيناها لاتطرفان .." رجل .. متزوج ... متزوج ... متزوج .. متزوج... ولديه طفل و .. زوجة ... رجل هو خال صديقتك المقربة منى .. لذلك عليك التعايش مع هذا .. عليك ان تكوني قوية ومنطقية ... توقفي عن التصرفات الطفولية !! " بهذه الافكار سيطرت مرام على ارتجافها وابعدت عينيها عن مرمى نظراته التي تحاول التسلل لدواخلها.. لكن يديها تحركتا بشكل عفوي نحو خديها في محاولة واهية لتبريد الحرارة المشعة هناك .. عندما تنبهت لحماقتها ابعدت يديها بعنف عن وجنتيها ونظرت لاحمد بحرج اكبر بينما تحولت نظراته الى التسلية و... المشاكسة !!... كتّف ذراعيه وهو يبتسم بطريقة احرجتها ثم قال " وجهك ما زال احمرا !! هل كل هذا الحرج لاني ضبطتك تأكلين الزيتون وحدك ؟! " عقدت مرام حاجبيها ودون ان ترد عليه انحنت للارض لتجلس على ركبتيها واخذت تلملم اوراقها المبعثرة وهي تحمد الله على ارتدائها بنطال جينز انيق ... هيئته الطويلة انحنت ايضا ليجلس هو الآخر على ركبتيه ويلملم الاوراق معها .. لم تشكره على محاولته للمساعدة وتجنبت رفع راسها حتى ... كانت حركات يدها تتسم بالحدّة بينما يده كانت

رشيقة وهي تتحرك بسلاسة هنا وهناك .. اخر ورقة كانت من نصيبه وما ان جمع حصته مع بعض حتى مدت يدها لتأخذهم دون ان تنظر اليه لكنه ابعد الاوراق عن متناول يدها فرفعت اليه وجها عبوسا فوجدته ينظر اليها بسخرية بينما ابتسامته تتراقص باستفزاز على شفتيه .. تقبضت يداها وهي تقاوم مشاعرها الخائنة .. قال بلهجة تماثل ابتسامته استفزازا " لن اعطيك اياها الا اذا اخبرتني سرك !" طنين صم اذنيها وهي تحدق فيه بفم مفتوح فاتسعت ابتسامته وهو يقول غامزا " اقصد سر تأثيرك على ابنة اختي منى لتتكلم عنك طوال الوقت ..." لاتعلم لِمَ مزاحه جعلها تغضب ؟!! هل يراها لاتستحق اعجاب منى بها ؟!! وجدت نفسها تقول بحدة " لااحب سخريتك مني لذا ساكون ممتنة ان تتوقف عن ذلك واعطني اوراقي لو سمحت .." مدت يدها وهي تتكلم لكنه عاد ليبعد الاوراق .. ازداد حنقها من نظراته المتسلية فتحركت للامام بتهور لتأخذها منه بنفس الوقت الذي تحرك هو فيه للامام ليرتطم جبينه بجبينها ... " آآآآخ ...." صرخة التوجع اطلقها الاثنان معا ليقول احمد بعدها وهو يمسد جبينه " هل انت دوما هكذا ؟!!ترتطمين بما حولك ؟؟" التمتعت الدموع في عينيها وهي تمسد جبينها بصمت حرج ... استغلت انشغاله بتمسيد جبينه لتمد يدها بسرعة و تخطف الاوراق من يده ثم هبّت واقفة على قدميها لتلتقط حقيبتها ودون ان تنظر اليه او ترد على ندائه خرجت هاربة منه.. ومن مشاعرها التي ضاقت بصدرها ....

كان احمد يهز رأسه ويبتسم وهو يقف على قدميه برشاقة تناقض هيئته الضخمة عندما دخلت اخته نجاة وهي تنزع قفازيها اللذين تستخدمهما عادة اثناء عملها في الحديقة .. قالت بقلق " مابها مرام ؟ لماذا خرجت منزعجة هكذا حتى انها لم تمنحني لا الوقت ولا الفرصة لاصل اليها واسألها .. ركبت بسيارتها لتنطلق بها بعيدا !!" هزّ احمد كتفيه وابتسامة صغيرة تعلو شفتيه ... عبست نجاة وهي تقول بريبة " ماذا فعلت لمرام يا احمد ؟؟ اعرف مزاجك عندما تحب مشاكسة احدهم .." رفع كتفيه مدعيا البراءة وهو يقول " لم افعل شيئا .. انها فتاة صغيرة غريبة الاطوار حقا... " ازداد عبوس نجاة وهي تقول مؤنبة " انها فتاة رائعة لاتتكلم عنها هكذا .." تمطى احمد وقال بلا مبالاة " بل هي غريبة الاطوار .. ما ان تراني حتى تتصرف كحمقاء ..لم التقِ بها الا مرتين ودوما تحمر كحبة طماطم وتتكلم بطريقة غير مفهومة وغريبة !!" رفعت سبابته باتهام امام وجهه وهي تقول بصرامة ناعمة " وانت لم تؤل جهدا لارباكها اكثر ... اليس كذلك ؟!" اسبل اهدابه وهو يحاول اخفاء ضحكته حتى لايثير حنقها اكثر ثم قال " انا لم افعل شيئا ... دخلت المطبخ فوجدتها واقفة تفترس الزيتون المسكين اقتربت لاحظى ولو بآخر زيتونة عندما اجفلت بطريقة درامية لتحدث بعدها مجموعة اصطدامات شبه دامية .." ثم احنى رأسه قليلا ليقول وهو يشير لجبهته " انظري لجبيني .. كل

هذا لاني كنت احاول مساعدتها في جمع اوراقها التي تبعثرت على الارض ..." مدت نجاة اناملها الرقيقة لتمسد جبينه حيث اثر ضربة خفيفة ثم قالت بحنان "ربما هي تخجل منك يا احمد ... فانت شاب وسيم جدا .." اخذ يدها في يده ثم قربها لفمه يقبلها وهو يبتسم بصبيانية ويقول " اعلم هذا ..." ضحكت نجاة رغما عنها وهي تقول " كم انت مغرور يا صغيري .." ضحك بخفة ثم قال " اين منى ؟؟" عادت نجاة لتعبس وهي تقول " اعتقد انها تستحم ..ستغضب منك لانك ازعجت صديقتها .." لوح بيده بملل ثم قال " اتركينا من صديقة منى الان ... اريد مكالمتك بأمر .." ردت نجاة بتساؤل " ماهو ؟" قال احمد وقد استعاد جديته " انت تعرفين اني كنت انوي السكن في بيت والدينا ولكن سهام اخبرتني على الهاتف بالامس ان لارغبة لديها بذلك .." عقدت نجاة حاجبيها قائلة " لماذا ؟ انه بيت مميز التصميم .. قديم صحيح لكن ببعض الجهد سيكون رائعا .. " رد بصوت مال للسخرية " انها تريد بيتا جديدا بتصميم حديث .. لذلك اريد مساعدتك في البحث .. البلد تغير خلال السنوات الخمس الماضية .. فما كان يعرف كمناطق سكنية راقية لم يعد كذلك ... " ابتسامة باردة علت شفتيه وهو يضيف " سهام تهتم كثيرا بهذا الامر وتعتبره احدى الاسس لاختيار بيت " ترددت نجاة امام ردة فعله هذه .. لكنها حاولت الابتسام وهي تقول بلطف " حسنا ... لاباس عزيزي ساساعدك.. ولاتتضايق لانها لا تريد السكن في بيت والدينا وتفضل بيتا حديثا في

منطقة افضل .. هذا من حقها يا احمد ..كل النساء هكذا .." كلمات احمد كانت شبه وحشية وهي تنطلق على لسانه بشكل فجائي " من يطلب حقا عليه ان يؤدي حقوقا في المقابل !!" اتسعت عينا نجاة وهي تقول بذهول " احمد !!" ادار احمد وجهه جانبا يزم شفتيه بغضب غريب !! قالت نجاة بتوجس " الن تخبرني ما يحدث بينك وبين سهام .." صمتت قليلا ثم اضافت بحزم " واياك ان تقول لي مشاكل زوجية عادية .." لم يلتفت نحوها فمدت يدها لذقنه تديره نحوها قائلة بهدوء لاتشعر به حقيقة " احمد انا اختك نجاة ... تعلم انك تستطيع اخباري .." رفع نظراته نحوها فاوجعتها تعاسته والتي تتدفق من عينيه تدفقا!! تحركت شفتاه لكن صوت منى سبقه وهي تقول

عند باب المطبخ بتعجب " اين مرام ؟!!" ابتسم احمد بغموض حزين وهو يبتعد عن نجاة مشيحا بوجهه بينما قالت نجاة باستسلام وهي تداري قلقها على اخيها " خالك ازعجها وغادرت .." عقدت منى حاجبيها وهي تعيد لف المنشفة حول شعرها الرطب ثم نظرت نحو خالها قائلة باتهام وتوعد " خالي !!ماذا فعلت لها بالضبط ؟؟ " التفت نحوها ثم ضحك بمرح وهو يرفع كلتا يداه للاعلى ويقول " لم افعل شيئا .. ما بكم جميعا ؟!! انها هي التي تبدو دائما كقطة على صفيح ساكن .." تخصرت منى وهي تقول باندفاع " مرام ليست هكذا .. لاتقل لي انك شاكستها " رفع حاجبا واحدا وهو يقول باستفزاز " حقيقة لم اقاوم .." التفتت منى نحو امها قائلة بحنق " امي !!" فهمست نجاة

مؤنبة " احمد .." عاد احمد ليرفع يديه للاعلى وهو يقول باستخفاف " حسنا حسنا ... عندما تكون تلك الفتاة في الجوار اخبروني لابتعد الف ميل فيبدو ان تأثيري سيء عليها!!.." تحرك احمد ليغادر المطبخ مارا بمنى الحانقة وما ان وصل اليها حتى انحنى فجأة ليطبع قبلة على خدها فهتفت " لاتقبلني ... لن اسامحك !! " فما كان منه الا ان انفجر ضاحكا وهو يغادر المطبخ .....

قالت منى وهي تتنهد " هل كانت متضايقة جدا .." ردت نجاة باحباط " كانت حانقة !!" تأففت منى وهي تبحث عن هاتفها النقال على المنضدة وتقول " هذا تأثير خالي .. يثير الحنق .." زجرتها نجاة قائلة بحزم " تأدبي منى ... انه خالك .." وجدت منى هاتفها اخيرا فقالت نجاة " اتصلي بها واعتذري ودعيني اكلمها ايضا .." .. بعد عدة محاولات فاشلة تأففت منى وهي ترمي هاتفها قائلة " لافائدة ... انها لاترد .." قالت نجاة بهدوء " لابأس كلميها في وقت اخر تكون قد هدأت فيه ..." صمتت ثليلا ثم اضافت " اين اخاك ؟!" ردت منى وهي ترمي بنفسها على احد الكراسي" حسين يغير ملابسه .. سيخرج مع سوسن .." استغربت نجاة وهي تجد ابنتها تمط شفتيها باستهانة عندما لفظت اسم سوسن فعقدت حاجبيها وهي تسأل " ماهذه التعابير على وجهك منى؟!!" قالت منى بعد لحظات تردد " بصراحة انا غير مقتنعة بسوسن زوجة مناسبة لحسين .." اتسعت عينا نجاة من المفاجأة !! هذه اول مرة تبدي منى اعتراضا على سوسن رغم مرور عدة اشهر على

ارتباطها بحسين ... قالت نجاة ببعض الحيرة " ماهذه الكلام ؟!!" مدت منى ذراعيها جانبا بحركة تفسيرية وهي تقول " انها رقيقة اكثر مما يجب ... حسين لاتنفعه فتاة طيعة وشديدة الرقة هكذا ... انه حتى غير مرتبط بها عاطفيا !! بصراحة اراها سلبية جدا واخي بحاجة لفتاة تنبض بالحيوية .. تجعله يشعر انه يقف على اطراف اصابعه ترقبا.. " صوت حسين الذي ظهر فجأة جاء مغلفا بالحنق وهو يقول لاخته التي تصغره بثلاث سنوات " حقا ؟!! وباعتبارك تحددين مواصفات العروس المناسبة لي فهلا حددتِ لنا العروس ايضا ؟!" كان احمد يقف خلفه الآن وهو يقول بمرح " هل هناك من يتكلم عن عروس .." لكن منى تجاهلت مزاح خالها وردت على حسين بثقة " اجل لدي ...انها مرام ... انا اراها الانسب لك .." ضحك احمد ملئ فمه ثم ادّعى الجدية وهو يحذر حسين قائلا " حذاري حسين هذه الفتاة لديها ردات فعل غريبة !!" ضربت منى قدمها بالارض وهي تهتف بحنق" خالي !!" تبعها صوت نجاة لائما "احمد !!" فرفع احمد يده ليضعها على فمه ويقول باستسلام " حسنا حسنا ... سالتزم الصمت .." حسين بدى غاضبا حقا وهو يوجه كلامه لمنى قائلا " ليس من حقك يا منى ان تقيّمي سوسن او علاقتي بها بهذه الدونية .." لكن منى اصرّت على رأيها قائلة " هذا غير صحيح ... انا لااحاول التقليل من شأنها .. كل ما في الامر انا افكر بشكل عملي .. ببساطة انها لاتناسب شخصيتك .. اراك تميل لمرام بشخصيتها الانفعالية الحيوية .. واياك ان تنكر نظراتك نحوها

" احمر حسين قليلا وهو يقول بغضب متزايد " هذا سخف !! انا احب سوسن وواحب رقتها وطبيعتها الهادئة .. لكن هذا لايمنع اعجابي بمرام وشخصيتها المميزة .. اعجاب لايصل للمشاعر كما تظنين .. " قال احمد ببعض الحيرة " هل سيطول حديثنا كثيرا عن مرام ؟!! اتمنى ان اعرف سر تأثيرها عليكم جميعا .." التفتت اليه ثلاثة ازواج من العيون الحانقة ليقول احمد باستسلام وهو يتراجع للخلف " حسنا حسنا ... ساخرج من هنا .. " قال حسين ببرود بعد خروج خاله من المطبخ " انا راحل الان .. سوسن بانتظاري..." ثم نظر في وجه منى وهو يقول بتحذير " اياك ان تكرري هذا الكلام السخيف مرة اخرى ... سوسن انسانة رائعة وانا احبها كما هي ... لاتتدخلي بشؤوني منى .. " ثم تحرك ليخرج من البيت بصمت ..

التفتت نجاة نحو منى لتقول " انت من جلب هذا لنفسك .." هتفت منى بتمرد " امي !! انا كنت .." قاطعتها نجاة قائلة بحزم " الموضوع انتهى ولاتعودي للتطرق اليه مرة اخرى ..." وبعد هذه الكلمات غادرت نجاة هي الاخرى لتترك منى واحساس بالندم والتسرع يثقل عليها ...

الدموع لم تتوقف عن الانهمار من عينيها بينما تقود سيارتها الصغيرة عائدة للبيت... كانت تبكي ولا تعرف لماذا بالضبط ... هذا التخبط المألوف الذي تعيش فيه يسيطر على تصرفاتها ويجعلها

ترتكب الحماقات !! اخذت تردد بصوت مسموع " غبية غبية يا مرام ... كل هذا لانه فاجأك ؟!! لمَ يا غبية لم لم تأخذي الامور ببرود ... الم تخططي لهذا ؟ الم تقرري ان تواجهي احمد وتتعاملي معه بشكل طبيعي ؟ " عادت لتردد ودموع الغضب تأخذ طريقها لوجنتيها " غبية غبية .. لماذا لاتجيدين التصرف عندما يحتاج الامر لعقلك فقط .." وبلحظة تهور ضربت على جبينها فتوجعت .. اتسعت عيناها وهي تتذكر... لقد ارتطم راسها براسه .. لامست بشرتها بشرته!! حتى ولو كانت اللمسة يصاحبها الالم !! شهقت من هول افكارها والطريق الوعر الذي توغلت فيه ... حركت عتلة الاشارة الجانبية لتتجه بسيارتها يسارا .. اوقفت السيارة على جانب الطريق ثم اطفأت المحرك ..

ابيضت مفاصل يديها وهما تضغطان على مقود السيارة لتحني رأسها بانكسار وتهمس " ماذا افعل يا الهي ؟!! هل ساتجاوز يوما هوسي به ؟!!" .... صوت رنين هاتفها النقال اخرجتها من دوامتها .. مدت يدها جانبا حيث تضع حقيبتها على الكرسي المجاور واخرجت هاتفها بتنهيدة مرهقة وما ان رأت المتصل حتى اطلقت تنهيدة اخرى ... لم يكن لديها ادنى استعداد لتكلم منى الان ... لم يكن لديها فكرة عمّا قاله احمد ليفسر خروجها هكذا ..

تركت الهاتف يرن واعادت راسها للخلف تسنده على ظهر مقعدها وهي تفكر " يجب ان اجد مخرجا .. ساكشف نفسي سريعا اذا استمريت بالتصرف بهذه الطريقة .." اغمضت عينيها وهي

رفقاً بقلبي

بقلم كاردينيا73

تهمس " يجب ان تجدي مخرجا لنفسك يا مرام ... مخرجا لمشاعرك ... " ..

دخلت مرام البيت وهي ترسم الابتسامة على وجهها .. وجدت امها في غرفة الجلوس ترتدي نظارتها الطبية وتساعد اختها المراهقة رهف في دراستها كما يبدو ... هتفت بمرح زائف " مرحبا يا بنات .." امالت الام رأسها قليلا للامام لتنظر لابنتها الكبرى من فوق نظارتها الطبية وهي تقول " مرحبا حبيبتي ... عدتِ باكرا !!" الابتسامة لم تفارق وجه مرام وهي تقترب من امها لتطبع قبلة على خدها وتقول " تعبت فقلت يجب ان اتوقف قليلا لاسترخي واستعيد نشاطي .." ثم التفتت نحو رهف ذو الرابعة عشرة وقالت لها بمرح وهي تداعب شعرها بمشاكسة " كيف حال صغيرتنا ؟؟" عبست رهف وهي ترد " لست صغيرة مع كل هذه المواد الدراسية المريعة التي يجب ان يحتويها عقلي !! " اطلقت مرام ضحكة ناعمة لتتحرك مبتعدة وهي تقول " حسنا اترككما للمواد (المريعة) لاتفرغ لموادي الخاصة !! " ... ما ان غادرت مرام غرفة الجلوس وعاد صوت والدتها المميز وهي تشرح درسا في الرياضيات لرهف حتى تخاذل كتفاها .. وعاد البؤس ليرسم ملامحها ... تسلقت درجات السلم باحباط وعقلها مشتت بالف فكرة وفكرة ...فجأة توقفت في منتصف الدرج وعقدت حاجبيها وهي تقول بشعور غير

قابل للتفسير " لقد قال اسمي !! قال كيف حالك.. مرام !!!!" ...

القى احمد جسده بانهاك على سريره ... اليوم كان مزحوما جدا .. تنقل ما بين البنائين الذين يرممون الشقة التي اختارها كمكتب هندسي له وما بين المكاتب العقارية التي اوصى بها زوج اخته كريم ليدخل في دوامة البحث عن بيت بمواصفات ترضي سهام ... شعور بنفور يصاحب هذا الاسم في خياله ... شعور اعتاد عليه كما اعتاد على تواجد صاحبته في حياته ... كله لاجل ايمن ... كله لاجله ... ابتسامة رقيقة زحفت لشفتيه وهو يستعيد وجه ابنه ليتصوره امامه ... هذا الوجه البريء والذي يشع حبا كلما نظر اليه .. حب خاص .. ولاجل ان تبقى هذه النظرة مستعد ان يتحمل المزيد ...

في صباح اليوم التالي

في الجامعة ..

وضعت منى يدها على يد مرام وهي تقول بقلق " هل ما زلتِ غاضبة من خالي احمد ؟؟ لم تكلميني خلال المحاضرة كعادتك رغم اني صالحتك ليلة الامس وشرحت لك طبيعته ...صدقيني انه طيب القلب لكنه يحب المزاح والمشاكسة .." ابتسمت مرام بصعوبة في محاولة واهية لتتصنع القوة !! لكن الارتباك سيطر على كلماتها وهي تقول " لا منى ... انه لم يغضبني .. كان .. كنت .." عبست منى وهي تتطلع اليها بحيرة ثم قالت " ما بك

مرام ؟!" ابتلعت مرام ريقها قائلة بتردد " لاشيء .. فقط شعرت بالاحراج من اجفالي منه عندما دخل المطبخ فجأة .. وبعدها ... بعدها تصرفت بحماقة ... كالعادة .. وهو .. لم يسهل الامر عليّ !! " عقدت منى حاجبيها وهي تقول بحنق " انه مشاكس شرس .. اعلم طباعه جيدا ... عندما يريد يصبح مزعجا للغاية " كانت مرام تعاني الامرين بين السيطرة على مشاعرها المتأججة نحوه وبين غضبها منه ومن نفسها وبين محاولتها لاحتواء الامر حتى لاتكشف نفسها امام منى ... قالت اخيرا بابتسامة كلفتها الكثير لتظهرها " منى ... لاداعي لانفعالك هذا ... انه خالك .." لكن منى كانت بعيدة عن التركيز بما تمر به مرام فقالت بعصبيتها المعتادة " ولكنها الحقيقة .." اعترفت مرام على مضض لتدأتها " حسنا ... انا التي جعلت من نفسي اضحوكة ... فلا الومه اذا جعلني مادة للتندر ..." كزّت منى على اسنانها فشعرت مرام بالارهاق فعلا !! لم تعد تستطيع الضغط على نفسها اكثر فقالت على عجل لتغير الموضوع " حسنا .. يكفينا حديثا عن خالك واخبريني عن رأيك بموضوع مصطفى .." اسعد مرام هذا الاحمرار الطفيف الذي كسا خديّ منى الحنطيين فعلمت ان موضوع احمد اغلق ... على الاقل الان، قالت منى بارتباك " انت تعرفين رأيي يا مرام .." تنهدت وهي تضيف " امي تقول انه شاب ممتاز .." فقالت مرام وهي تنظر بدهشة لتلك الحيرة التي تعلو وجه صديقتها " وانت ترينه هكذا ايضا فما مشكلتك ؟!!" هزّت منى كتفيها وقالت

باحباط " لااعلم .." عبست مرام وهي تسأل بجدية بعد ان استعادت هدوءها " كيف لاتعلمين ؟!! انت تعرفينه من سنوات وهو شاب طيب والاهم يحبك .. " قالت منى في تشتت " انه طيب اكثر من اللزوم .." تطلعت مرام لمنى وقالت بحيرة اكبر " ماذا تقصدين منى ..؟؟!!" شردت عينا منى النرجسيتان ثم قالت " انه مختلف كثيرا عني .. اشعر انه رومانسي بينما انا لااميل لتلك المشاعر .. اجدها مبالغ فيها " خفق قلب مرام رغما عنها لكنها قاومته بالتجاهل وهي تركز على مشكلة منى ثم قالت " ألم تكوني معجبة به منذ الصغر ؟" التفتت منى نحوها وهي تقول بموضوعية " انت قلتها ... كنت صغيرة ... مجرد مراهقة تتعلق بأبن الجيران .." امالت مرام رأسها جانبا ليميل معها

شعرها ثم قالت بتساؤل " منى ماذا تريدين بالضبط ؟" ردت منى وهي تعود لتشرد بنظراتها " لااعلم .. ربما في داخلي اخشى عدم توافقنا .." عبست مرام وهي تقول ببعض الدهشة " كل هذا لانه يرسل لك ابيات شعرية ؟!! كم انت مغفلة ولاتقدرين النعمة ..." تأففت منى وهي تقول باحباط " كنت اعلم انك ستقولين هذا .." ردت مرام بلهجة مؤنبة " لانك تعرفين اني على حق .." لكن مرام فاجأتها بالقول " بل لاني اعرف انك تميلين لنوعية مصطفى .." عبست مرام وقالت بجدية " ولكنك معجبة به حقا .. بعض الاختلاف لايضير يا منى .. لماذا تقاومين الامر هكذا .. انت تميلين اليه منذ المراهقة وهو يحبك جدا واعترف لك بذلك وتقدم مباشرة ليرتبط بك ... ماذا تريدين

بعد ؟!!" قالت منى بلهجة غير مقنعة " حسنا .. اعدك باعادة التفكير في الامر ..." شعرت مرام بالراحة ... على الاقل ستعاود التفكير ... اخذت تلملم حاجياتها عندما فاجأتها منى بالعودة لحديثهما السابق قائلة " الن تقولي لي مافعله خالي بالضبط ليزعجك ؟!!" لم تجد مرام الا ان تسبل اهدابها لتلتزم الصمت درعا امام الحاح منى كما استخدمت خصلات شعرها درعا لاخفاء ارتباكها الذي ظهر جليا على وجهها ... فما كان من منى الا ان تنهدت في استسلام ...

بعد اسبوعين ..

تطلعت بشرى لابنتها مرام التي تغط في نوم عميق على الاريكة في غرفة الجلوس ... تبدة مرهقة .. هذا طبيعي بعد انتهاء الامتحانات ... مع ذلك هناك شيء تشعر انه يؤرقها !!

تنهدت بشرى وهي تحيد بنظراتها نحو الصورة الكبيرة نسبيا لزوجها الراحل والتي توسطت احدى جدران غرفة الجلوس .. ابتسامته تشبه ابتسامة مرام .. ليست ابتسامته فحسب بل عاطفيته واندفاعه وراء هذه العواطف ... كان يقول لها بمرح دائما انها الكابح لهذا التهور المتأصل فيه ... ترقرقت الدموع في عيني بشرى وهي لاتصدق انها مرت عشر سنوات على وفاته المفاجأة .. هذا الرجل الضاج بالحياة استيقظت يوما لتجده جثة هامدة !! سكتة دماغية كما قيل لها سببها عيب

خلقي منذ الولادة !! عيب لم يكتشفه احد طوال سني حياته ... ما حدث جعلها تصاب بالوسواس فسارعت لاجراء فحوصات لبنتيها لتتأكد من خلوهما من هذا العيب ... البعض اتهمها بالمبالغة والهوس .. لكنها لم تبالِ بل كانت شجاعة وقوية وهي تتماسك بعد فاجعة زوجها لتجري كل انواع الفحوصات ليس لبناتها فحسب ولكن لنفسها ايضا ... من اجلهما ... من اجل مرام ورهف ...

عادت بشرى لتنظر نحو مرام لتجدها تعبس في نومها فهمست بضيق " ما الذي يؤرقك يا ابنتي ؟!! "

ومر اسبوع آخر ..

" مرام لاتكوني مزعجة ... مضت ثلاثة اسابيع وانت تمتنعين عن الحضور لبيتنا ... الكل يلوم خالي ويتهمه بأنه السبب .. امي وبخت خالي مرة اخرى وابي هدده بالطرد ان شاكسك مرة اخرى !! لا .. انا ابالغ ... لكنه عنّفه ايضا واخبره انك تحت حمايته ..." ضحكت مرام رغما عنها وهي تقول " وماذا عن اخيك حسين ألم يفعل شيئا لاجلي .." قالت منى بحنق مفتعل " لقد حاول ولكن ضربة على رأسه من خالي جعلته يعيد حساباته .." اغرقت مرام في الضحك لتشاركها منى ضحكاتها ... لكن مرام سألتها اخيرا وبحرج شديد " هل سيبقى عندكم كثيرا ؟" ردت منى " تقصدين خالي احمد ؟ لا ... فقد كان يبحث عن بيت جديد ليستقر فيه

مع عائلته التي ستحضر قريبا .. وعندما وجد ما يناسبه اصبح يقسم وقته ليشرف على اعمال الديكور فيه كما تريد زوجته وبين البنائين في مكتبه الجديد .. لايعود الا بوقت متأخر من الليل منهكا تماما ليتناول طعامه وينام مباشرة ..." ساد صمت لم تفهمه منى على حقيقته !! تصورت ان مرام على وشك الاقتناع فاضافت بحماسة " لاداعي لترددك .. انا اعلم انك حساسة احيانا اكثر من اللزوم وتشعرين بالخجل مما حصل معه لذلك انا اطمئنك انك لن تلتقي به ابدا فهو ليس متواجدا هنا كما اخبرتك ..ما رأيك ؟؟ هل ستحضرين غدا ؟؟ ابي وامي سيخرجان ايضا لانتقاء بعض الاثاث من اجل حسين .. سيكون البيت لنا وحدنا ..وافقي مرام .. " ردت مرام وهي تغمض عينيها لتحبس دمعة خائنة اخرى " نعم ... ساحضر ..." ....

اخذت نجاة تلامس وريقات احدى شجيرات حديقتها وقد سرحت عيناها في تفكير عميق .. ابتسم كريم بحنان وهو ينظر لزوجته على هذه الصورة المألوفة لها ... بنطال قطني مريح يعلوها قميص بيتي وترفع شعرها البني كذيل حصان .. تلامس بيدها الحنون الناعمة نباتاتها وكأنها تلامس اطفالها ، تناغيهم وتبثهم حبها واهتمامها ... قال بنعومة " هل احدى نباتاتك تعاني من شيء ؟!!" التفتت نجاة نحوه لتقول بهدوء " لا .." رفع حاجبيه الفضيين قليلا ثم قال " ما بك اذن تلامسين اوراقها بهذا التركيز والتمعن ؟!!.." ردت بشجن " بعض الافكار تراودني .." اقترب منها ثم

ابتسم ليمد يده ماسحا لطخة صغيرة من الطين على حافة ذقنها وقال " ما الذي يقلقك نجاة ؟!!" قالت وهي تتطلع اليه بعينيها النرجسيتين كعيني ابنتهما منى " هل تعلم كريم دوما كنت اشبه الحب بنبتة .." ابتسمت برقة لتضيف " ربما لاني اعشق الزرع .." راق له مزاجها فهمس " مؤكد !" تألق وجهها بالعاطفة الرقيقة التي تميزها ثم قالت " ارى الحب كنبتة قد يشارك كلا الطرفين في زرعها وقد يتكفل احدهما بمهمة غرسها اولا .. لكن المؤكد انها تحتاج اليهما معا لتكبر وتزهو .." لامس خدها وهو يقول بمرح ناعم " هذا صحيح يا فيلسوفتي .." لم تتنبه نجاة لملاطفة زوجها فقد كانت تدور في فلك افكارها !! اكملت بنفس العاطفة وان شابها الحزن " اؤمن ايضا ان هذه النبتة ستموت اذا لم تجد اعتناءا منهما معا .." نظر اليها كريم ببعض التساؤل ثم قال " الى اين تريدين الوصول عزيزتي لاني تهت حقا .." رآى الحزن يتعمق في عينيها قبل ان تقول بأسى " كيف يمكن لاحمد ان يظل عاشقا لشهد حتى هذه اللحظة ؟!! كيف يمكنه العيش هكذا على اطلال نبتة مبتورة عقيمة لن تطرح شيئا !!" كست الجدية ملامح كريم وهو يقول " هل هو كذلك ؟ " ردت نجاة باحباط شديد وخيبة امل " نعم ... للاسف .. سهام من الغباء لدرجة انها لم تكسب قلبا عاطفيا كقلب احمد ." ابتسامة صغيرة علت ثغره قبل ان يقول " ها انت تتكملين بعاطفة امومية بحته ..." عبست نجاة بطفولية وقالت باندفاع " هل تنكر طبيعة احمد ؟ انت ربيته معي

.." رد كريم بتفهم " انا لاانكر حبيبتي .. ولكننا لم نسمع رأي سهام ولانعرف بالضبط ماذا يحدث بينها وبين احمد ... لِمَ ترمين الذنب عليها فقط ؟!! لم لاتقولين ان احمد لم يستجب لمحاولاتها للتقرب منه وفضل العيش على ذكرى شهد ؟!" التمعت عينا نجاة وهي تقول بألم واضح " احمد دافئ المشاعر يا كريم .. صدقني لو بذلت سهام جهدا لكانت كسبته ؟ " لكن كريم قال بترو " اعود واقول اننا لانعرف حقيقة ما يحصل بينهما .. لقد كانا بعيدين عنا طوال خمس سنوات زواج .." ترقرقت دمعة في عينها وهي تقول " انه يتألم يا كريم ... اشعر به بقوة ... " دمعتها انحدرت على خدها فمسحتها وهي تضيف باسى شديد " ما يثير عجبي كيف يمكن لعاطفته نحو شهد ان تصمد كل هذه السنوات ...؟!!" انحنى كريم ليلتقط من الارض بضع وريقات صفراء ذابلة وهو يقول بهدوء " احيانا عندما نفقد حبا عميقا زرعناه نوهم انفسنا ان نبتة الحب هذه ما زالت زاهية خضراء ... نحمي انفسنا بهذه الصورة الوهمية الحية لنخدر الالم من رؤية الحقيقة الذابلة الميتة ..." شعرت نجاة ان احدهم اعتصر قلبها عصرا فقالت بصوت مبحوح " هل تعتقد ان احمد يفعل هذا حقا ؟" رمى كريم الوريقات الصفراء ارضا قبل ان يرفع نظراته الهادئة نحو زوجته ثم قال " الخوف ليس من الوهم يا نجاة ؟!" عقدت نجاة حاجبيها وقالت بحيرة " ماذا تقصد ؟" رد كريم " اقصد ... احيانا وعند بعض الاشخاص تكون عاطفتهم المنفردة قوية جدا لتبقي الحب حيّاً دون

الحاجة لوجود الطرف الآخر .." هتفت نجاة " يا الهي !! هل سيظل احمد يعيش على حب شهد ؟ محروم من ان يحظى بحب متبادل ؟؟" هزّ كريم كتفيه وهو ينفض يديه قائلا " الامر بيده هو ... انه رجل ناضج وقادر على تحديد مشكلته وحلها اذا اراد .." لكن نجاة زمّت شفتيها بتصميم ثم قالت " انه بحاجة للمساعدة " نظرة عينيها اقلقت كريم فقال يحذرها " نجاة ... لاتدعي عاطفتك نحوه تسيطر عليك .." فردت بحزم " يجب ان اساعده كريم ... انه اخي ... صغيري .. لايستطيع المرء قضاء حياته بهذه الطريقة الفجّة !! سيكون تعيسا دائما .." قال كريم ناصحا " ساعديه ولكن دون اندفاع عاطفي غير محسوب ..." سألت بتوجس " ماذا تقصد بالضبط ؟" فرد كريم " عليك ان تعرفي من احمد سبب علاقته الفاترة مع سهام وفي المقابل ان تكوني عادلة مع سهام وتستمعي اليها ايضا ..." هزّت نجاة راسها بينما اضاف كريم وهو ينحني ليقبل خدها " انا ساحاول التحدث اليه ايضا .. لاتقلقي عزيزتي .." ابتسمت له شاكرة بصمت فانشرح صدره وتنهد بسعادة ... لاشيء يسعده قدر ابتسامتها هذه ...

في اليوم التالي

حديقة بيت منى ....

تسلقت مرام الشجرة العالية بحذر .. فرغم انها تجيد التسلق منذ الطفولة لكن مضى وقت طويل عندما لعبت دور طفلة شجاعة او مراهقة ذات

حيوية ... لقد توقفت عن هذا منذ ... منذ ان اكتشفت انها تريد ان تكون انثى مبهرة !!

بعد عدة محاولات حذرة للتحرك بين الاغصان المتشابكة وصلت اخيرا لتلك الكرة البيضاء والمرقطة بالاسود ... ابتسمت بانتصار للفتيان الواقفين على الرصيف في الجانب الاخر من سياج البيت ثم اخذت تلوح لهم بالكرة وهم يهللون لها ...كانت على وشك رمي الكرة لهم عندما فاجأها ذلك الصوت الساخر وهو يقول " هل سيستمر عرضك المغري طويلا ؟!! تعبت من الوقوف تحت الشجرة وانا انتظر نزولك بأمان .. لاتعولي على شهامتي كثيرا وانزلي يا فتاة .." بقلب خافق حدقت مرام للاسفل نحو احمد الذي اخذ ينظر اليها بتسلية وعيناه تلامسان بنظراتهما شعرها المشعث ووجهها المتوهج ... كانت هيئته مرهقة وملابسه تعكس حالته !! قميص مجعد فوق بنطال جينز قديم .. مد كلتا ذراعيه للامام وقال غامزا " هذا في حالة تعثرك وسقوطك الحر المتوقع قريبا ..." شدّت مرام على فكيها وهي تتحرك لتنزل عبر الاغصان ... شعرت بغضب عارم .. ولم يكن غضبها نحو هذا الذي يثير جنون قلبها فقط ولكن نحو منى التي اكدت لها انه لن يكون موجودا اليوم !! زمّت شفتيها وهي تتمسك باحدى الفروع لتخدش نعومة بشرتها .. همست " انتظري يا منى ... لن اسامحك على غباءك هذه المرة .." جاءها صوته وهي تمد قدمها لترتكز على اخر فرع " كفي عن التكلم مع نفسك يا صغيرة واسرعي قليلا ... حقا صبري نفذ .. وانا مرهق

للغاية ..." ادارت وجهها نحو بشكل جزئي وهي تقول بحنق شديد " انا قادرة تماما على النزول وحدي ... فعلتها مرارا منذ كنت... آآآه " لحظة واحدة وافلتت قدمها ليفقد جسدها توازنه ويحدث ما توقعه هو بالضبط !!... لحظات ضائعة من الزمن وهي تستوعب سقوطها لتتلقفها في النهاية .... ذراعين صلبتين !!

الفصل الثالث

حبك نار ... اغنية لعبد الحليم حافظ

في اكثر احلامها تطرفا لم يكن سيحصل ما يحصل الان ...!!!!

لوقت لاتعرف كم طال ظل عقلها مشتتا يحاول ان يستجمع الاحداث وتوابعها !! حسنا.. الشيء الجيد ان السقطة بين ذراعيه لم تؤثر عليه الا بترنح طفيف ليسيطر بسهولة على توازنه وهو يحملها بين ذراعيه ... يحملها بين ذراعيه ؟!!! اجل انها بين ذراعي احمد وهي تغمض عينيها بقوة لتحاول نفي هذه الحقيقة الكارثية ... المذهلة !! ان تستوعب حادث عرضي - كسقوطها من على الشجرة - شيء وان تستوعب وجودها بين ذراعيه شيء آخر تماما !!

ورغم كل الاشارات المعنّفة من عقلها تجد نفسها ترتجف بينما تقاوم امواج بهجة بريّة هاجمتها على حين غرّة وغلفت عقلها بغشاوة لتمنعه من التفكير المنطقي .. توترت عضلاتها في لمحة اخيرة للتعقل وهي تحاول التعامل مع كم هائل من المشاعر المضطربة في وقت واحد .. كيف تستطيع ان تفكر بعقلها وقلبها اعلن سيادته وسيطرته على ردود افعالها!! انها تلتصق التصاقا بصدره العريض، تشم رائحة عطره الرجولية، لاترى عينيه ولكنها تتخيلهما تنظران اليها.. وآه من عينيه... سبب علّتها وسهادها !! لم تقاوم ان تفتح عينيها ببطئ

لترى عينيه عن قرب ربما لن يتكرر كيف ستكونان .. كتمت تأوهها وهي تتطلع اليه في لحظات مسروقة اخرى من تحكم العقل .. تواجه هذا الوجه الرجولي الفاتن عن قرب مدمر لدفاعاتها ... هاتان العينان اللتان تتطلعان اليها بسخرية تحملان اهتماما حقيقيا .. هذه الابتسامة التي تماثل عينيه سخرية تبديان رقة طبيعية نحوها .. شيء ما يكبلها ويمنعها من التصرف بشكل غريزي لتحاول الابتعاد عنه مثلا ؟!! يا الهي ...هل جننت يا مرام واصبحت تهلوسين !! ام ان احمد يحملك فعلا وهو ينظر اليك مبتسما ؟!! .. احساس غريب مناقض انتابها بألحاح !!...بشكل غريزي مبهم نظرت ليدها .. يا الهي.. يدها على صدره تستشعر دقات قلبه الرتيبة ... رتيبة ؟!! رتيبة !! ابعدت يدها فورا عنه لتضمها لصدرها وقالت في سرها وهي تغمض عينيها في قهر " وانا يكاد قلب يشق صدري صارخا بينما هو ينظر الي بسخرية وقلبه لايتأثر بي ولا بنبضة واحدة !!" همسه الساخر جعلها تعود للواقع تماما وهو يقول " هل انت بخير ؟!" ... هل انت بخير ؟!!! كم هو سؤال بسيط لكنها لن تعرف الاجابة ابدا فعدا الدوار الذي تشعر به فليس هناك شيء محدد يستطيع وصف ما تمر به كل خلية منها ...العودة لارض الواقع مريعة حقا ... الا نستطيع ان نمسك حلما مستحيلا ولو للحظات !! لحظات ندّعي فيها انه حقيقة ..

فتحت عينيها لتقول شيئا .. اي شيء ولكن لسانها انعقد !! اتسعت ابتسامته فدوى قلبها كهدير متوحش غاضب ثم قال بمزاح رقيق " انا اشعر

بالتعب ؟ ماذا عنك ؟ تبدين مرتاحة وانت محمولة هكذا !!" حقا هذا فوق طاقتها ... همست في سرها لتمنح نفسها القوة " العودة الى الواقع.." ودون ادنى تاخير اخذت مرام تنازع للتخلص من ذراعيه وهي تقول بحدة مفتعلة " دعني .. " لم يقاوم رغبتها كما لم يكن لطيفا وهو ينزلها ارضا ويقول " لاشكر على واجب !!" لكنها تجاهلت تعليقه الساخر وتحركت مبتعدة بدون تركيز وذكرى الحلم المستحيل تسيطر على حواسها !! نداءه " انتبهي " جاء متأخرا فعلا لانها سقطت فعليا على وجهها بعد ان تعثرت بشيء صلب لم تعرف كنهه .. كل ما تعرفه ان راسها ارتطم بالارض هذه المرة لتحاوطها غشاوة منعت عنها الرؤية الواضحة لكنها مؤكد شعرت بذراعين اصبحتا مألوفتين تحملانها هذه المرة ببعض القساوة وهمسه الحانق وهو يقول " انت كارثة متحركة !! كان يجب ان تهدأي قليلا بعد السقطة من الشجرة لكنك تتصرفين بتهور ... هل اذيت رأسك ؟!" الاستسلام كان ملجأها فاخذت دموعها تسيل وهي تهز رأسها بلا .. لاتعرف هل تبكي ألم جسدها ام احراجها ام ربما ... قربها منه !! قالت باعتراض واهن " لاداعي .. لحملي ...انا بخير .." لكن جسدها خذلها وهو يتراخى على صدره دون مقاومة واحمد لم يلقِ بالا لاعتراضها اصلا ... عادت لتغمض عينيها وهي تشعر بالاذلال من كل ما حصل ... لم تجرؤ ان تساله الى اين يأخذها لانها كرهت نفسها لتهورها وحركاتها الرعناء التي اوصلتها لهذا الموقف .. عاد صوته ليلامس اذنها

وهو يقول " لاتبتأسي هكذا كلنا نتصرف بحماقة احيانا ... استرخي ... ساخذك لاضعك على احدى الارائك في غرفة الجلوس ريثما انادي منى لتساعدك.." كانت ما تزال ترفض فتح عينيها وكرهت نفسها اكثر لانها تشعر ببعض الغثيان والدوار من اثر السقوط ربما ... كان يحاول فتح الباب وهو يحملها فقال في نزق وارهاق واضحين " ما هذه الورطة ؟!! هذا الباب اللعين لماذا لايفتح ؟!! يا الهي كل ما كنت اريده هو النوم لبضع ساعات ..." ثارت كرامتها المهدورة ففتحت عينيها بقوة وعقدت حاجبيها بغضب طفولي وهي تقول بحدة " انزلني ارجوك فقد اصبحت بخير الان .. استطيع المشي .." كان قد فتح الباب ودخل فتطلع اليها وهو يرفع حاجبا واحدا والابتسامة المستفزة داعبت ثغره ثم قال " متأخر جدا لاننا وصلنا فعلا لغرفة الجلوس وها انا ساضعك كأميرة على احدى الارائك !!" لكنه لم يكن اميرا ابدا عندما رماها رميا على الاريكة حتى انها فقدت توازنها للحظات فنظرت اليه بغضب وقالت وهي تستند على كوعيها " لماذا وضعتني بقسوة هكذا ؟!!" مال بجسده ليقترب بوجهه منها فتراجعت مرام للخلف وهي تشعر بخوف لذيذ رغما عنها !! قال محدقا في عينيها " طفلة مشاغبة وعليها تعلم الادب .. مرة اخرى عندما يساعدك احدهم في شيء كانقاذ حياتك مثلا عليك ان تقولي في المقابل (شكرا لك) بدلا من التصرف كقطة وحشية ناكرة للجميل !!" شهقت مرام مستنكرة فابتعد احمد ضاحكا ثم استدار ليخطو بعيدا عنها وهو يقول " تنبيه اخر

يا طفلة... لاتتسلقي الاشجار بدون وجود مرافق .. ولاتنسي ان تعطه رقم الاسعاف في حالة الطوارئ .." ..

اخذت تضرب بقبضتيها على الاريكة بينما تلوم نفسها على سخافتها وتصرفاتها الرعناء الغبية !! هل يجب ان احدث فوضى دوما كلما اراه ؟!! وليكتمل الامر هذه المرة ويحملني كطفلة ثم يرميني بقسوة على الاريكة كمشاغبة !! مسحت على جبينها بارتباك وهي تميل بجسدها للخلف وتستلقي على الاريكة اغمضت عينيها وهي تهمس في سرها " اتمنى ان اموت الان !!" صوت منى كان مصدوما وهي تقول " ماذا يحدث ؟!! خالي يقول لي انك سقطت من الشجرة ؟!!" هزت مرام رأسها في احباط وقالت لنفسها " هذا ما كان ينقصني .. سيخبر الجميع عن حماقتي .. " ...

تطلع حسين ليديّ سوسن اللتين استقرتا في حجرها بارتباك معهود... ابتسم بخفة .. لقد مر شهران على عقد قرانهما ولم يبقَ الكثير على زفافهما ومع ذلك يستمتع بردة فعلها عندما يطلب بوقاحة ان يقبلها ... !! وما ان يطلبها صراحة هكذا حتى تنكمش على نفسها وتطأطأ راسها وهي تضم كفيها في حجرها .... لكن احراجها هذا لايدوم .. فما ان تلتف ذراعاه حولها حتى تسلم نفسها طواعية .. استسلام غريب .. كامل وتام ... احيانا يشعر انه لو تمادى لاخر نقطة فانها لن تقل لا !!

اعتاد ان يداعبها بكلمة (جاريتي) ويستمتع بامتعاضها الصامت من الكلمة ...

قال وعيناه تلامسان شفتيها بنظرات حارة " هل سانتظر طويلا ؟!! " رآها كيف تعض شفتها السفلى ... ضحك عاليا بينما سوسن تنكمش اكثر ... هدأت ضحكاته بينما اخذت عيناه تنسابان عليها ... من قمة شعرها بلونه المحمر الغريب الى بشرتها القشدية فجسدها الممتلئ في اغراء ... يعترف انه انجذب لجمالها اولا .. بدت فتاة ملتهبة نارية !! لكنه اكتشف انها هادئة .. ربما اكثر مما يجب !! ورغم ذلك اعجبته ووجد نفسه يكمل مشروع الزواج والذي ابتدأ بلقاء في حفلة عرس ... لازال يذكر ثوبها البرتقالي والذي ابرز مفاتنها بسخاء ... لقد كان قد لاحظ نظرات الرجال تحوم حولها

ولكنها كانت لاتنظر نحو احد وتجلس بجانب امها في انعزال مثير .. بدت بعيدة المنال حقا ويعترف دون خجل انه افتعل بعض المواقف ليجذب انتباهها ويقترب منها .. تمكن في النهاية من التقاط شيء من على الارض حتى انه لايذكر ما كان بالضبط !! كل ما يذكره انه غرض نسائي وتعمد الاقتراب منها وهو يقول بادب " هل هذا لك يا انسة ؟!!" و... يالا الهول ... عينيان لم يرَ بسوداهما وغموضهما ... لم تقل شيئا بينما ردت امها ببعض الحزم " لا يا ولدي انه ليس لابنتي .." وهكذا ابتسم معتذرا وانسحب وهو يفكر بهذه الحسناء الغامضة ليكتشف فيما بعد انها ليست غامضة ابدا !! مجرد فتاة هادئة الطباع منحها الخالق هيئة تناقض دواخلها ... عاد لينظر لسوسن

باشفاق .. احيانا تثير غيظه بهدوء طباعها ... يعترف ان كلام منى لمس وترا حساسا لديه كما يعترف انه في فترة ما حمل مشاعرا نحو مرام ... اجل انه يعترف ان مرام بكل شخصيتها العاطفية المندفعة اثارته .. جعلته يسعى ولو بمحاولات واهية للتقرب منها لكنها لم تلتفت اليه وهو انسحب سريعا ليدرك فيما بعد ان مشاعره لم تتجاوز الاعجاب بشخصيتها المحببة ... انسحابه السريع لم يكن بسبب عدم التفاتها اليه اليه فحسب ولكن لشعوره ان مرام مشغولة القلب !! كان احساسا غريبا ينتابه ان هناك من يحتل عقلها وقلبها معا وقد حاول بطريقته تقصي حقيقة هذا الشعور ولم يصل لشيء يؤكد صحته أو .. ينفيه ..

لقائه بسوسن قبل خمسة اشهر غيّر المعادلة .. هو لايشعر نحوها بعاطفة عشق ووله لكنه منجذب اليها ولجمالها في المرتبة الاولى .. يحب ردات فعلها عندما يصدمها بكلامه .. يحب الشعور بأنه يسيطر عليها وبأن هذا الجمال ملك يمينه .. والحق يقال لاشيء اروع من شعوره عندما يأخذها في احضانه لتكافأه بذوبانها .. يشعر بحبها الذي لاينطقه لسانها ... لم تقل يوما انها تحبه وهذا .. افضل ... لن يكون عدلا ان تقولها له هي بينما هو لن يقولها .. انه ببساطة لايشعرها هكذا .. لايشعر بهذا العشق الذي يتحدث عنه الشعراء ... عادت نظراته تحوم حولها لتلامس جمالها المتوهج في عتمة سيارته وقد احاطت بهم ظلمة المساء في هذا المكان المنعزل ... شوق اندلع فيه فلم يصبر على

اغظاتها اكثر فتقدم نحوها تسبقه ذراعيه اليها ليجذبها بعنف عاطفي فتلقى الاستجابة المتوقعة ..

لم يتوقف احمد عن الابتسام وهو يستلقي في فراشه ليلا ... منظر الفتاة وهو يحملها بينما هي حائرة اين تضع يدها لم يفارق مخيلته!! لقد كان يضم جسدها الناعم كله بينما هي تشعر بالحرج من يدها على صدره !! اخذ نفسا عميقا من سيجارته .. فكر انها جميلة حقا .. جميلة بطريقتها الخاصة ..بردات فعلها الطفولية وكأنها مراهقة !! منى تختلف عنها كثيرا فهي قوية الشكيمة وحازمة .. بينما مرام هذه تبدو كطفلة ارادت الذهاب لحفلة الامير الوسيم فارتدت ثوب السهرة الخاص بوالدتها لتبدو فاتنة ولكن بطريقة مضحكة !!... انه ليس غبيا لكي لايدرك ان هذه الفتاة متأثرة به .. انها صغيرة وعاطفية .. تنهد احمد وهو يسترجع تلك اللحظة قبل اسابيع عندما ضربت وجهه امواج شعرها الاسود ... اختفت ابتسامته تدريجيا وتلاشت افكاره عن تلك الفتاة الطفولية لتعود الذكرى المشتعلة لشهد ... كانت تحب اطلاق شعرها فتحركه الريح احيانا لتلامس وجهه .. يستغل هو الامر فيتشممه ثم يمد يده مدفوعا بقوة لاقبل له بصدها لتتغلغل اناملهُ بين طياته .. تعترض هي في خجل لكنها لاتمنعه بحزم... الحب كان الحكم الاول ... الحب والثقة ... احبته بقوة كما احبها هو بقوة وكما يدرك الان انه ما زال

يحبها .... حبها جعله يستطيع المقاومة ... مقاومة كل احتياجاته ... كل الاغراءات ..

صوت الرنة الخاصة بوصول رسالة نصية على هاتفه النقال اخرجه من افكاره المحمومة ... مد يده ليلتقط هاتفه وما ان فتح الرسالة حتى عبس ... جملة واحدة باردة كصاحبتها تماما " سارسل لك ايمن غدا مع السيدة زينب على طيران ال (...) الساعة الحادية عشرة صباحا تقلع الطائرة ... انه يزعجني وانا مشغولة جدا بحزم الامتعة والاثاث وشراء ما يلزم .. لااستطيع تحمل دلاله المفرط الذي عودته انت عليه ..." ..اوشك احمد ان يسحق اسنانه وهو يضغط على فكيه بعنف ... انه لايحتمل طريقتها هذه في التكلم عن ايمن .. انه يتحملها فقط من اجل ابنه .. انسانة غير طبيعية على الاطلاق ... كتلة متحجرة من الانانية والبرود ... و .. الجشع ... وجه فاتن يخفي قلبا بلا روح ... غلطة عمره كان ارتباطه بها ... غلطة لم تكن بيده ... وربما لهذا رحم الله بحاله ومنحه ايمن ...
تحركت انامله ليكتب ردا مقتضبا " سانتظره في المطار .." .....

تقلبت للمرة العاشرة في سريرها تلوم نفسها للمرة الالف على تصرفاتها اليوم ... اليست ناضجة كفاية ؟!! خيالها كان يعذبها بعشرات البدائل مما كان يجب ان تتخذها كواقع وهي تتعامل مع احمد اليوم ... خيال رقم واحد ...تقع من الشجرة يتلقفها بذراعيه تبتسم ببعض الاحراج ثم تشكره

وهي تنزل نفسها للارض وهو في المقابل سيتركها تذهب مراعيا لحرجها من الموقف ... و .. تنتهي الحكاية ... تقلبت على جانب آخر وخيال آخر ... تقع من الشجرة لتتلقفها ذراعيه تعتذر باحراج وتخبره انها بخير لينزلها هو بلطف ويسألها ان كانت بخير فتطمأنه بينما هو يستدير تاركا اياها في الحديقة وحدها تعاني .... البؤس !! شهقت بكلمة " يا الهي ..!!" بينما تنتفض من فراشها دافعة غطاءها بعيدا لتنزل ساقيها المكشوفتين تحت بنطال قطني قصير .. تحركت حافية القدمين نحو نافذة غرفتها لتتطلع عبرها للشارع الذي تطل عليه ... بدى الشارع موحشا بخلوه من المارة وخفوت الاضاءة .. موحشا كاحساسها تماما ... اليوم بدت غريبة الاطوار امام منى التي اخذت تنظر اليها نظرات متفحصة !! منى كانت غامضة بعض الشيء وهي تستمع لحكاية سقوطها من على الشجرة ثم لازمت الصمت للحظات بعدها ابتسمت وهي تقول باعتذار " اسفة عزيزتي .. يبدو انك موعودة بالمواقف المحرجة مع خالي ... " بعدها لم تتطرق للموضوع ولم تعلق بشيء على رغبتها بالمغادرة بعد نصف ساعة ....

تنهدت مرام وقالت تحدث نفسها " الامر اصبح مكشوفا اكثر مما يجب يا مرام .. وربما احمد نفسه قد لاحظ مشاعرك نحوه .. هذه النار التي تشتعل في داخلك ستجتذب الانظار ..." اطلقت تنهيدة اخرى وهي تحيط نفسها بذراعيها وتميل برأسها لتسند جبينها على زجاج النافذة ثم همست " ربما

حان الوقت يا مرام ... حان لتتخذي القرار بشأن فراس ... " ...

في الصباح ...

تثاءبت منى وهي تدخل المطبخ لتقول " صباح الخير .." لكنها لم تتلقَ ردا من امها التي كانت تجلس على احد الكراسي تمسك بيدها كوب الشاي بينما تشرد بنظراتها بعيدا ... عبست منى وهي تقترب من امها لتقول مرة اخرى " امي .. صباح الخير !!" اجفالة بسيطة اعترت امها وهي تلتفت اليها لتقول بدون تركيز " صباح الخير .." سألت منى بريبة " ما بك امي ؟!!" ردت الام ببعض غموض " لاشيء .. كنت سارحة قليلا .." ثم استقامت الام واقفة لتتحرك نحو حوض غسل الاواني لتسكب فيه محتوى كوبها وتقول بأسف " لقد برد الشاي .. سأعد واحدا آخر هل تريدين ان اعد لك واحدا معي ؟" ردت منى وهي تهز كتفيها " نعم لو سمحتِ ... كم الساعة الان ؟" قالت الام وهي تعد كوبين للشاي " اعتقد انها قاربت الحادية عشرة .." صمتت قليلا لتضيف بصوت بدى غريبا في اذني منى " لابد ان طائرة ايمن على وشك الهبوط الان .." قالت منى وهي تهب على قدميها بأثارة " ايمن ابن خالي احمد ؟!! " اكتفت نجاة بهز رأسها موافقة فقالت منى بعتب " لماذا لم يخبرني احد ان سهام وايمن سيصلان اليوم ؟!!" قالت نجاة وهي تعطي ابنتها كوب الشاي " لن

تاتي سهام .. فقط ايمن ستحضره امرأة يعرفونها .. الامر مفاجئ لي انا ايضا فاحمد لم يخبرني الا في الصباح وهو ينطلق للمطار .. قال انه قرر احضار ايمن لتتفرغ امه لاكمال امورها هناك كما انها ستكون فرصة ليعتاد علينا .." هتفت منى ببشاشة " انا سعيدة حقا بقراره ... سيكون ممتعا وجود طفل صغير في بيتنا ... " لكن نجاة بدت بعيدة جدا بافكارها فلم تبدي اي تفاعل !! قالت منى بدهشة بينما ابتسامتها تتراجع " امي .. مابك ؟! ماذا يحدث بالضبط ؟ لاتبدين سعيدة بمجيء ايمن عندنا !!" نفضت نجاة راسها وقالت وهي تجلس على كرسيها لترتشف من كوبها " لاتكوني سخيفة !! مؤكد اني سعيدة ... الامر اني مشغولة الفكر بعض الشيء .. تعلمين اريد التحضير لعرس حسين ويبدو ان سهام ستتأخر في الحضور ولااعلم الى متى سنؤجل العرس من اجلها .." تمتمت منى وكأنها تحدث نفسها " ربما انها فرصة لحسين ليعيد التفكير قبل فوات الاوان!!" لكن نجاة سمعتها جيدا فقالت في تحذير شديد اللهجة " امنعك من ابداء مثل هذه الملاحظات مرة اخرى .. واهتمي بنفسك وبامورك الخاصة .." مطت منى شفتيها تبرما لكنها لم تقل شيئا .. اخذت ترتشف شايها هي الاخرى عندما فاجأتها امها بأن قالت " من الافضل ان تسرعي بشرب الشاي وتناول الفطور ... مصطفى سيحضر بعد ساعة ليتكلم معك .." شرقت منى بشايها ثم قالت ما ان استعادت صوتها " مصطفى ؟!! وماذا يريد ان يقول ؟!! ألم نتفق على اعطائي مهلة للتفكير ؟!!" حدجتها امها

بنظرة جانبية لتقول بحزم " خطيبك طلب الاذن ليتكلم معك مباشرة ووالدك وافق .." عقدت منى حاجبيها لتقول بتمرد " انه ليس خطيبي .. بعد .." كزّت نجاة على اسنانها بغيظ ثم قالت بابتسامة غير حقيقية " حسنا ... جارنا مصطفى والذي تقدم لخطبتك يريد التكلم معك ونحن وافقنا .." اطرقت منى وهي تعبس بشدة بينما لسان حالها يقول " ما هذه الورطة ؟!!" ...

بعد ساعة ...

لاتعرف منى لمَ ارتدت هذا الفستان الزهري السخيف !! انه فستان اشترته لها امها وهي تقول سيناسبها تماما .. لكنها لاتشعر نفسها فيه بل تشعر وكأنها .. وكأنها ... قاطع افكارها صوت مصطفى الهادئ وهو يقول برقة " هل ستلتزمين الصمت لوقت طويل ؟!! " ردت منى بانفعال احمق غير مبرر " انت من طلب التحدث معي لا انا !!" ابتسم مصطفى وتطلع اليها بنظرات ناعمة عبر زجاج نظارته الطبية الانيقة ثم قال بعذوبة " ربما فستانك الزهري هذا يلهيني عن تجميع افكاري لاقول ما اريد ..." تقبضت يدا منى بينما تقول بتبرم " ابدو فيه .. " قاطعها ليقول بابتسامة مداعبة " كفتاة صغيرة حالمة تدخل القلب ولاتخرج منه .. كزهرة ناعمة تجتذب الانظار و تغري باللمس .." هبّت منى لتقف على قدميها ثم ابتعدت خطوتين وهي تقول بعناد " لكني لست فتاة حالمة ولست رقيقة كزهرة ... انا انسانة

واقعية احب ان انظر للامور هكذا لانها تجعلني اعرف يقينا اين اضع خطوتي القادمة ..." للحظات عمّ الصمت بينما توليه منى ظهرها سمعته يقول اخيرا وهو ما زال جالسا على الاريكة في غرفة الضيوف " هل يمنع الواقع ان يتغزل المرء بمن يحب ؟!" خفق قلبها عند ذكره للحب لكنها قاومت قلبها لتحكم عقلها فاستدارت اليه وهي ترفع ذقنها قليلا ثم قالت بثقة " لايمنع طبعا . لكننا في مرحلة نحتاج فيها للتأكد من صحة ارتباطنا في حالة حصوله ..فلا فائدة من ابداء العواطف دون منطق ..." وجهه اللطيف تحول للعبوس وهو يستوعب كلماته بهدوئه المعهود .. وقف على قدميه هو الآخر فشعرت منى بضآلتها بينما يشرف عليها هو بقامته الطويلة .. بدى

كشخصية صاحب الظل الطويل في مسلسل الرسوم المتحركة !! عضت شفتها وهي تفكر بسخافتها !!! ما علاقة مصطفى بشخصية من افلام الرسوم المتحركة ؟!! قال مصطفى بتعابير غير مقروءة " انا لن افرض نفسي عليك يا منى .. وصبرت عدة اشهر في انتظار رأيك .. في البداية تعللتِ انك تريدين انهاء سنتك الدراسية الاخيرة وانا تفهمت الامر لانك اوحيت لي ان الموافقة شبه محسومة .. !! " احمرت منى وهي تشعر بالخزي لانه يقول الحقيقة فعلا ليضيف مصطفى وهو يضع يديه في جيبي بنطاله البني " على اساس هذا - الايحاء - اعتبرت نفسي كخطيب لك فعلا .. حاولت التقرب منك لنبني علاقتنا على اسس جديدة بعيدا عن علاقة الجيرة وعشرة السنوات .. " لهثت رغما عنها

وهو يقترب منها اكثر لتحدق في عينيه وهو يكمل بصوت مبحوح " كنت ارسل لك رسالة نصية على هاتفك كل يوم تقريبا.. اعبر لك بكلمات ظننتها ستسعدك كما تسعد اي فتاة ولكني لم اتلقَ رد الفعل المتوقع !! وقلت لابأس .. ربما هي تخجل من ابداء مشاعرها او ربما هي لاتحبذ ان ابدي مشاعري بهذه الصراحة في هذه المرحلة من علاقتنا .." اخرج يديها ليتكتف وهو يقول " انتظرت وانتظرت .. لكن لا شيء !! لم يحصل شيء ولم تقولي شيء !! " قالت منى بشبه توسل وقد بدت في حالة ضياع " ارجوك مصطفى امنحني مزيدا من الوقت .." ضيّق مصطفى عينيه وهو ينظر اليها بعمق ثم قال بعد لحظات " انا آسف منى .. لااستطيع الانتظار لفترة طويلة ... كل ما سامنحك اياه هو اسبوعين ... اذا لم تردي عليّ بشيء ساعتبره رفضا لارتباطنا .." ارتجفت شفتاها رغما عنها فذابت ملامحه حنانا وهو يقول " عزيزتي .. انا افعل هذا لاجلنا معا ... ليس من مصلحتك امام الناس ان نبقى بهذا الوضع كما اني لااستطيع ان اعيش بأمل كاذب اكثر من هذا .. " تحشرج صوتها وهي تقول " آسفة مصطفى .. أنا .. أنا لااريد اذيتك ..انت عزيز عليّ فعلا .." شعرت منى بالألم في عينيه للحظات لكنه اخفاه سريعا ليبتسم وهو يقول " لاتعتذري .. من حقك اختيار ما ترينه مناسبا لك .." ثم تحرك مبتعدا نحو الباب المفتوح ليقول قبل ان يخرج " لاتنسي منى ... اسبوعان فقط .." وهكذا خرج مصطفى بينما تحدق منى

في ظهره حتى اختفى امام ناظريها ليأتيها صوته وهو يودع امها ببضع كلمات ....

مسحت منى دمعة هاربة من عينها وهي تقول عبر الهاتف " انا بحاجة للتكلم معك مرام ... ارجوك .. الا تستطيعين حقا الحضور ؟ امي حانقة عليّ واحتاج لمن اتكلم معه بهدوء .. " ردت مرام بضيق شديد تحاول اخفاءه " منى انا فعلا مرهقة .. السقوط من الشجرة في الامس كان مريعا بتاثيره عليّ .. ارجوك تعالي انت بسيارة اجرة وانا اعدك اني ساعيدك لبيتك بنفسي اذا لم يتمكن احد من عائلتك من فعل ذلك .." تنهدت منى وهي تقول باستسلام " حسنا ... كم احسدك لان لديك سيارتك الخاصة ولا تحتاجي للتذلل لاحد .." ابتسمت مرام رغم بؤسها ثم قالت " لاتكوني ظالمة !! والدك لايمانع ابدا في ايصالك او اعارتك سيارته ..." لكن منى اصرت قائلة " هذا صحيح ولكن حسين يضطهدني منذ ... منذ .. لاعليك .. انه يضطهدني منذ ولادتي وخالي احمد لايقل سوءا عنه .. لقد قال لي بالحرف لااسلم سيارتي بيد طفلة !!" تلك النار عادت للتوهج ما ان جاء اسمه ... كيف يمكنها الاحتمال ؟! هل ستتمكن فعلا من اخماد تلك الشعلة المتوقدة فيها دوما ؟!! نادتها منى عبر الهاتف " مرام ؟! اين ذهبت ؟؟" ردت مرام بارهاق نفسي وبدني " لاشيء عزيزتي .. انا بانتظارك ..." ..

شكرت مرام امها وهي تقدم لها ولمنى العصير بينما ابتسمت امها بحنو وهي تتركهما ليتحدثا مع بعض على انفراد في غرفة نوم مرام .. ما ان اغلقت

ام مرام باب الغرفة حتى قالت مرام بشكل مباشر " ماذا حصل ؟!" ردت منى بتنهيدة طويلة " مصطفى يهددني !!" عبست مرام قليلا وهي تتساءل بمرح " يهددك؟!! مصطفى الرقيق يهددك ؟!! اشك في ذلك .." هتفت منى بحنق " لاتمزحي مرام .. انه يهددني بغض الطرف عن موضوع ارتباطنا اذا لم اعطه رأيي خلال اسبوعين .." نظرت اليها مرام بغيظ ثم قالت بجدية " اقسم انه صبور بشكل يثير الاعجاب .." شهقت منى وهي تقول بعتب " هل انت معي ام معه ؟" زمّت مرام شفتيها لتقول بعدها بصراحة متناهية " تقولين دوما انك عملية وتفكيرك محدد الهدف وانا اعترف لك بهذا بل واحسدك عليه احيانا ولكني مع مصطفى لااراك هكذا !! انك تماطلين منى ...

لااعرف ولاافهم ما تريدين بالضبط !! اذا كنت غير مقتنعة به ارفضيه وانهي الامر .." ملامح منى نطقت بالرفض لما تقوله مرام لترد قائلة " لااستطيع .." حدّقت مرام في وجه صديقتها ثم قالت بهدوء " هل انت تحبينه ام تحبين حبه لك ؟؟!!" ارتبكت منى وهي تقول " لااعلم ... لاول مرة لااجد نفسي قادرة على تحديد ما اريد !! اشعر بعاطفة نحوه اعترف بذلك ويرضي غروري الانثوي تعلقه بي فانت تعرفين اعجابي به منذ الصغر ... لكن .." قالت مرام بهدوء يناقض الغضب المشتعل في عينيها " كم انت مغفلة !!.." هتفت منى " مرام ..أأ..." لكن مرام قاطعتها لتقول بحدة " نعم مغفلة ... هل تعلمين ما تضيعين من يدك بسبب افكارك الغريبة هذه ؟!!

ولكني لن اسمح لك بذلك .. وليذهب عقلك ومنطقك للجحيم ... اقسم اني لو اضطررت ساضربك على رأسك لتستعيدي عقلك وتدركي انك ستخسرين رجلا رائعا يحبك .." اطرقت منى براسها لتقول بتخاذل طفولي " حسنا .. لاداعي لكل هذا العنف ... " ثم رفعت راسها لتضيف " ساوافق على الخطوبة ... خطوبة فقط .. ما رأيك ؟؟ امي من اقترحت عليّ ذلك قبل ان تصرخ بي موبخة !!.." تنهدت مرام قبل ان تقول " الخطوبة الرسمية ملائمة كما اظن ... لكن هل تتوقعين مصطفى سيرضى بذلك ؟؟" ردت منى قائلة بثقة " ساقنعه ... دوما كنت بارعة في الاقناع ... ساقدم له اسباب منطقية وبنفس الوقت سارضيه باعلان ارتباط رسمي بيننا ..." غامت عينا مرام لتتنحنح قائلة " بمناسبة الكلام عن الخطوبة هناك .. امر ما .. اريد ان اخبرك عنه .." امالت منى رأسها جانبا وهي تقول " ماذا ؟!" ردت مرام بوجه متورد " أنا .. " ثم صمتت لتأخذ نفسا قبل ان تكمل " هل تذكرين فراس ؟! " عبست منى وهي تقول " ايّ فراس ؟؟!" ردت مرام وهي تكافح شعورها بالاختناق " احد اقارب والدي رحمه الله .." تساءلت منى في حيرة " هل حدثتني عنه سابقا ؟ " هزّت مرام راسها وهي تقول " نعم .. اقصد اني اخبرتك عنه لانه يزورنا كل فترة مع والديه .. للسؤال عنا والاطمئنان على احوالنا .." اعتذرت منى قائلة " اسفة لااذكر ..ما به هذا الرجل ؟!" ابتلعت مرام ريقها لتقول " انه شاب في الثامنة والعشرين طبيب عام و .. وسيم .. اخلاقه طيبة

جدا .." رفعت منى كلتا حاجبيها وهي تبتسم بمكر وتقول " و ...؟" قالت مرام اخيرا " يريد ان يتزوجني .. وانا .... وافقت ..." ...

انحنى احمد ليرتكز باحدى ركبتيه على ارضية المطار البيضاء مستقبلا هذا الجسد الصغير الراكض نحوه بلهفة تماثل لهفته ... رؤية وجهه المبتهج كان اشراقة في حياته بل الاشراقة الوحيدة !!.. ركض ايمن نحو والده بعد ان تحرر اخيرا من قيود المعاملات الروتينية للخروج من بوابة الواصلين للمطار ليتحرر بعدها من كف المرأة التي رافقته في رحلته وها هو يرمي بجسده الصغير ليستقبله صدر والده بعاطفة تنسيه الدنيا وما فيها ...

همس احمد في اذن ولده وهو يتشمم رائحته " اشتقت اليك .. كيف انت يا صغيري ؟" تطلع ايمن لوالده بعينين تماثلان عينيه ثم قال بتلعثمه المعتاد " اي.. ايمن.. يحب با... بابا .. " فرد احمد بحنان متدفق وهو يعود لضمه " وبابا يحبك يا صغيري .." ثم حمله ليقف على قدميه وهو يحيي السيدة زينب جارتهم في الغربة ... امرأة اربعينية بشوشة الوجه .. قال احمد بامتنان " اشكرك جدا لاحضار ايمن ... وانا اعتذر اذا اتعبك خلال الرحلة .." ردت وهي تداعب شعر ايمن بابتسامة لطيفة " لاداعي لتشكرني .. بل انا من يجب ان اشكر ايمن على رفقته الممتعة .." ابتسم ايمن بفخر وهو يشدد من تعلقه بعنق والده فابتسم احمد ولم يعقب بشيء واخذ يدفع عربة حمل الحقائب بعد ان وضع ايمن

بحركة واحدة على كتفيه ... لم يلاحظ احمد نظرات السيدة زينب اليه .. لم يلاحظ كم التساؤلات التي نضحت بها تلك النظرات ....!!

تطلعت نجاة لاحمد وهو ينام بملابسه محتضنا ايمن لصدره ... بديا جميلين بشكل يسلب القلب .. لحد الان لم تتقبل تبريره للمفاجأة بوصول ايمن .. بمفرده ... تبريره الغامض انه هو من اقترح ذلك على سهام حتى تتمكن من اكمال مهامها سريعا بينما ايمن يحظى بصحبة عائلته لم يقنعها تماما... لم تعد نجاة قادرة على الصبر اكثر !! عليها ان تكلمه الان ... عليها ان تفهم ما يحدث قبل حضور سهام والذي قد يحدث في اي وقت ... ربما المشكلة بينهما لاتتعدى سوء تقدير من احمد وببضع كلمات سترشده ليتصرف بشكل صحيح مع زوجته ... حامت نظرات نجاة حول وجه الصغير الشبيه بوجه والده ... ثم همست " ايمن يستحق ان يعيش في ظل استقرار عائلي ... اذا كان الان صغيرا ولايشعر بذلك فبعد سنتين او اكثر سيشعر .. سيشعر بقوة وسيتألم .." دون شعورها عقدت حاجبيها ثم انحنت نحو احمد لتلامس كتفه واخذت تهزه بلطف قائلة " احمد ... استيقظ .." للحظات رمشت عينا احمد ثم اخذ يفتحهما ببطئ بينما النعاس ما زال عالقا بهما ... ابتسمت له لتحثه قائلة " استيقظ عزيزتي ... لقد نمت لساعتين كاملتين بعد الغداء .. تعال وشاركني شرب القهوة بدلا من ان اشربها لوحدي فالجميع خرج .." قال

رفقاً بقلبي

بقلم كاردينيا٧٣

احمد بتثاقل " حسنا نجاة ... سانزل حالا .." ابتسمت وهي تبتعد .. قلق وتوتر اعترياها.. قلق من ان يكون الامر بين احمد وسهام اكبر مما تعتقد .. أو.. تأمل !!

تمطى احمد باسترخاء وهو جالس على احد الكراسي في المطبخ بينما نجاة تضع امامه فنجان القهوة خاصته لتجلس على كرسي قريب وترشف من فنجانها ... اخذ احمد بضع رشفات من فنجانه مستمتعا برائحة القهوة قبل مذاقها ...

رفع احمد نظراته نحو اخته وهو يقول بغموض " اين منى ؟ " ردت نجاة بلا تركيز " ذهبت لبيت مرام .." تمتم احمد " امممممم .. مرام .." ابتسمت نجاة وهي تقول بمرح " هل حقا حملت الفتاة البارحة ؟!!" ضحك احمد من قلبه وهو يقول " احملها افضل من ان تتكسر عظامها الرقيقة على الارض .." ضيّقت نجاة عينيها قليلا وهي تقول " اذن عظامها كانت رقيقة ؟!" رد وهو يهز كتفيه ومسبلا اهدابه " جسدها رقيق جدا .." ساد الصمت للحظات لتقول نجاة فجأة " احمد ... اريد ان تخبرني بصراحة ووضوح عن علاقتك بسهام .." رفع احمد رأسه بحدة وهو يتطلع لاخته بنظرات غريبة .. لم تبالِ نجاة بردة فعله واصرت قائلة " انا امك قبل ان اكون اختك ... عليك ان تخبرني لاساعدك ... لاتنكر ان علاقتك بها سيئة اكثر مما قلت لي سابقا ... لقد لاحظت احمد .. لاحظت كيف تكلمها باقتضاب شديد على الهاتف .. لاحظت برودك الصاعق الذي يصاحب كل كلمة

تقولها لها .. هذا امر غير طبيعي وغير صحي ايضا ..." رد احمد بشراسة ساخرة " غير صحي لي ام لها ؟!" قالت نجاة بحزم تقاوم رغبتها في التخفيف عنه " غير صحي لكما معا .." وضعت يدها على يده المتشنجة على الطاولة قرب فنجانه وقالت بحنان " وغير صحي لايمن ايضا .." عند ذكرها لايمن هبّ احمد واقفا على قدميه ليدفع كرسيه وهو يقول بتحشرج " ايمن بخير ... ساجعله دوما بخير .." وقفت نجاة على قدميها ايضا وقالت بهدوء " كيف ستجعله بخير بعد سنتين او ثلاثة عندما يلاحظ برودة العلاقة بين والديه ؟!!" تشنج جسد احمد اكثر واكثر ولكنه استدار ليبتعد وهو يقول بألم " لاتضغطي عليّ يا نجاة ... لاتحمليني فوق طاقتي ...يكفيني ما اعانيه ..." لكن نجاة لحقت به لتمسك بذراعه وهي تقول " انا لن اتركك حتى تفهمني ما يحصل بينك وبين سهام ... ماذا هناك ...؟ اخبرني احمد ... ربما الامر اسخف مما تتصور ... ربما ساساعدك لرؤية امور انت لاتعرفها عن النساء ...اقصد امورا لايفهمها الا النساء عادة.." اشتعلت عيناه بلهيب غريب ثم قال من بين اسنانه " ماذا تريدين انت تعرفي يا نجاة ؟!! هل تريدين ان تعرفي امورا عن النساء ؟!!حسنا ساخبرك بالكثير.... فربما تستطيعين انت تفسيرها لي ..." اقترب بوجهه منها وهو يقول بملامح تنضح بالكره والاشمئزاز " هل تريدين ان تعرفي مثلا متى كانت اخر مرة عاشرت فيها زوجتي المصون ؟؟" اتسعت عينا نجاة في صدمة ليتبعها احمد بصدمة اخرى وهو يقول بتعابير



هائجة " ساخبرك يا اختي .. قبل سبعة اشهر بالضبط !!" ..

الفصل الرابع

موعود .. اغنية لعبد الحليم

الدهشة علت وجه منى وهي تردد " وافقتِ؟!! " لم تجرؤ مرام على النطق لانها توشك على البكاء !! فاكتفت بهز راسها ايجابا فعادت منى لتقول بعينين عاتبتين " متى تقدم لك ومتى وافقتِ ؟!! انت لم تخبريني عنه ابدا !!" تماسكت مرام لتحاول الرد قائلة " لقد .. تقدم لي .. منذ اشهر ولكني .." هتفت منى " منذ اشهر ؟!! ولم تخبريني يا مرام ؟؟" ابتلعت مرام ريقها والضغط الذي تمارسه على نفسها يوشك ان يتحطم .. قالت بصبر " لم اخبرك لاني لم اوافق بوقتها فلم اعر الامر اهمية .." لكن في قلبها قالت (لم اخبرك لاني لم اكن املك ردا مقنعا لرفضي له غير اني واقعة في غرام خالك !!) عادت منى لتقول بلهجة متهمة " هذا ليس عذرا ... انا اخبرك بكل شيء عني ولكنك اخفيت عني موضوعا مهما كهذا!! هل لهذا السبب كنت بحالة غير طبيعية في الاونة الاخيرة ؟؟" للحظة ارتعشت من المعرفة .... معرفة منى انها لم تكن طبيعية ... ردت بتلعثم " نعم .. انا .. اقصد ... فراس لم يتقبل رفضي كرد نهائي وقال لي انه ...سيمنحني الوقت لاعيد التفكير ولن يضغط عليّ ... انا .... فكرت جيدا .. و ... اقتنعت به ...اليوم صباحا ابلغته امي بذلك ... اقصد بموافقتي ..." ما زالت

منى تنظر اليها بعبوس فترجتها مرام قائلة " لاتحنقي علي ... كنت مشوشة جدا وكان يجب ان اتخذ القرار .." اشتد عبوس منى وهي تقول " ولكني اشركك في كل قرارتي فلماذا لاتفعلين المثل ؟ الا تثقين بي ؟؟" التمعت عينا مرام بالدموع لتقول بارهاق " ليس هذا السبب .. افهميني منى .. انا فعلا كنت مشوشة .. وكنت على وشك الرفض لكني اعدت حساباتي وحكّمت عقلي لا عاطفتي ووجدته شابا رائعا وساكون مغفلة حقا برفضه ..." لكن منى استمرت بحدجها بنظرات غاضبة فتوسلت اليها مرام قائلة " ارجوك منى ... احتاج دعمك ... حقا احتاجه لاشعر اني اقدمت على خطوة صحيحة .." تغيرت نظرات منى ليشوبها التساؤل فقالت " ما الذي يقلقك ؟! أ لأنك لاتشعرين بعاطفة خاصة نحوه ؟" هزّت مرام كتفيها وهي تسبل اهدابها لتقول بضعف " ربما ... لكن امي تقول انها احبت ابي بعد الزواج فزواجهما كان تقليديا بحتا لكنه نجح وبشكل رائع.." اشفقت منى على حال صديقتها خصوصا وه تلاحظ شحوبها لاول مرة وتلك الهالات السوداء تحت عينيها فقالت برقة " حسنا مرام بامكانك ان تفعلي مثلي ... اقصد ان تخطبا فقط وتؤجلي الزواج حتى تتأكدي .." رفعت مرام يدا مرتعشة لتمررها في شعرها باضطراب وهي تقول " فراس يريد عقد قران .." ابتسمت منى مشجعة لتقول بلطف " انه مستعجل !!يبدو انه يحبك فعلا " ازداد اضطراب مرام وبدى ذلك واضحا في ارتجافها ... في نظرة عينيها الزائغتين ... في حركة يديها وهي

تنقلهما هنا وهناك !! قالت منى وقد استبد بها القلق " مابك مرام ؟!!" للحظات عقد الصمت لسانها فلم تستطع النطق بينما شحوبها يتضاعف لتقول في النهاية بضعف شديد " لاشيء .." لكن منى كانت ابعد من الاقتناع بكلمة باهتة كهذه فقالت في اصرار " لماذا اشعر انك تخفين امرا عني .." بارادة لاتعرف من اين اتتها قالت مرام بابتسامة انتزعتها انتزاعا " انت تتوهمين ... انا فقط مرتبكة من فكرة الارتباط .." ردت منى وهي تحدق فيها " اليس غريبا انك كدتِ تضربيني على راسي لارتبط بمصطفى بينما تبدين بهذه الحالة الغريبة لقبولك الارتباط بفراس ؟!! " هدوء غريب اجتاح مرام .. لاتعرف هل هي منحة من المولى ليساعدها في هذه اللحظة ؟!! شعرت كانها لم تعد هي نفسها ... كأنها انفصلت تماما عن مرام التي تتمرغ في تراب العذاب ... قالت بلهجة هادئة تعكس حالتها " الوضع مختلف .. انت تكنين المشاعر لمصطفى وتوافقين عليه وكل موانعك ليست منطقية رغم انك تعتقدين انها منطقية !! " هتفت منى بتمرد " مرام !! هل تسخرين مني ؟!!" ابتسمت مرام براحة كبيرة عندما تحول الحديث بعيدا عنها لتقول " انا لااسخر ... لكنك تبالغين احيانا .. " وبحركة فاجأت منى اقتربت مرام لتحتضنها وهي تقول " كوني سعيدة يا منى .. دعينا نكن سعيدتين ..الا نستحق ذلك ؟!!" ضمتها منى هي الاخرى لصدرها وقالت بفرح حقيقي " مؤكد نستحق .." ...

رفقاً بقلبي

بقلم كاردينيا٧٣

عينان متجمدتان من الصدمة وشحوب غزا وجه نجاة كما غزا الهلع قلبها ... تنظر لصغيرها الذي ربته وهو يلهث من فرط غضب طال كبته وعيناه الجميلتان تقدحان شررا و ... ألما ... عجزا و.. حاجة ... همست بتحشرج وهي تحاول التماسك " لماذا احمد ؟!! " ضرب على الحائط بقبضته ثم قال بصوت ينضح بما يعانيه من الكبت " لانها .. لاتريد ... لاتريد الا بثمن !!" شهقت نجاة وهي تضع يدها على فمها تحاول استيعاب ما يقول ... فاجأها بضحكات عنيفة وهو يضيف " اجل يا اختي حتى الزوجة يمكنها ان تلعب دور المو..." سارعت نجاة لتضع يدها على فمه تمنعه من نطقها بينما عيناها ترشحان بالدموع وهي تقول بصوت مخنوق من الالم " لاتقلها .. اتوسل اليك ...

انها ام ابنك .." ابعد راسه بحدة وهو يلتفت ليوليها ظهره ... لحظات طويلة مرت وهي تنظر لجسده المتشنج بينما ينكس راسه بانفعال واضح .. لم تعرف ما يجب ان تقوله .. عقلها لايسعفها ليستوعب ما قاله للتو ... جاء صوته متخنا بالالم .. متخنا بالشعور بالاشمئزاز الذاتي !! قال " في اول الزواج ظننت برودها خجل وعدم تعود على العلاقة الزوجية ... ظننت تباعدها عني نوع من الخجل الفطري ... لكنها صدمتني منذ البداية بعدم رغبتها في الانجاب حاليا !! صبرت رغم اشتياقي للاطفال واقنعت نفسي انها ربما ما زالت صغيرة وتريد الحياة بحرية وقلت انها فرصة لنتقارب .. لنبني مشاعر متبادلة .. اقسم اني حاولت جهدي ان اتقرب منها .. حاولت ان اجد

فيها عزاءا لخسارتي لشهد .. لكنها كانت تبتعد .. انسانة سطحية سخيفة لاتهتم الا بملابسها ومجوهراتها واماكن جديدة تمرح فيها لتبذر المال !! " لم تجرؤ نجاة على مقاطعته وظلت تنصت لكلماته التي كانت كجروح تتفتق ليسيل منها دم فاسد متقيح !! اكمل قائلا بصوت ميت " عندما وافقت اخيرا على الحمل تنفست الصعداء وقلت ستغيرها الامومة .." صمت قليلا ليلتفت اليها وعيناه ميتتان كصوته وهو يكمل " طوال اشهر الحمل كانت متذمرة نزقة كارهة لحالها وكارهة لي شخصيا !! حتى انها منعتني من الاقتراب منها وادّعت كذبا ان الطبيبة النسائية من طلبت هذا وانا صدقتها لاكتشف كذبتها صدفة بعد الولادة ومن فم طبيبتها نفسها .." لم تبالِ نجاة بمسح

دموعها بينما تنتظره يقول المزيد .. كانت تنظر اليه وتتمنى لو تواسيه بأي طريقة ولكنها عاجزة ... عاجزة عن فعل شيء !! ابتسامة حانية شقّت فمه المتوتر وهو يقول " لكني سامحتها .. سامحتها طواعية وبشكل عفوي ما ان وقعت عيناي على ايمن ... نسيت كل شيء ما ان امسكت بيده الصغيرة ... مسح كل ضغينة من صدري ما ان ضممته بين ذراعي ..وقلت فلنبدأ صفحة جديدة ... " غلفته الكآبة بسوادها كما غلفت كلماته " لاشهر طويلة كانت بمنتهى البرود وانا تصورت ربما هذه الاثار طبيعية لما بعد الولادة .. الامر ليس في العلاقة الزوجية وحدها يانجاة بل انها كانت تعاملني باسلوب غريب ... تتعمد القسوة .. تتعمد ان تسمعني كلمات منفرة !! وانا لم اكن

افهم السبب حتى ادركت انها تفعل ذلك حتى لاقربها !! لقد جعلتني اشك بنفسي .. برجولتي .. بشخصي !! " بيد مرتعشة لامست نجاة جانب وجهه لتقول بقلب موجوع " وهل يوجد رجل بمثل شخصك وجاذبيتك ؟!!" تغاضى احمد عن كلماتها ليطرق برأسه ويقول " ما حزّ في نفسي اكثر تصرفاتها مع ايمن ... رفضت ارضاعه من صدرها وطالبتني باحضار مربية له لتساعدها رغم ان امكانياتنا المادية لم تكن تسمح في ذلك الوقت وايمن كان طفلا هادئا ووديعا .." تنهد بحرقة ليضيف " بعد ان طال الامر ومع مرور اشهر عجاف من الانفصال الروحي بيننا قبل ان يكون انفصال جسدي قمت بسؤال طبيب اعرفه .. كان الامر محرجا للغاية بل مذلا ومهينا لكني اردت انقاذ زواجنا .. الطبيب نصحني باخذها لاستشارة طبيبة نسائية و طمأنني انها قد تكون مشكلة تافهة وحلها بسيط جدا .." ضحك احمد بسخرية مريرة وهو يتطلع لوجه اخته الباكي ثم قال " قامت الدنيا ولم تقعد عندما فاتحتها بالموضوع ... جعلتني اشعر اني رجل خسيس لايبحث الا عن ملذاته واتهمتني بالسخافة وقلة العقل !! " اطبق فمه بقسوة ليقول بعدها " اعترف اني انفجرت بوقتها .. كنت في حالة احتقان شديد ولم احتمل اكثر ... جعلتني افقد السيطرة تماما لاضربها بقسوة على وجهها اكثر من مرة... " غامت عيناه مكملا " كان ايمن بعمر السنة .. لم اتنبه لوقوفه في سريره وهو يتطلع الينا عبر باب الغرفة .. اخذ يصرخ ويبكي بهستيرية لم ارها منه سابقا وعندما ركضت

نحوه لاهدأه رفضني !!" اغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول بألم وحشي " رفضني يا نجاة ورأيت في عينيه خوف .. خوف وبغض !!ايمن الذي كنت احتمل كل هذا من اجله جعلني اشعر بالقذارة من نفسي .." هتفت نجاة بلوعة " لاتقل هذا حبيبي .. لقد كان طفلا صغيرا وراءه رؤية ما يحدث .." مرر احمد يده في شعره وهو يقول بياس " المهم اني كنت السبب في رعبه هذا ... في نفوره ... كرهت نفسي واقسمت من يومها اني ساتماسك اكثر من اجله وهكذا بدأت رحلة تعذيب اخرى !!" عقدت نجاة حاجبيها وقالت بوجوم " اي تعذيب جديد ؟!!" ابيضت شفتاه وهو يرد قائلا " عدت لسؤال صديقي الطبيب واخبرته صراحة برفض زوجتي لزيارة طبيبة واستشارتها بالامر .. لذلك حاول مساعدتي بنفسه ... اخبرني ربما السبب انها بحاجة لتدليل اكثر وعواطف اكثر .." اغمض عينيه ليقول " كنا نحن الاثنان غبيان في نظرتنا للموضوع .." همست نجاة بتحشرج " ماذا تقصد ؟!!" ابتسم باسى ثم قال " لاشهر خدعتني .. اغدقت عليها بالهدايا .. منحتها جل وقتي واهتمامي .. طبعا الوقت والاهتمام كان مخصصا لاخراجها لعدة اماكن لغرض استمتاعها وبهجتها .. لفترة تغاضيت عن شعوري بأنها تستغلني وقلت في نفسي لاباس .. كله لاجل ايمن ... لكن الامر اصبح لايطاق !!" التفت احمد وكأنه يشعر بالخجل مما سيقوله " لقد وصل بها الحال لتطلب قطعة مجوهرات لترضى عني .. لتعطيني حقوقي كزوج .. لتكون بمزاج جيد معي .. عندها

اصابني الاشمئزاز منها ومن نفسي فانزويت مبتعدا عنها ... فقدت رغبتي لاي تواصل معها.. عشت حياة غريبة ادور في فلك اغرب .. اوشكت ان اطلقها عدة مرات بعد ان عجزت عن تقويمها فتتوسل الي لاسامحها او تهددني بأخذ ايمن مني !! كانت تبتدع الضغوط وانا كنت اتراجع من اجله ... من اجله هو .. رغم كل جفائها معه الا انها تبقى امه يختبئ في احضانها ليغفو .. يدس جسده الصغير بين ساقيها وهو يمسك بطرف ثوبها .." كانت نجاة تحترق !! شعور بالغضب والالم سيطر على حواسها وهي تتخيل اي حياة عاشها احمد مع هذه المريضة سهام ؟!! اخيرا سمعته يقول بسخرية باردة قاسية " وانتهى كل شيء بيننا تماما عندما عدت باكرا في احد الايام لاجدها تكلم امها على الهاتف .. كانت تخبرها بحبوب الحمل التي تأخذها دون ان اعرف فقد ادّعت امامي انها توقفت عنها في بادرة مزيفة لتحسين العلاقة بيننا .." همست نجاة رغما عنها " يا الهي !! " نظر احمد لاخته وهو يقول باستخفاف " هل صدمك هذا ؟!! فما رأيك اذا قلت لك انها سمعتها تضيف قائلة لامها انها تعمل بنصيحتها ولا تعطيني حقي كزوج الا اذا منحتها هدية قيّمة !!" هتفت نجاة بعدم تصديق " انها مجنونة !! هي وامها مجنونتان .." رد احمد بشرود " اوشكت ان اشبعها ضربا وبدلا من ذلك خرجت من البيت .. تركتها لاسبوع كامل حتى اهدأ ولااتصرف بعنف معها ... توصلت اخيرا لحل يرضي جميع الاطراف " ظل على شروده وكانه يعود لذلك اليوم .. قال " اخبرتها اني

باقٍ معها من اجل ايمن فقط وستظل زوجتي امام الناس ولن اقصر معها في شيء لانها ام ابني ومسؤولة مني .. قلت لها صراحة ان علاقتنا انتهت كازواج واذا شاءت في يوم الطلاق عليها ان تتنازل عن ايمن اولا .." اتسعت حدقتا نجاة وقالت " وهي رضيت ؟!!" ضحك بخفة وهو يقول " بل كانت سعيدة مبتهجة !! اخبرتني صراحة ان هذا الاتفاق يناسبها تماما .." عقدت نجاة حاجبيها لتسال بصراحة " هل هي مريضة حقا ؟!!" هزّ رأسه وقال " لايهمني نجاة ... انها لاتهمني ابدا ... فما قالته لامها في ذلك اليوم لم يكن يمت للمرض بشيء .. مجرد انسانة وصولية كاذبة تعشق المال .." عبست نجاة لتقول بانفعال " وماذا بعد ؟!! هل ستكمل معها بهذه الطريقة ؟!" رفع راسه قليلا ليقول بحزم " انا مستعد لفعل اي شيء من اجل ايمن .." ارتفع صوت نجاة رغما عنها وهي تقول " وماذا عنك انت ؟!! انت في اوج الشباب وقمة الرجولة .. قلبك هذا يطفح بالعاطفة .." كانت تشير بسبابتها على مكان قلبه .. امسك احمد بسبابتها ليشير به لمكان قلبه مرة اخرى وهو يقول بيأس " هذا القلب جرّب الحب مرة واحدة يا نجاة ... حب كان عميقا وقويا لدرجة اني اقتات عليه لحد الان ... كان ملجأي وانا اعاني الامرين مع سهام .." ثم ترك اصبعها لينزلق من يده وهو يضيف " هذا نصيبي يا اختي وانا راض بما قسمه الله لي..." همست نجاة بتحشرج " ولكن احمد ... هذا لايعقل .. لايمكن ان تمضي بحياتك دون وجود امرأة .. من حقك ان تبحث عن امرأة تسعدك .."

رد احمد بصوت ميت " هل ساعود لخوض نفس التجربة يا نجاة ؟!! لهذا لم اخبرك عن الامر ... كنت اعرف انك سترهقيني وانا في حاجة لاستعيد هدوء نفسي بعد تجربة مريرة فاشلة ..." لكن نجاة اصرت قائلة " لماذا الياس ؟!! حياتنا فيها الكثير من التجارب الفاشلة ... وتجربة ناجحة تنسيك التجربة الفاشلة ..." رد احمد بسخرية ذاتية " تزوجت سهام لانسى شهد ثم تريدين مني الان ان اتزوج اخرى لانسى الاثنتين !!" نظر لاخته بعينين شفافتين وهو يضيف " لقد تعرضت للاغراء كثيرا .. هل تعرفين كم امرأة تتحرش بي وتعرض نفسها عليّ ؟! لكني لست فاسقا كما اني امقت الخيانة " قالت نجاة لتحاول اقناعه " لاافهم لماذا لاتتزوج عليها ؟ هذه ليست خيانة .. فالشرع يحلل لك ذلك " استدار احمد ليتحرك مبتعدا وهو يقول " اغلقي الموضوع يا نجاة ... لاتضغطي عليّ ... انا عدت للوطن لالتجئ لدفئكم .. ساعديني ولا تحمليني فوق طاقتي ..." وهكذا تركها تقف مشدوهة وهي تستعيد حوارهما بنوع من عدم التصديق .. لكنها همست اخيرا " بل انت من تحمل نفسك ما لاتطيق !! ولن اكون نجاة التي ربتك صغيرا ان لم اخرجك مما انت فيه .." ..

بعد ساعتين ...

خلع كريم سترته ليعلقها في خزانة الملابس وهو يقول " احذرك نجاة مما تفكرين فيه .." كانت قد اخبرته نجاة لتوها عن حوارها الاليم مع احمد

بعدها سرحت بعيدا .... قالت اخيرا ردا لتحذيره " ماذا تقصد ؟!!" فتح ازرار قميصه وهو ينظر اليها بهدوء ثم قال " انت تفكرين بتزويجه مرة اخرى اليس كذلك ؟؟ رغم انه طلب منك صراحة عدم الضغط عليه " احمرت قليلا وهي تدافع عن نفسها قائلة " ولِمَ لا ؟" حرّ سبابته امامها بتحذير اشد وهو يقول " لاترتكبي الحماقات ..يكفي ما يعاني من زواجه بسهام .." شدت نجاة قامته القصيرة لتقول بانفعال " عندما كشفت لك عن حال احمد مع تلك الغبية كان لاجعلك تدرك اسبابي لما سافعله .." ضيّق كريم عينيه ليقول " بل كشفت الامر لتجبريني على السكوت لما ستفعلينه !! انا اعرف عقلك هذا كيف يعمل .. كما اعرف عاطفتك القوية تجاه احمد ستجعلك تتهورين .."

نظرت اليه بعتب وهي تقول نافية اتهامه " انا لست متهورة ... ولا افعل شيئا يغضب الله ... بالعكس انا احافظ على اخي لكي لايرتكب معصية دون ارادة منه ... بالله عليك كيف لرجل مثله ان يعيش هكذا ؟!! ان نظرات النساء تلاحقة اينما ذهب فلماذا لايختار وبالحلال من تسعده ..." ابتسم رغما عنه وهو يرى انحيازها الكامل لاخيها ثم قال بتفهم " انا اتألم من اجله ايضا ولست ضد ان تحاولي مساعدته ولكني احذرك من التهور وزج امرأة جديدة في حياته ... على الاقل ليس الان .. " تجاهلت جملته الاخيرة ورفعت حاجبيها لتقول بمكر انثوي " ومن قال ساختار امرأة ؟!! بل ستكون فتاة ... فتاة في ريعان الصبا والشباب لتمنحه كل الحب الذي يستحقه .." وضع كفه على

جبينه وهو يقول " يا الهي ... ارجوك عزيزتي ... فكري قبل ان تقومي بهذا .. احمد حياته معقدة ولايجب ان نظلم فتاة معه .." عبست نجاة في استهجان وقالت " كيف نظلمها ؟!! ستكون محظوظة من تحظي برجل كأحمد شغوف وعاطفي .. صبور ومحب .." عاد ليحذرها قائلا " انت تنحازين له كالعادة ولم تعتبري من دفعه ليتزوج بسهام قبل سنوات .." فابتأست قائلة " لاتكن ظالما يا كريم ... انت ايضا شجعتني لافعل ذلك .." هزّ رأسه ليقول " اعترف اني قلت بوقتها يجب ان يبدأ حياة جديدة لينسى خسارة شهد لكني لم اكن راضيا عن التسرع في اختيار سهام .." قالت نجاة بحماسة " هذه المرة لن نتسرع .. ساتروى كثيرا حتى اتأكد من الفتاة .." نظر اليها

كريم ببعض القلق ثم قال " تتكلمين وكأنك حددتِ الفتاة ؟!!" التمعت عيناها وهي تقول ببهجة طفولية " ربما وجدتها فعلا .." قال كريم دون ان يخفي توجسه " هل احمد لديه فكرة عمّا تخططين له ؟" ردت بتهرب " ليس مهما ان يعرف الان ... ساجعل الامر يبدو عفويا وسانتظر رد فعلهما معا .." اقترب كريم منها ليقول بحيرة " من تقصدين ؟!! من هي الفتاة ؟" هزّت راسها بامتناع وقالت " لن اخبرك الان .." مد كريم يده ليضعها على خدها وقال " احذرك للمرة الاخيرة يا نجاة .. المشاعر ليست لعبة واحمد ليس شابا غرّا لتتلاعبي به كأم متسلطة .. " ابتسمت بحنان وهي تحرك خدها تستمتع بملمس كفه على بشرتها ثم قالت " تسلطي هذا كما تحب ان تصفه سينقذه من

الطريق المجدب الذي اختار ان يسير فيه .. " حرك يده ليلامس ذقنها وهو يقول برجاء " اتوسل اليك نجاة دعي احمد يحل شؤونه بمفرده .. انه ناضج وذكي وقادر على ايجاد الحلول .. هو الان في حالة لاستعادة التوازن .. ما حدث مع زوجته طوال سنوات انهكه واذله.. حالة الرهبنة الجسدية والعاطفية التي فرضها على نفسه فسحة راحة ليستعيد ذاته كرجل بعد ان ادرك وواجه حقيقة زوجته .. امنحيه الوقت ولاتدفعيه الان ليدخل تجربة جديدة .." ترقرقت عيناها بالدموع وهي تنظر اليه وتقول " انت لاتعرفه مثلي .. احمد لايستطيع العيش بدون حب واهتمام .. وهذا هو السبب في تمسكه بذكرى شهد .. لقد اصبحت الذكرى بالنسبة اليه كمخدر .. لن اقف مكتوفة اليدين وانا اراه يفني سنوات شبابه في قتل ذاته عاطفيا هكذا .." ابتعد كريم عنها ليقول باحباط " لافائدة .. ستفعلين ما براسك وكم اخشى من العواقب .." لكن نجاة ردت مطمئنة اياه " لاتخشَ شيئا .. فانا لن اتسرع كما تعتقد .. كل ما سافعله اني ساحاول وضعها في طريقه وساترك الباقي لهما .." عاد لينظر اليها بحيرة وهو يسأل " الن تخبريني من هي ؟!" ابتسمت بغموض وهي تقول " ربما ستعرفها قريبا دون مساعدتي " رد بابتسامة " لافائدة منك ... حسنا يا غامضة سخذ حماما بعدها ساذهب لاحضار منى من بيت مرام .. اتمنى ان يكون رأيها استقر اخيرا حول ارتباطها بمصطفى .." استغرب قليلا من ابتسامتها الشاردة لكنها ما ان لاحظت نظراته تلك حتى قالت بمرح "

حسنا عزيزي .. اتوقع ان تعود ابنتنا ومعها عقلها لتقول نعم لمصطفى .." ثم اقتربت منه لترفع نفسها قليلا وتقبل خده فقال بعبوس مرح متسائل " لمَ هذه القبلة ؟!!" اتسعت ابتسامتها وهي تقول " لا لسبب محدد .." امسك وجهها بين كفيه ليقول بصوت مبحوح " بل لسبب يا ماكرة ... تعرفين كيف تجعليني طيعا بين يديك الصغيرتين هاتين .." ....

في غرفة الضيوف ببيت سوسن ...

ابعدها بصعوبة كبيرة عنه وهو يقول لاهثا " لم اعد احتمل .. ساخبر امي اني قررت تعجيل زواجنا .. لن انتظر عودة زوجة خالي .." كانت تلهث هي الاخرى بينما تطرق براسها وكانها تخفي نظاتها الخجلى عنه .. قال وهو يداعب خديها " انظري الي سوسن ..احب رؤية تعابير وجهك الفاتن وانت بين ذراعي ..احب الشعور ان كل هذا الجمال المغوي والذي يخفي براءة لاتضاهى هو لي .. لااحد ابدا قبلي ولا بعدي ..." تشنج جسدها للحظات مما ادهشه !! جاء صوتها متحشرجا وهي تقول بتلعثم " حسين انا .." لكنها صمتت فرفع وجهها اليه ليتطلع لعينيها المرتبكتين وقال " انت ماذا ؟!" عضت شفتيها المتورمتين من قبلاته لتقول " انا اردت .. ان اخبرك بشيء .." ابتسم هائما في

جمالها وقال " ماذا جاريتي .." عاد التشنج اليها وطال الصمت وهي تسبل اهدابها لترفع عينيها اليه فجأة وتقول بلهجة لم يعتدها منها " لماذا تناديني جاريتي ؟!" حرك حاجبيه قليلا ليقول بدهشة خفيفة واغاظة محببة "اول مرة تعترضين ؟!! الا تحبينها ؟" عقدت حاجبيها لتقول بعتب " تعرف اني لاحبها .." اخذ يلامس بشرتها برقة وهو يقول بتحشرج " اذن لماذا لم تعترضي سابقا ؟؟" عادت لتعض شفتيها ثم قالت بتردد " لم اكن اريد ازعا..." لايعرف لماذا لم تكمل الكلمة ؟!! لكنه قال بلطف " انت لاتزعجيني ابدا .. انا آسف .. كنت امازحك فقط واعترف اني كنت احب رؤية امتعاضك الصامت لكني لااريد مضايقتك حقا .." عادت لتسبل اهدابها بينما تسترخي لملامسة يديه لها .. قال برقة " ألن تخبريني ؟" فتحت عينيها لتسأل بحيرة " ماذا ؟" أمال راسه جانبا ليقول " بما اردتِ قوله قبل ان تستفزك كلمة جاريتي .."

نظرتها اقلقته للحظة لكنها استعادت بريقها وهي تقول بأنوثة " لقد .. لقد نسيت ..." لم يقاوم الاغراء ونسي كل شيء الا وجودها بين ذراعيه .. همس في سره .. كم انت غامضة يا جاريتي ... احيانا اشعر انك تخادعيني بطريقة ما ... بكل خنوعك وبراءتك واستسلامك ... ترى ماذا اردتِ ان تقولي ؟!!

هتفت نجاة باحباط شديد " ماذا ؟؟ كيف ستخطب ؟ متى وكيف ؟" ارتعبت منى من ردة فعل امها على خبر خطوبة مرام فقالت بدهشة كبيرة " ما بك امي ؟!! هل يزعجك ان تتزوج مرام ؟؟" نظرات ابنتها المذهولة جعلتها تستعيد هدوءها قليلا لتقول " لا طبعا .. لاتكوني حمقاء ... انا فقط استغربت لانها لم تخبرك بالامر منذ بدايته .." نظرت منى بارتياب لامها ثم قالت مفسرة " هي قالت انها لم تكن راضية ولكنه منحها الوقت لاعادة التفكير ويبدو انها رضيت به عن اقتناع عقلي اكثر منه عاطفي .. " صمتت قليلا ثم اضافت ببعض الشرود " لقد بدت غريبة !! " تعلقت عينا نجاة بوجه ابنتها وهي تسأل " كيف غريبة ؟!!" هامت نظرات منى وكأنها تتذكر تعابير مرام ثم قالت " لااعلم بدت غير سعيدة بل انها كانت شاحبة كمن يقدم على امر جلل !! " غرقت نجاة في تفكير عميق ثم قالت فجأة " متى الخطبة ؟؟" ردت منى " قالت الخميس المقبل ثم سيعقد القران بعد اسبوعين .." لم تستطع نجاة كبح ردة فعلها وهي تقول " بهذه السرعة ؟" بررت منى " قالت ان والدتها تفضل هذا فلا يجوز تواجد فراس في بيتهم دون رابط شرعي .. تعرفين .. لايوجد رجل معهم في البيت .." سألت نجاة بضيق " اسمه فراس ؟" جاء صوت احمد من عند الباب وهو يقول" من فراس هذا ؟؟" ردت منى وهي تبتسم في وجه ايمن الذي يمسك بيد والده " انه خطيب مرام ..." عبوس طفيف مر على وجه احمد وهو يقول " مرام ؟!" لكن عبوس منى كان اشد

وهي تقول باستغراب " نعم .. لماذا الجميع يستقبل الخبر بهذه الطريقة ؟!!" تجاهلها احمد وهو يقول لاخته " نجاة ساخذ ايمن لشراء المثلجات .." ردت نجاة وهي تدرس ملامحه " حسنا عزيزي .. " بينما هبت منى من على الاريكة وهي تقول بحماسة " هل اتي معكما ؟! " هزّ احمد راسها رافضل وهو يتطلع لابنه المبتسم ويقول " اسف خروجنا يقتصر على الرجال فقط .." عقدت منى حاجبيها بينما سحبتها نجاة لتعاود الجلوس بجانبها على الاريكة وهي تقول " اتركي خالك وتعالي لنتحدث حولك انت .." ...

ظلت تراوح في مكانها ذهابا وايابا ... تمسك هاتفها النقّال في يدها وتجمع الكلمات في راسها ... لقد اصرت على امها ان تبلغ مصطفى الليلة وبنفسها ... وبعزم رفعت هاتفها لتضغط بضع ازرار .. جاءت الرنة المعتادة بينما تنتظر انهاءها من الجانب الآخر .. ما انفتح الخط حتى سارعت لتقول " مرحبا مصطفى .." شعرت بضحكته الخافتة وهو يقول " مرحبا .." لم تبالِ فقالت بعجل " انا .. قررت .." همس متشدقا " بهذه السرعة ؟!!" عبست وهي تقول " لاتسخر مني .." قال بلطف " ابدا لاسخر ولكني استغرب فقط .. " تنهدت وهي تقول " الا يريحك اني قررت ؟!!" صمت للحظات قبل ان يرد " بصراحة ؟!! يقلقني .." عبست مرة اخرى وهي تقول بريبة " حسنا ..

هل ارتباطك بي مقلق هكذا ؟" شعرت بانفاسه عبر الهاتف وهو يسأل دون مواربة " وهل سيحدث ارتباط اصلا ؟!!" عند هذه اللحظة ارتبكت !! ووجدت نفسها تمتمت " أأ .. " ثم اخذت نفسا لتقول بهمس " نعم .." داعبها قائلا " لم اسمع .." ردت بغيظ " قلت ... نعم ..." سأل بهدوء شديد " نعم ماذا يا منى ؟!" فقالت وقلبها يقرع " انا موافقة ان نعقد خطوبتنا رسميا .." التقط تأكيدها على كلمة خطوبة فقال " خطوبة فقط ؟" ردت ببعض القلق " اجل .. اقصد لفترة طبعا حتى نعقد القران .." عم الصمت .. مرت لحظات طويلة وهي تنتظر رده وتتحضر له .. لم تحتمل اكثر بينما انفاسه تعذبها .. نادته " مصطفى ؟!!" فرد ببساطة " حسنا منى ... لتكون خطوبة .. خطوبة جدية هذه المرة .." لم تتمالك نفسها ان تسأل " هل انت غاضب ؟!" فاجأتها ضحكته فقالت بحنق " لماذا تضحك ؟!!" رد بتعومة فائقة " لاني ببساطة سعيد ... سعيد جدا .. " احمرت بشدة ولم تستطع قول شيء فبادرها قائلا " هل يعني هذا اني استطيع مغازلتك دون ان تعترضي ؟!" ارتبكت قائلة " حسنا .. لا .. نعم .. " عاد ليضحك وهو يقول " حددي ما تريدين ... نعم ام لا ؟؟" قالت بانفعال " انت تهزأ مني .. حسنا لن اكلمك حتى موعد الخطوبة .." ناداها " منى .؟." ردت " نعم ..." همس " انا احبك ..."

....

هذا الشعور المقبض يبتسم بوجهه البغيض .. يسخر منها .. يلازمها كظلها منذ ان قالت " نعم ".. شعور بتحداها ان تتجاهله يتحداها ان تفسره بشكله الصحيح ... يقف امام لها بالمرصاد كلما تطلعت لوجهها في المرآة ... تطلعت بنظرات جانبية نحو (خطيبها) .. اجل فمنذ بضعة ايام فقط ارتدت خاتم فراس ليكون خطيبها رسميا لترتبط به في علاقة تشترط الوفاء .. وفاء المشاعر .. وفاء الافكار .. عادت لتطلع لوجهه الهادئ .. اسمر مليح الوجه واسع العينين .. ابتسامته جميلة لكنها ليست كابتسامة احمد !! اغمضت عينيها وهي تدير رأسها في صدمة !! الى متى سيتسلل اليها دون ارادتها ليعذبها هكذا .. متى ستسعيد سيطرتها على نفسها كما يستوجب العقل والمنطق ... لقد

فكرت كثيرا قبل ان تقول نعم للزواج من فراس ... انها تعلم عن يقين عقلي وقلبي ان احمد لن يكون لها .. العاطفة الغريبة والغير منطقية التي تحملها نحوه يجب ان تأدها ... يجب ان تخرج من بوتقة الحلم المستحيل الذي رافقها لسنوات ... لن تظل تعيش على هامش عاطفتها المكبوتة اكثر من ذلك .. عليها ان تجد حياتها لتعيش .. تريد .. تريد ان تحب من جديد وتحب في المقابل ... تريد ان تشعر انها محبوبة !! الا تستحق هذا ؟ انها تحتاج لذلك.. تحتاج ان تستعيد احساسها كانثى مرغوبة .. صوته الرجولي داعب مسامعها وهو يقول بلطف " لماذا تغمضين عينيك عزيزتي .." ....(عزيزتي) ... كلمة قد تبدو عادية وربما رسمية بلا صفة شخصية لكن فراس يجعلها شخصية جدا !! وكانها خلقت

لها ... احساس جميل ودافئ تسلل اليها ففتحت عينيها لتبتسم في وجهه قائلة " لدي بعض الصداع .." حرك مقود السيارة بسلاسة ليدخل الشارع المقصود وهو يقول " لماذا لاتعتذرين عن الذهاب لبيت صديقتك ؟ " ارتجفت ابتسامتها ولكنها تمكنت من القول بمرح " لن يكون عدلا لوالدة منى !! انها تريد الاحتفال بي على طريقتها ..لقد فضلت حضورك انت ايضا لكني اخبرتها ان لديك مناوبة عمل في المستشفى ..." ابتسم فراس وقال " ان شاء الله مرة اخرى افرغ نفسي للحضور معك ..

... بينما هنأت مرام نفسها على كذبها الفاضح !! لكنها عاندت نفسها وهي تقول في سرها " ليس كذبا!! الخالة نجاة فعلا ارادت ان تعبر عن فرحتها بخطوبتها ... فعلا دعت فراس ايضا.. اما رغبة مرام الشخصية في مواجهة احمد و.. ابنه ... فهذه اضافة للسبب الاولي لذهابها اليوم ... عليها ان تراه مع ابنه لتواجه الحقائق على الطبيعة ... لتستعين بهذه الحقائق لتقتل مشاعرها الى الابد .." اجفلها قليلا صوت فراس وهو يقول " عليك ان ترشديني للبيت الان .. " ابتسمت بوجه محمر خجلا من افكارها ثم قالت بتماسك " الفرع الثاني على اليمين .." ....

اوقف فراس سيارته امام باب البيت بينما قلب مرام يقرع كالطبول من هول المواجهة التي تنتظرها .. اقشعرت عندما احست بلمسة يد فراس على يدها ليقول بحنان " مابك مرام ؟!

رفقاً بقلبي

بقلم كاردينيا٧٣

تبدين شاحبة بعد ان كنت متألقة بثوبك الازرق هذا .. هل الصداع ازداد عليك ؟" ردت وهي تجاهد لرسم ابتسامة على شفتيها " اجل قليلا ... لاتقلق سآخذ حبتي مسكن من منى ليهدأ الألم .." كانت عيناه تتابعان حركة شفتيها بنظرة واضحة المعنى مما جعلها تضطرب .. لم يكن الوقت مناسبا ابدا لتواجه مشاعره نحوها الان .. ليس الان !! ليس الان يا ربي ... رفع فراس يده التي كانت تلامس يدها برقة ثم مدها نحو خدها الابيض ليلامسه بطرف اصبعه ويقول بصوت اجش " انا لااجيد الكلمات .. لااعرف الغزل ... لكني اعرف عن يقين اني اتوق اليك .. احلم بلمسك هكذا منذ زمن طويل .." فاجاتها كلماته وصدمتها مشاعره .. عاد هذا الشعور المقبض ليجلدها بالسياط بينما يده تعذبها وهي تنتقل من بشرتها لخصلات شعرها ثم قال بالحاح عاطفي " متى سيأتي عقد القران ؟!! " تحشرج صوتها وهي تبعد راسها بحذر عن مرمى لمساته قائلة " ارجوك فراس .. قد يرانا احد .." تنهد بنعومة ثم ابعد يده عنها لتستقرعلى مقود سيارته وهو يقول باحباط " حسنا .. وانا لن احرجك ... سآتي اليك في العاشرة كما اتفقنا .." ابتسمت له وهي تتحرك لتخرج من السيارة على عجالى وتقول " حسنا ... الى اللقاء ..." وهكذا ودعته ليتحرك بسيارته وهو يلوح لها ...

اطلقت انفاسها اخيرا وقاومت هذه الدمعة الخائنة التي تلازمها دوما .. تجاهلت الشعور البغيض والتفتت لتدخل بيت منى ... عيناها اتسعتا وهما تواجهان عينيه ... اختنقت بمشاعرها

وهي تقاومها بضراوة ... بدى عابسا !! اجل ... هل رآى فراس وهو يلامسها ؟!!

تحركت بساقين مرتجفتين لتدخل عبر الباب الخارجي المفتوح .. تبتسم بلطف زائف بينما عيناها تحاولان عدم التركيز على هيئته الطويلة الجاثمة على بعد خطوات منها ... قالت " مساء الخير .." لفحة هواء هبّت فوضعت كلتا يديها على فستانها لتمنعه من التطاير .. رفعت عينيها اليه فوجدته يتطلع اليها بعينين غريبتين !!

الفصل الخامس

أهواك ..اغنية لعبد الحليم

توترت وهي تحاول تحليل عبوسه ونظراته الغريبة التي اشتعلت فجأة وهي تستقر على ساقيها !! انتفض قلبها كطائر جسور هادر ليضرب اضلعها بقسوة !!

ارتفعت عينيه ببطئ نحو يديها المتشنجتين فوق فستانها لتعود الغرابة اليهما وهما تستقران هناك ... ادراكها صدمها ليعلن ان نظرات احمد مستقرة على خاتم الخطبة في يدها اليمنى !!

هبات الهواء عادت لتناكفها فتمسكت بالفستان اكثر وهي ترتعش بعجز !! عيناه هبطتا مرة اخرى لتتأملا ساقيها بنظرات لاترحم بينما تحركت شفتاه ليقول بصوت أجش " مساء الخير مرام .."

ابتلعت ريقها وهي تدعو من قلبها.. تستنجد بالذي خلقها ان يمنحها القوة ... كرهت الابتسام من كثرة ما استجدته !! الابتسامة تلك الخدعة التي نلجأ اليها لنناور عن مشاعر تضطرم .. تنتفض.. تتمزق تخبطا.. تمارس اي نوع من انواع العنف والتعذيب لتتحرر ... في تمرد غير معهود تحاملت وكبتتها !! كرهت هذا الضعف المقيت الذي يسيطر عليها ويدمر سكينتها الواهنة ... مارست كل ما لديها من ارادة لتتوقف عن التأثر بوجوده على بضع خطوات منها ... لتتوقف عن

تحليل نظراته ... غرابة صوته وهو يرد عليها تحية المساء ذاكرا اسمها بعفوية مقلقة ... لتذكر نفسها فقط بوجه اسمر مليح ... بيدين حانيتين متلهفتين لملامستها .... الابتسامة نجحت اخيرا ووصلت لشفتيها اللامعتين باحمر شفاه خفيف لتزداد ثقتها بقدرتها الحديثة الولادة ...

دون ان تشعر لامست خاتم الخطوبة وهي تقول بهمس " اسفة لاني تأخرت ... هل كنتم بانتظاري ؟!" رفع رأسه قليلا ثم اماله جانبا وعيناه لاتفارقان عينيها ثم قال " لااعلم ... ربما تأخرتِ قليلا .. وربما وصلتِ في الوقت المحدد !!"

قبل ان تضيع في ارتباك الكلمات فاجأها وهو يضيق عينيه ويقول " هل خطيبك من اوصلك الان ؟؟"

علمت – يقيناً - ان الاحمرار كسا خديها وهي ترد " اجل ..." فسألها مرة اخرى " اسمه فراس اليس كذلك ؟!!" هذه المرة هزّت رأسها فقط ليضيف بلهجة لم تتبينها " لماذا لم يدخل معك ؟!! اقصد ان نجاة دعته ايضا .."

ردت بتلكؤ " لديه مناوبة عمل في ...المستشفى .. انه .. طبيب .."

صمت وهو يحدق فيها للحظات طويلة وكأنه يستلذ بتعذيبها.. وكأنه يعلم!!..

قال بهدوء " آسف .. نسيت ان اقول .. مبارك .."

مباركته حطمتها .. مزقت قلبها!! ارتجفت شفتيها وهي ترد بصوت معذب رغما عنها " ش..شكرا.... لك .."

تقدمت تجرجر قدميها لتمر من جانبه مال نحوها فجأة هامسا قرب اذنها " لو كنت مكان خطيبك ما كنت سمحت لك بارتداء هذا الفستان !!" ...

اتسعت عيناها في صدمة !! وراقبته بذهول كيف ابتعد ببساطة ليسبقها في الدخول دون ان يلقي نظرة اخرى نحوها ....

كان يجب ان يبتعد !! الاقتراب بهذه الطريقة خطر ..... لايعرف ما معنى الكلام السخيف الذي قاله لمرام قبل عشر دقائق ليتركها في حالة ذهول لايلومها عليها ويلتجأ لغرفته مدعيا امام نجاة حاجته ليغير ملابسه !!

ضرب بحنق ذاتي على باب خزانة ملابسه وهو يشتم دون ان يجد لضيقه تفسيرا يرضيه ... اغمض عينيه واخذ بضع انفاس وهو يقول " ركز يا احمد ... ركز .."

لكن تركيزه كانت يتشتت نحوها ساقين بيضاوين وفستان ازرق يتطاير حولهما ليزيدهما اغراءا بدلا من ان يسترهما !! منظر ساقيها بل هيئتها كلها من قمة راسها حتى اخمص قدميها وهي تنزل من سيارة خطيبها جعلت دماءه تفور ... كما تفور الان للذكرى ...مرة اخرى ... تفور بطريقة لم تحدث له منذ فترة طويلة ... طويلة جدا !!

تقبضت يداه وهو يحدث نفسه " اهدأ احمد .. اهدأ ... طبيعي شعورك .. اثارك رؤية خطيبها اولا وهو يلامسها بينما هي تتمنع بخجل .. صحيح لم يكن يرى وجهها ليدرك تعابيره لكن مؤكد الخجل ما جعلها تبتعد عنه هكذا ... يكفي نظرة الرضا الرجولية في عيني خطيبها ثم وجهها الناصع البياض الذي كان مخضبا بالحمرة عندما وقعت عيناه عليه ما ان ترجلت من السيارة !!

بعدها ...... جاء مشهد الاغراء الغير متعمد في توقيت ... راااااائع ...

ضحك باحباط رغما عنه وهو يردد " مؤكد انت في حالة يرثى لها يا احمد لتنظر هكذا لفتاة على وشك الزواج ... "

فتح خزانته ليخرج قميصا بشكل عشوائي بينما تدافعت الصور لعقله ... يد خطيبها وهي تلامس بشرتها بشغف يلتمع في عينيه.. عض شفته السفلى وهو يتذكر تلك البشرة الناعمة وذلك الجسد الرقيق قريبا منه هو .. بين ذراعيه ... ملتصقا بجسده..

سحق اسنانه وكبّله غضب غريب !! فتح عينيه بقوة وقد ادرك انه يغمضهما دون ان يشعر !!

قال بحيرة حقيقية موجها الكلام لذاته " ما بك يا احمد ؟؟ هل تشعر بالغيرة من خطيبها لانه يحظى بلمس فتاة عاطفية كمرام ؟؟ ام ان غيرتك تخص مرام نفسها ؟!! تشعر ان كبرياءك وغرورك انكسرا لخطبتها السريعة بآخر بعد ان شعرت انها متأثرة

بك انت كرجل ؟!! ألم يداعبك خيالك ولو للحظات في ان تغرق بحبك انت ؟ في ان تكون متأثرة بك بطريقة اكبر واعمق من فكرة كونك رجل وسيم يجذب الجنس الناعم ببساطة ؟!! هل لهذا اغاظك جدا ملامستها لخاتم خطبتها وكأنه طوق النجاة منك ؟!!"

تجمدت ملامحه وهو يدرك خطورة ما تنزلق اليه افكاره .. قال بحزم " توقف... من السخف الانسياق خلف تخيلاتك وافكارك كشاب غر ... كما لايجوز التفكير بفتاة بهذه الطريقة ..فتاة ستصبح قريبا في عصمة رجل آخر .." ....

بعزم خلع بلوزته القطنية ورماها على السرير ثم اخذ يرتدي القميص بتهمل متعمد ....

التسلح بخاتم صغير ذهبي .. التسلح بذكرى ابتسامة وكلمة (عزيزتي) خاصة بها ... التسلح بعينين دافئتين تنظران اليها بشوق ... تخصانها بعاطفة ... كل هذه الاسلحة نفعتها حقا وهي تواجه اهل منى بعد ان اختفى احمد لاتعرف اين بالضبط ...

الخالة نجاة بنظراتها الحانية .. المتفحصة !! منى ببهجتها المشوبة بالتساؤل !! العم كريم بوجهه اللطيف الحائر.. حسين بملامحه التي تنطق ببشاشة مبالغة ومصطنعة !! لابد انها مشوشة لتحللهم بهذه الطريقة !!

اطرقت قليلا براسها لتشرب قليلا من العصير الذي قدمته لها الخالة نجاة ... عيناها وقعتا على طرف فستانها المستريح على ساقيها لتشتعل ذكرى كلماته " لو كنت مكان خطيبك ما كنت سمحت لك بارتداء هذا الفستان !!"

ما زال يستمتع باحراجها و يتعمد مشاكستها .. لايدرك انها لاتنام الليل وهي تتذكر كل كلمة ولمحة منه بينما هو ينام قرير العين..

اجفلت عندما ارتكزت على فخذيها ذراعين صغيرتين ... ثم وجه صغير مبتسم يميل جانبا بابتسامة تسرق القلب منك !!

سرق قلبها منذ ابتسم لها لاول مرة بينما الخالة نجاة تعرفها به ...

وجه كوجه ابيه وطبع كطبعه وهو يهاجم المشاعر على حين غرّة !! مدت يدا مترددة لتلامس خده الناعم وابتسمت في وجهه قائلة " هل تريد مشاركتي العصير ؟؟"

هزّ رأسه الفاتن وابتسامته تتسع .. ألم آخر عليها تحمله .. طفل أسرها بدلا من ان يحررها من أسر ابيه !! كان يفترض ان يكون له هذه التأثير ... يفترض ان يصدمها بحقيقة وجوده لتتحطم حقيقة مشاعرها اليائسة نحو رجل متزوج هو والده!! ... رجل مستقر وسعيد في حياته ... سعادته هذه بعيدة عنها .. سعادته تتأطر بابتسامة طفل وعشق امرأة أنسته عشق امرأة اخرى ...

" ايمن .. لايجوز ان تشرب عصير مرام .."

أسر آخر وقيد آخر ... لاتريده ان يناديها بأسمها .. لاتريد ان يتطلع اليها كما تشعر انه يفعل الان بينما ابنه ينسحب منها ليركض نحوه ...

عدّت حتى الثلاثة قبل ان ترفع رأسها لتقابل نظراته بصمود ... قالت بثقة متضعضعة " لابأس .. انا من عرضت عليه مشاركتي عصيري .. "

ابتسم .. يا الهي كم تشبه ابتسامته ابتسامة ابنه ... مغوية ببراءة .. تمارس سحرا على القلوب والعقول !!

قال بعذوبة مميزة وهو يلتقط ابنه ليرفعه بين ذراعيه " اين الجميع ؟؟"

ردت ويدها تداعب خاتمها بشرود " منى ذهبت لتحضر بعض الكتب لي من غرفتها وحسين خرج كما اظن للقاء خطيبته .. اما خالتي نجاة فهي ...."

ارتفع صوت نجاة لتقول بمرح من خلف ظهر احمد " نجاة تحضر عصيرا للوسيم الصغير .."

ابتعد احمد قليلا ليفسح لاخته الطريق كي تمر بينما لاحظت مرام انه اخذ يتجنب النظر نحوها او ربما هي سخيفة كفاية لتظن ذلك والامر ببساطة انه انشغل بالنظر لابنه ...

لحظات وعمّ صخب منى وهي ترفع بضع كتب بين يديها وتتكلم بلا توقف !!

عينا نجاة لم تفارقا مرام كما لم تغفلا عن احمد ... صغيرها لايجيد التمثيل امامها .. يلاعب ابنه لكن عيناه تراقبان مرام بحرص شديد مبطن اما مرام فبدت غريبة !!

انها تعرفها كما تعرف ابنتها منى .. هي لاتبدو على طبيعتها .. وجهها محمر اكثر من اللزوم وانفاسها مهتاجة وهي ترد على صخب منى بايماءات شاردة من رأسها وابتسامة لاتعبر عن شيء !!.. بينما فيما سبق كانت تشاركها الصخب بل وتفتعل المزيد ...

انتقلت عينا نجاة لتنظران بعبوس لخاتم الخطبة في بنصر مرام الايمن .. تشعر بالغيظ والضيق من مجرد قطعة صغيرة من معدن ثمين .. ربما لانه يقف حجر عثرة في طريق مخططاتها ... وهي لديها ما يكفي من احجار العثرات !!

ابتسمت نجاة بلا تركيز في وجه زوجها كريم عندما دخل غرفة الجلوس معتذرا لانه تأخر في المكالمة الدولية التي كان يجريها من غرفة مكتبه ...

عادت انظارها وافكارها نحو احمد ... الشيء الجيد ان مرام تعجبه .. فذوقه بالنساء لم يتغير لكنها لاتريد اعجابا فقط بمظهرها .. تريد ان يشعر بما تملكه مرام من مشاعر فياضة ودافئة ..

تنهدت رغما عنها وهي تفكر بمرام نفسها .. " هل يصح ما أفعله معها ؟؟ ان مرام مخطوبة الان لشاب حتى لو لم تكن تحبه وارتبطت به بعقلها فقط الا يجدر بذلك ان يوقفني ؟؟ "

رقّت نظرات نجاة وهي تتطلع لاحمد يداعب ابنه باصابعه ليضحكه بينما يتحدث مع كريم ...
همست في سرها " لكن .... ماذا عنك يا صغيري الا يحق لك بحب فتاة كمرام ... لن اجد فتاة اثق بها مثلها ... لن ارتكب غلطة سهام وساكون متأكدة هذه المرة .."

عادت لتنظر نحو مرام تدرسها عن كثب " مرام تبدو غريبة منذ عودة احمد .. خجلها منه اكثر من الطبيعي ... انها ليست مراهقة لتتصرف دوما بحمق كلما رأت شابا وسيما .. اشعر ان هناك ذبذبات تنطلق منها نحو احمد ... ذبذبات تحاول كتمها ولاتفلح الا بكتم القليل .. اذا كانت تحمل ولو بعض العاطفة نحوه فهذا امر رائع وعليها دفعها للمزيد كما عليها دفع احمد ايضا ... مؤكد ان مرام تلجم اي مشاعر محتملة لان احمد متزوج ولكنها ستتكفل بايصال صورة مختصرة وحقيقية عن طبيعة هذا الزواج الاجوف اليها ..." ...

رؤية فراس عند باب بيت منى كان كقطرة ماء في صحراء قاحلة !! تقدمت مرام نحوه تلتجئ اليه تاركة خلفها سبب العواصف المندلعة في كيانها ...

عينا فراس التمعتا بالرضا وهو يمد ذراعه ليلتقط جسدها بتملك لم يَرُق لزوجين من العيون !!...

نجاة تعبس واحمد يضع كلتي يديه المتشنجتين في جيبي سرواله ..

طبع فراس قبلة خفيفة عفوية على شعر مرام فاحمرت مرام حرجا وهي تلوم نفسها لانها من بدأت هذا المشهد ...

التفتت ببعض الثقة التي امدها بها وجود فراس لتنظر نحو عائلة منى قائلة بابتسامة " اعرفكم بفراس ... فقط منى من التقت به في حفل الخطوبة الضيق الذي اقمناه .."

تقدم كريم اولا ليصافح فراس وهو يبارك له لتتبعه نجاة وقد بدت ابتسامتها متصنعة جدا

واخيرا تقدم احمد ودون شعورها التصقت مرام اكثر فاكثر بجسد فراس ... فراس الذي مد ذراعه الحر ليصافح احمد بلطف بينما ذراعه الاخرى ما زالت تطوقها وتشعرها بالحماية ...

انتهى الموقف برفض فراس دعوة كريم لشرب فنجان قهوة معتذرا انه مرهق جدا ... واتفق الطرفان على موعد آخر اتسع لدعوة عشاء وليس قهوة فحسب ...

لم تكن مرام تفكر بما قيل وهي تخطو مع خطيبها مبتعدة بعد ان ودعتهم وتمنت لهم ليلة سعيدة ...

رفقاً بقلبي

بقلم كاردينيا73

هنأت نفسها على ليلة كانت مرهقة لمشاعرها لكنها اثبتت لها ان خطوتها نحو الارتباط بفراس صحيحة ... شعورها بأن هناك من يظللها بمشاعر حقيقية منحها فسحة راحة وامل ... نظرت لوجه فراس فوجدته يركز في القيادة بصعوبة ... بدى مرهقا فعلا ولكنها سعيدة .. اجل سعيدة ... مع كل التحطم الذي شعرت به الليلة كان هناك بارقة امل صغيرة .. صغيرة جدا ... وستتشبث بها بكل قوتها ....

لم تفهم سوسن ما يحدث لحسين !! منذ ان فاجأها بحضوره على غير اتفاق وهو يتصرف بغرابة ... لتزداد الغرابة غموضا عندما اكتشفت انه ترك عشاء عائلي تقيمه عائلته على شرف صديقة منى المقربة بمناسبة خطوبتها ... هو برر الامر انه يفضل صحبتها وهذا اسعدها لتتلاشى سعادتها تدريجيا مع كل لحظة صمت تمر ..

صمت متوتر وشرود لم يعودها عليه .. تطلعت اليه في جلسته النائية عنها روحيا رغم ان والدتها غادرتهم منذ فترة لتترك لهما الحرية بينما والدها المريض نام منذ ساعة ...

والدها الحبيب الذي اضحى لايغادر سريره الا لماما ... انها مدللته ووحيدته ... لم يرزقا هو وامها الا بها ودوما اشعراها انها جوهرتهما الثمينة ... غامت عينا سوسن وهي تردد في سرها " جوهرة

تلطخت بسبب غبائها لتلطخ احلامهما بها ولها.."
...

عادت تتطلع لحسين بشعور بالذنب يقتلها !! امها حذرتها من اخباره بل انها منعتها بصرامة .. احساسها بالذنب هو ما يجعلها تعطيه كل ما يطلب وكأنها تعوضه .. تعوضه عن الخداع ....

" سوسن ..." ... نداؤه ارعبها .. للحظة تصورت ان افكارها تترجمت على لسانها دون ان تشعر ... التفتت اليه والذعر يحوم حول قلبها ويظهر جليا على ملامحها ...

عبس حسين وهو يقول " ما بك ؟!! لماذا هذه الملامح المرتعبة ؟!! "

استعادت هدوءها تدريجيا .. رسمت اجمل ابتساماتها وهي تقول بأنوثة منحتها اياها الطبيعة " اجفلتني فحسب ..."

تراخت نظراته والتمعت عيناه برغبة تألفها ... لكن هذه الرغبة تغيرت ليشوبها شيء ما .. وكأنه .. غاضب !!

لم تشعر الا بذراعيه تسحبانها بعنف وشفتيه تقبلانه بعنف اكبر !! اوشكت ان تختنق وهو يأسرها بحاجته .. برغباته التي اتسمت بالوحشية .. وكأنها .. وكأنها تطالبها بما هو اكثر من الخضوع ... وكأنها تطالبها .. بكل شيء !!

لم تفهم ما يريده بالضبط وعقلها تشوش وحاجتها لتنفس الهواء تتضاعف ... لكنها لم تبعده ..

كعادتها لاتبتعد هي بل تنتظره يرتوي منها كيفما يشاء ووقتما يشاء ..

تركها ولكن ذراعيه كانتا تعلّمان جسدها بآثارهما ... همس بوحشية قرب فمها وهو يلهث " هل تحبينني ؟!!"

صعقت سوسن ... ليس لانها لا تحبه ولكن لانه لاول مرة يسألها وبكل هذا الالحاح !! هل هذا ما يؤرقه اليوم ؟! هل يحتاج لابداء العاطفة منها ؟ اخيرا يطالبها بالحب بعد ان اوحى لها دوما انه لايفضل الاعتراف اللفظي منها ... شعور بالفرح توهج ... هل بدأ ينظر اليها كحبيبة .. ؟؟ عيناها توهجت بتوهج مشاعرها التي توشك ان تتحرر ...

ارضاها بشكل جنوني انعكاس الترقب والتوق في عينيه ...

همست بفرحها المتحرر " انا احبك حسين ... احبك فوق ما يمكنك تخيله ..."

اعترافها امتزج بقبلته .. بطعم الدم الذي سال من شفتها السفلى وهي تتمزق تحت ضغط شفتيه ... لم تفهم ما يحصل له ..ولم تكن تريد ان تفهم ... انها تحبه ... تعشقه .. وهو اطلق القيد الذي وضعته لكبت عاطفتها من اجله ... الان هي حرة ... حرة لتحبه ... حرة لتقولها دونها رادع ..

في طريق عودته للبيت شعر حسين انه كان حقيرا !! اجل حقير ... لقد دفعها لتقول الكلمات من

اجل ارضاء رجولته وغروره ... تلك الرجولة التي اهتزت بخبر ارتباط مرام ... انه يعلم عن يقين انه لايحب مرام كما انه لايحب سوسن !!

لكن رؤية مرام متألقة بثوبها الازرق وخاتم الخطوبة في يدها جعله يشعر بالضيق .. ودون ارادته أخذ يتساءل ما الذي رأته في خطيبها اكثر منه لتمنحه قلبها وموافقتها للزواج ؟!!

سؤال يعلم مدى سخفه ولكنه لم يستطع منع نفسه من الانتفاض لكرامته ... اخذ يمسد على جبينه بانزعاج شديد بينما يحاصره وجه سوسن الفاتن وهي تهمس بالحب كسيل مياه عذب يتدفق ...

الصداع اخذ يهاجمه بينما صورة وجه سوسن تهتز في ذهنه .... همس اخيرا بصوت مسموع " عليك على الاقل يا حسين ان تحاول منحها الحب في المقابل ... انها تغدق عليك كل شيء ولذلك هي تستحق كل شيء منك ايضا ... تستحق ان تكون حبيبة وليس زوجة مناسبة فحسب .." ...

نظر احمد لرأس صغيره الذي توسد صدره بينما يده اليمنى استراحت على مكان قلبه .. هذا الصغير الذي يجيد امساك قلب ابيه ليمتلكه بمجرد ابتسامة او حتى نظرة بل من مجرد نفس صغير يستشعره كما الان وهو نائم بأمان في احضانه ...

لامس احمد يد ابنه الصغيرة لتذكره بيد انثوية كانت تستقر بنفس المكان !! اثارته الذكرى لتليها ذكريات اخرى اكثر اثارة !!

كمراقبة فمها الصغير الناعم الشهي وهي تمضغ طعام العشاء .. او مراقبة عينيها الجميلتين وهما تتجنبان النظر نحوه بارتباك لذيذ .. او صوتها الضاحك وهي تكلم منى ... او ..... ملامستها لخد ايمن وهي تهمس بشيء في اذنه .. لقد ذاب تماما لتلك الهمسة واوشك ان يستنطق ابنه ليعرف ما قالته له .....!!!!

تنهد وهو يقول بصوت مسموع " اصبح تأثيرك عليّ غريبا يا مرام ... فيك شيء اصبحت اتعطش أليه .. كأني املكه ويحق لي بأخذه !! "

صمت احمد لتأخذه افكاره رغما عنه لذكرى اخرى ... شيء ما قبض على قلبه عندما رآها تتحرك نحو خطيبها .. شيء ما جعله يتشنج في غضب وهو يراقب ذراع خطيبها تلتف حول جسدها ... وتلك القبلة على شعرها جعلته يتذكر بغضب متزايد عطر التفاح الذي فاح من شعرها عندما حملها بين ذراعيه وهي تلتجأ اليه حرجا من موقفها بعد ان وقعت ارضا ...

عبس احمد ... انه لايحب ما تثيره فيه هذه الفتاة ... لايحب ان يشعر حتى بانجذاب نحوها .. لايحق له ذلك ... ليس فقط لانها مخطوبة الان ولكن لان شعوره نحوها اناني بحت .. شعور يدركه ويفهمه .. فتاة كمرام تستحق الحب .. حب كالحب الذي رآى بوادره بوضوح في عيني خطيبها ..

ضغط على فكيه وهو يفكر .. تلك البوادر التي جعلته يوشك ان ... اغمض عينيه بقوة وهو يردد بصوت مسموع " ليس من حقك الغضب .. مرام لاتعود اليك .. حتى لو يخدعك غرورك ليغريك بحلاوة تملكها !!" ...

بعد اسبوع ...

قالت منى وهي تنظر عبر المرآة لمرام " مابك ؟!!"
ردت مرام وهي تعيد طرف فستانها المتدلي على كتفها بنزق " هذا الفستان ليس مناسبا لي !! الجانب الايسر منه يتدلى دوما كاشفا عن كتفي .. "

قالت منى وهي تقف على قدميها بعد ان انهت زينتها " ثبتيه بدبوس .. هل اعطيك واحدا ؟"
ردت مرام بتبرم " لا فائدة !! حاولت ان استخدم دبوسا فعلا ولم افلح.." تأففت لتضيف " ساحاول التنبه له دائما .."

لمعت عيناها بعدم الثقة وهي تنظر لمنى وتقول " هل الفستان يليق بي ؟!! لم اكن مقتنعة جدا ولكن امي وفراس أكدا لي انه رائع علي وامي بالذات من اصرت ان ارفع شعري في هذه التصفيفة ولولا ذلك لتركته مسترسلا كي يغطي كتفيَ .."

مطت منى شفتيها وهي تقترب من مرام وتقول " لاتكوني متذمرة !! فستانك الارجواني هذا يظهرك غامضة وجذابة جدا .. انه يليق بك وكأنه صمم من اجلك ..... انت تبدين اجمل مني وانا العروس التي يفترض ان تبدو الاجمل .."

ضحكت مرام وهي تقول بمكر " صدقيني بفستانك الاحمر هذا ستتوجه الانظار اليك وحدك .. تبدين كشعلة !!"

غمزت منى وهي تبتسم ابتسامة عريضة وتقول " هذا هو المقصد !! ليدرك مصطفى اني نارية الطباع عندما اريد .. وينسى الحالمية والرقة التي يريدها مني ..."

اخذت مرام تعيد ترتيب بضع خصل متدلية من تسريحتها لتلامس عنقها وهي تقول باحباط " فراس اتصل بي وقال انه سيتأخر ساعة اخرى ... كنت انتظره لنظهر سوية امام المدعوين ..."

رفعت منى حاجبا واحدا وهي تقوا بمشاكسة " هل اصبحتِ كسوسن تلتصقين كعلقة بخطيبك ؟!!"

احمرت مرام وهي تفكر ان سببها الرئيسي حتى لاتظهر امام احمد بمفردها ... لقد قضت كل الوقت منذ حضورها في غرفة منى على امل ان يلحق بها فراس سريعا لكن يبدو انها مضطرة لمواجهة احمد بمفردها !!

نظرات منى نحوها نبهتها لشرودها فسارعت لتقول مدعية التأنيب " لاتكوني قاسية وشريرة ... لاافهم لماذا لاتستسغين سوسن لحد الان !! انها فتاة رائعة وتبدو محبة لحسين .." ردت منى بتبرم " ما زلت مقتنعة ان فيها شيء غير ملائم له .. لااعلم ما هو بالضبط .."

قالت مرام بجدية " منى لاتقحمي نفسك في امورهما ... لاتجعلي حسين يتضايق منك .." لكن منى هزّت كتفيها بلا مبالاة دون ان ترد بشيء ...

عادت مرام لتثبت طرف ثوبها على كتفها وهي تسأل " بالمناسبة انا لحد الان لم افهم لماذا غيّرتم موعد خطوبتك ؟!! الم يكن يفترض ان يتم بعد اسبوعين ؟!!"

هزّت منى كتفيها وهي تقول بامتعاض " في الظاهر امي اعطت سببين مقنعين وهو انها تريد ارضاء مصطفى اولا ثم التفرغ لعرس حسين وسوسن ثانيا .."

ابتسمت مرام قليلا وهي تقول " وماذا عن الباطن يا فيلسوفة عصرك واوانك ؟!!"

تحفزٌ ران على وجه منى وهي تقول بصوت منخفض " ساخبرك بسر ... امي تعمدت ان تقيم الحفل قبل عودة سهام .. زوجة خالي احمد .."

رجفة بسيطة اعترت جسد مرام ولكنها تجاهلتها لتقول بثبات " لماذا ؟!!"

اقتربت منى منها وهي تقول بنفس النبرة المنخفضة " لقد اخبرتني صراحة ان الوضع بينهما ليس جيدا ..ليس جيدا على الاطلاق ...!!"

شحوب مرام فاجأها لتقول منى بقلق " مرام ما بك ؟!" تماسكت مرام قليلا وهي تقول " لاابدا ... كنت افكر .. لقد كنت افكر في ايمن .."

ردت منى بأسف " اجل المسكين الصغير .. انه سبب آخر ليثير غضب امي ويضاعف نقمتها على سهام !! تقول انها لن تسامحها ان عاش ايمن حياة غير مستقرة بسببها .."

لم تستطع مرام اجبار نفسها لتقول شيئا بينما اضافت منى " امي تقول ان خالي احمد اخبرها بأن علاقته بسهام شبه مقطوعة وهو غير سعيد معها على الاطلاق .. لذلك هي تلعب معها دور الحماة المنتقمة ..."

ذلك العالم الهادئ المستقر الذي عاشت فيه لاسبوع كامل تحطم تماما في لحظة !! عالم شكلته قطعة قطعة .. كل قطعة كانت تكلفها الكثير من الجهود .. و الكثير ...الكثير من الضغوط .. لقد مارست على نفسها نوعا من التدريب الصارم لتمنع عقلها من الجنوح للتفكير فيه ... وقد نجحت ... خصوصا وهي تجنبت الحضور لبيت منى وكثّفت من تقاربها لفراس ... فراس الحلو المعشر .. المحب الرقيق المتلهف ..

اجفلتها منى وهي تصيح " هيييييي اين ذهبتِ ؟!!" لم تعد تحتمل فسارعت لتقول وهي تتحرك

نحو باب الغرفة " اسفة منى علي ان اذهب للحمام .." لم تتنبه منى لحالتها فقالت ببساطة " حسنا انا سانزل وانت الحقي بي للحفل .." كانت مرام عند باب عندما قالت بتردد " الن تنتظريني ؟!!اقصد الا تحتاجيني معك ؟؟ "

ضحكت منى وهي تحرك حاجبيها صعودا ونزولا " هل تعتقدين اني ساخاف مواجهة المدعوين وتصيبني رعشة الخجل والذي قد تتبعه باغماءة لمجرد رؤيتي لخطيبي ؟!!"

ثم اضافت غامزة بمرح " وعموما لاتقلقي فمع كل هذا الحشد النسائي الذي ينتظرني في الاسفل ساجد الكثيرات ممن ستظن اني بحاجة للاسناد فيهرعن لاحاطتي واطلاق الزغاريد .."

هزّت مرام راسها بابتسامة جوفاء وهي تفتح الباب لتخرج من الغرفة ...

مر الوقت بطيئا وطويلا وهي تنظر لوجهها عبر المرآة !! ثقتها بنفسها وبقرارها والتي تعززت في الايام السابقة تمكن امل واهن سخيف من التسلل اليها وزعزعتها ...

اغمضت عينيها اللتين اعتنت بزينتهما الليلة وهي تقنع نفسها انها تفعل ذلك من اجل فراس فقط !!

لقد مارست سياسة الاقصاء ... اقصاء اي تفكير او شعور يتضمن شخصا غير فراس .. حتى انها لم تذكر اسم احمد ولا مرة خلال هذا الاسبوع الطويل ...

منذ عودتها مع فراس في تلك الليلة وقد قررت ان تفكر بعقلها فقط ... عقلها الذي سيقود قلبها ليدرك معنى الحب الحقيقي مع رجل كفراس ...

كانت قد رسمت - وبكل منطقية - صورة جميلة تجمع احمد مع زوجته الجميلة سهام وهما يحتضنان طفلهما ايمن ... صورة جميلة وضعتها في اطار عقلي وكتبت تحتها تحذيرا باللون الاحمر ممنوع اللمس !!

فتحت عينيها وهي تحدث صورتها المنعكسة في المرآة " وما زالت ممنوع اللمس يا مرام ... اياك ان تسمحي لاي شيء ان يهدم الاساس الذي تبنينه مع فراس .. "

صمتت قليلا لتضيف بحزم " احمد ... ليس لك يا مرام ... اياك ان تغيري هذه الفكرة الان ... انسيه ... وانسي هذا الهوى الذي غلّف قلبك لسنوات .. هوى امتصك كطفيلي يأخذ ولايعطي شيئا ... "

تهالكت وهي تستند بيديها على حافة الحوض امامها " كم اتمنى لو انساه في لحظة .. في رمشة عين !! ان امسحه من ذاكرتي .. ان اقتلعه من اعماقي بدلا من طمره هناك وتجاهل وجوده !!"

اغمضت عينيها بشدة وهي تهمس " ستكونين بخير .. فقط ركزي على هدفك وستنجحين .."

تهدج صوتها وهي تقول بضعف " يا الهي .. متى سيأتي فراس ؟!! ما زال عليه ان يكمل عمله في المستشفى حتى يتمكن من الحضور .."

اخذ كريم يتطلع لزوجته وهو يكاد يقسم انها متوترة جدا بينما تدّعي الابتسام في وجه الحضور ...

انها متوترة مثله تماما !! لقد واجهها بالامس انها تلعب بالنار بعد ان تيقن انها تسعى من اجل ربط احمد .. بمرام ... تلك الفتاة الرقيقة ما ذنبها لكي تدخلها في تعقيدات رجل كاحمد ...

لكن زوجته عنيدة وعندما يتعلق الامر باخيها الصغير لاتفكر بشكل منطقي او حتى عادل ...

لقد غضب منها واتهمها بالانانية فثارت هي الاخرى واتهمته انه لايقدر احمد بشكل صحيح ..

حاول معها مرة اخرى مخبرا اياها انه يحب احمد ويقدره كانسان لكن ليس عدلا ان تقحم مرام في حياته .. خصوصا وقد ارتبطت الان بشخص جيد وواضح انه يكن لها العاطفة ..

لكن زوجته.. الصغيرة الحجم .. الكبيرة الارادة .. قالت بثقة .. المهم ان مرام لاتكن لخطيبها العاطفة وعلى العكس تشعر بها انها تميل نحو احمد !!....

وبعد عدة مناقشات محتدمة اسفرت عن خصام ليناما متباعدين على نفس السرير وكل واحد منهما يعطي ظهره للآخر ...

تنهد كريم عندما رآى زوجته تبعد راسها بحدة لتتجنب النظر اليه .. ما تزال غاضبة منه .. هو

ايضا غاضب منها !! فخلال هذا الاسبوع لم تكف عن ذكر مرام امام احمد بالخصوص ...

جعلتها تبدو امامه كهبة من السماء وما اغاظه اكثر انه يشعر بأن احمد اصبح يتأثر بكل كلمة تقال عن مرام .. بينما عيناه تلتمعان بالعطش .. كريم لاحظ شروده وهدوءه الغريبين واوشك ان يكلمه بنفسه لكنه تردد لانه يشعر بضغطهم جميعا عليه بينما هو يحتاج للاسترخاء ليفكر بشكل واضح في مستقبل علاقته بزوجته ....

كم يخش على مرام من تجربة كهذه .. بل يخشى عليهما معا ... مرام فتاة ممكن ان تحب بقوة ووارد جدا ان تحب احمد بهذه القوة لو سنحت الفرصة واختلفت الظروف .. لكن احمد هو ما يقلقه .. وبغض النظر عن كونه متزوج فهو نفسه يعيش تعقيدات في مشاعره ... ما زال مذبذبا مابين تعطشه للحب وبين عشقه القديم لشهد .. كم يخش ودون قصد منه ان يبحث عن نفسه فقط في مرام ....

خرجت مرام الى الحديقة حيث تقام حفلة يفترض ان تكون بسيطة لكن الخالة نجاة اصرت على دعوة كل الاقارب والاصدقاء والجيران فبدى المكان يعج بالمدعوين ..

هذا الزحام كان مفيدا لها وهي تنزوي في احد الاركان تحتمي بالظلمة والظلال لتخفي نفسها .. لتلتقط ما تبعثر من سكينتها ... كل الكلام المتناثر

من المدعوين هنا وهناك وقد تخللته اصوات الموسيقى منحها عزلة !!

عيناها تجنبتا النظر في اي اتجاه خوفا من ان تلتقياه صدفة !! ليس الان .. ليس قبل ان يصل فراس .. تحتاج للدعم لتنتصر في معركة جديدة في حربها الطويلة مع مشاعرها ...

همست في سرها " لاباس مرام .. مجرد انتكاسة صغيرة وستستعيدين توازنك مرة اخرى ... لقد نجحت لحد الان وستنجحين في القادم ايضا .."

كلمات استمرت في قولها لنفسها علّها تهدأ بشكل كامل .. رفعت رأسها بعد ان اخذت عدة انفاس ... ثم وقفت على قدميها بهدوء شديد وكأنها تستعد لمعركة حقا ..تحركت بخطوات محترسة لتخرج من هذه العزلة .. لتخرج من هذه الظلال التي تختبئ فيها ... لم تكن تنظر امامها فقط تطرق قليلا براسها ... ترفع طرف ثوبها الطويل ..وتتنفس بعمق ...

توقفت قليلا لتسمح لاحدهم بالمرور ثم عاودت تحركها البطيء حتى اعترضها شخص آخر .. المكان كان اضيق الان فرفعت رأسها لتعتذر للرجل عندما اختنقت الكلمات في فمها لتتراجع ما ان تطلعت اليه لتكتشف انه احمد !!

في لحظات ضعفها هذه غزاها الموج الهادر وهو يقرع الطبول ... ام ان قلبها هو من كان ينبض كقرع الطبول ؟!!

عقلها شرد عن الواقع بينما عيناها تعلقتا بملابسه دون ان تعاودا النظر لوجهه .. بدلة كحلية وقميص ابيض انيق وربطة عنق تراوحت الوان خطوطها المائلة ما بين الكحلي والازرق..

وسامة غير عادية تبرزها هذه البدلة ورجولة فياضة لم تستطع مجاراتها مهما بلغت اناقتها ...

كان مذهلا !! عطره تسرب اليها بهجوم متسلل مباغت لتستنشقه رغما عنها فيحطم تماسكها اكثر .. لم يساعدها وهو ينظر اليها هكذا .. بدى غامضا حتى في ابتسامته بينما عيناه تتمليان النظر من وجهها ..

همس بصوت مبحوح " مرحبا مرام ..."

هزّت راسها ببلاهة دون ان ترد !! التمعت عيناه واختفت ابتسامته بينما نظراته تنساب من وجهها لعنقها ثم تركزت على كتفها الايسر بنظرة حارة جعلت قلبها يخفق بجنون ...

غريزيا تحركت نظراتها نحو كتفها لتجد طرف الفستان متدلي ليظهر كتفها الناصع عاريا امام نظراته المتفحصة ..

بارتباك شديد عدّلت طرف الفستان وهي تهمس بصعوبة " ارجوك .. دعني أمر .." صدمها وهو يقول بنبرة حادّة " لا ..."

الفصل السادس

انا لك على طول خليك لي... اغنية لعبد الحليم

حدسها كان يرسل لها الاشارات .. يحذرها من شيء قادم .. تراخت يداها باستسلام وهي تتطلع لعيني احمد بانبهار .. عيناه كانتا تموجان باحاسيس أبى عقلها ان يفسرها بينما قلبها يتآلف معها بترحاب صاخب !!

اتسعت عيناها بذعر وهي تراه ينحني قليلا ليقترب منها وهو يهمس " لماذا تهربين دائما ؟!!"

.... " مساء الخير ..."

شفتاها تحركتا بالاسم " فراس .." بينما الجمود يحتل تعابير احمد وهو يبتعد عنها بلباقة !!

لمسة يد فراس على خصرها جعلها تستكين بجسدها طواعية اليه تحت انظار احمد التي سادها الغموض وكأنه اغلق كل الابواب التي جعلها مشرعة امامها قبل لحظات فقط !!

تنبهت ليد احمد تمتد فارتعشت وهي لاتعرف وجهة هذه اليد !! لكنه ببساطة كان يصافح فراس وهو يقول " مساء الخير دكتور فراس .." ثم نظر باستفزاز لمرام وهو يقول " مرام لاتبدو بخير .. كانت شاحبة !! ربما ستساعدها لمعرفة ما بها .." ..

انحنى فراس قليلا نحوها قائلا باهتمام " هل انت بخير عزيزتي ؟" لم تملك الا ان تهز برأسها وهي

تطرق للاسفل بينما تسمع همس احمد الذي بدى كنفث النار وهو يعتذر منسحبا..

قادها فراس كطفلة صغيرة لاتجيد المشي بعيدا عن زحام المدعوين الى حيث مقاعد شاغرة ليجلسها على احدها ثم انحنى ليجلس القرفصاء امامها يتطلع لوجهها المنكس بقلق .. قال برقته المعهودة " هل تشعرين بالغثيان حبيبتي ؟!!"

كلمة (حبيبتي) التي خرجت عفوية منه جلبت الدموع لعينيها .. لاتعرف ما تفعل بكل هذه الزلازل التي تختارها خصيصا كأرض خصبة لتدكّ قلاعها وحصونها ... !!

دموعها عاندتها وهي تهطل تحت انظار فراس الحائرة ليقول بقلق " حبيبتي .. هل ازعجك شيء ؟!!"

لم تعرف كيف قالت بتحشرج وبكاء مكتوم " لا تقلق .. لقد .. تذكرت.. ابي .. فحسب .."

مد فراس يده يداعب وجنتها المبللة بحنان فيّاض ثم قال " حبيبتي الصغيرة .. كم انت عاطفية ومرهفة الاحساس .." ..

حنانه ورقته كان لهما اثر غريب في تخدير حواسها وسكينة نفسها ..

وكأنه ادرك ما تشعر به فقال بصوته الواثق " خذي نفسا عميقا .."

اطاعته بل واخذت عدة انفاس اخرى حتى شعرت بعودتها تماما لارض ثابتة .. ارض الواقع الذي يربطها بهذا الشاب الرائع ...

رأته يخرج منديلا من جيبه ويقدمه لها ليقول بمداعبة " امسحي انت وجهك لاني اذا فعلت سافسد زينتك تماما .." ضحكت بخفة وهي تأخذ المنديل لتمسح وجهها بحذر ولم تشعر الا بيده على كتفها فاقشعرت لملامسته بينما قال بصوت اجش " اعيد طرف الفستان لمكانه... انت مغرية كفاية بدون ظهورك كتفك الناعم هذا ..."

احمرت رغما عنها بينما اغلقت عقلها عن اي ذكرى لعينين تنظران لكتفها هذا بمشاعر ملتهبة ... بل انها اغلقت عقلها عن اي كلمات قالها وما تعنيه هذه الكلمات .. ما يحدث كثير .. كثير فعلا .. تحتاج لاستعادة توازنها فهي لم تعد وحدها في الصورة .. فراس معها الان وهو يستحق الافضل وستكون الافضل من اجله ...

رفعت لفراس وجها محمرا وقد رسمت ابتسامة جميلة على وجهها ... بادلها ابتسامتها بابتسامة اكثر عمقا وجمالا ثم همس " لقد استعاد وجهك لونه بل تألق بهذه الحمرة الفاتنة على خديكِ .."

رفرفت روحها وهي تجد بر الامان ولم تبخل عليه بيدها عندما استقام واقفا مادا يده وهو يقول " تعالي عروسي لتقوديني وسط كل هؤلاء المدعوين الذين لااعرف منهم احدا .. "

وهكذا رافقته مرام في تجوال تعريفي بين الحضور بينما يده لم تفارق خصرها ...

عينان تقدحان بنار تأججت كالبراكين تراقبهما من بعيد ... نظراتهما توقفت كثيرا عند يد فراس التي لم تفارق خصرها ..

كزّ احمد على اسنانه وهو يحارب ذكرى يد فراس على كتف مرام .. كان غبيا ليراقب المشهد من اوله !! مشهدا سيكون رفيقا له الليلة وهو يتقلب في سريره يتلظى بنار الغيرة !!...

همس رغما عنه " لن اترك الامر هكذا .." ثم رفع نظراته ليجد فراس يراقص مرام بانسجام كامل فقال بعينين متوهجتين وكأنه يخاطب فراس " لن اترك مرام لك بسهولة .. !! لم تعد تخصك وحدك .. !!"...

مال مصطفى نحو منى ليقول همسا " احبك عندما تتعمدين اثارتي .." نظرت اليه من طارف عينها لتقول بلا مبالاة ظاهرية " لاافهم ما تقصد .." ضحك بخفة وهو يلامس يدها قائلا " هذا الفستان لايلائم مزاجي وانت تعرفين هذا جيدا .."

هزّت كتفيها ثم قالت دون ان تلتفت اليه حتى " هذا شأنك !! المهم اني ارتدي ما يلائم مزاجي .. لست مضطرة لارتداء ما يعجبك دائما .."

ضحك مرة اخرى ليهمس بصوت مبحوح " من قال انه لايعجبني ؟!! لقد قلت لايلائم مزاجي ولم اقل لايلائم ذوقي ... "

نظرت اليه بحيرة وهي تعقد حاجبيها قائلة " ماذا تقصد بهذه الاحجية البلاغية ؟!!"

رد بحرارة وهو يقترب بوجهه من وجهها "

انا احاول السيطرة على مشاعري حتى لاارعبك لكنك لاتساعدين بهيئتك النارية هذه !!"

اتسعت عينا منى واحمر وجهها بشدة وهي تستوعب كلماته التي نطقت بها عيناه قبل شفتيه .. ادارت وجهها بعيدا عنه وقد بدت كطفلة حانقة !! صوت ضحكاته الناعمة زادتها حنقا !! لاتعرف لِمَ تحاول استفزازه هكذا لينتهي الامر بأن يستفزها هو !!

لاتعرف لِمَ تحاول مقارعته وكأنه ند لها بينما هو يعاملها بفوقية وكأنها طفلة صغيرة تخطأ وهو يتسامح معها !!

دوما كانت معجبة برزانته .. بهدوئه .. بروحه الفنية التي تظهر في تصاميمه كمهندس معماري ناجح ... لكن جانبه العاطفي هو ما يثير قلقها واحتراسها ... منذ ان ابدى اهتماما واضحا بها قبل سنتين وهي تناضل لخلق درع حماية ..

هي لاتنكر ان الاختلاف بينهما في الطباع يثير قلقها لكن ليس للدرجة التي تحاول بها ايهام الاخرين بها ..

فيه شيء يجعلها تتراجع خوفا ... خوفا من تملك كامل قد يلغيها ... انها تحب الشعور بنفسها بكينونتها .. لاتطيق ان تكون في الظل فقط ...

عادت لتنظر لوجه مصطفى فوجدته يراقبها باستمتاع !! عبست وهي تقول في سرها " ساقاومك يا صاحب الظل الطويل !!" ...

اوشكت دموع السعادة التي تسيل على خديها وهي تتطلع لوجه حسين الذي يخصها بابتسامة جميلة ... كان يضم جسدها اليه يكاد يعتصرها بينما تراقصه .. عيناه لاول مرة تنظران اليها باهتمام عاطفي وليس برغبة فجّة ...

همس لها " لم اكن اعرف انك تحبين الموسيقى الناعمة هكذا!!" ردت وهي تكاد تذوب " لم تسألني يوما .."

غامت عيناه بشعور بالذنب وهو يقول " آسف حبيبتي .. كان اهمالا مني .." ابتسمت بسعادة خالصة وهي تقول بصوت مبحوح " احب ايضا ان تناديني حبيبتي .." ذابت عيناه حنانا وهو يتطلع لعينيها اللامعتين ثم قال بصوت أجش " وأنا احب ان اعرف كل ما تحبين .." ..

كانت ممتنة لانه سمح لها بأن تميل برأسها لتستند على كتفه دون ان يعير الاخرين اهتماما ..

دعت في سرها " لاتحرمني منه يا رب .. انه الاهم في حياتي .. انا مستعدة لفعل اي شيء للاحتفاظ به ..." ...

تدليل فراس لها حجبها عن التفكير ... كانت تخشى انتهاء الحفل لتضطر للعودة لبيتها حيث سيتركها فراس وحيدة .. تنهشها افكارها ومشاعرها على حد سواء ....

لقد اجادت الهروب من نظرات احمد التي لاحقتها دون هوادة !! كما اجادت الهروب من تفسيرها وتفسير الموقف الذي حدث بينهما قبل وصول فراس بدقائق ... لقد اقسمت انها لن تدخل هذه المتاهات ... انها ستُخلص لفراس بكل قوتها ... لن تخُن عهده ولو بتفكير صغير ..

تمسكت بذراعه اكثر وهو يتكلم مع طبيب تعرف عليه بين المدعوين فاستدار نحوها ليمنحها ابتسامته بعفوية محببة ... انشرح صدرها وتراجعت غصتها الخانقة مرة اخرى ..

شعرت بمن يسحب طرف فستانها لتنظر للاسفل وترى وجهه الصغير المبتسم .. باحساس قوي تحركت من ذراع فراس لتنحني وتلتقط ايمن ...

قال ببشاشة " مرام تحب ايمن .." ضحكت بنعومة وهي تداعب خده قائلة " اجل .. مرام تحب ايمن .." وضع يده الصغيرة على كتفها ثم انحنى ليطبع

قبلة على خدها .. همست بتأثر وهي تقبله ايضا " ايمن ولد محبوب .."

جاءها همس فراس وهو يقول ممازحا " بل ايمن ولد محظوظ !! " احمرت مرام وهي تدرك من نظراته انه يشير لقبلة ايمن لخدها .. عاد فراس ليكلم مرافقه بينما مرام اخذت تمازح ايمن ...

هتف ايمن فجأة " بابا .." تجمدت مرام للحظات قبل ان تشعر بأحمد يقترب منها ليواجهها من جانبها الايمن وهو يقول بهدوء " تعال عزيزي .. ستفسد ثوب مرام بحذائك .." انحنى قليلا مادّا يديه ليحتوي جسد ايمن فارتعشت مرام رغما عنها عندما لمس بشرة ذراعها بشكل عرضي ..

قال بغموض " آسف .." ثم تركها تتخبط وهي تقسم ان لهجته لم تكن آسفة ابدا !!...

رمى كريم سترته الانيقة على اقرب كرسي وهو يقول بغضب مكتوم " يجب ان نتكلم !" خلعت نجاة قرطيها وهي تقول بتجاهل " عن اي شيء ؟" كزّ كريم على اسنانه وهو يقول " نجاة انا لن اسكت على ما يحدث ... " التفتت اليه وهي تقول بتوجس " ماذا تقصد ؟" رد وهو يقترب بخطواته منها " انت تفهمين ما اقصد تماما ... انا ساكلم احمد بنفسي .." توقفت نجاة عن ادعاء عدم الفهم وقالت بتوسل " اياك كريم ... اياك ان تخبره انك تعرف بمشكلته مع سهام ... لن يسامحني ابدا

.. انت رجل وتدرك كم هو محرج هذا الموضوع ..."

لكن كريم قال بحاجبين معقودين " ساخبره اني اعرف بأن وضعه مع سهام غير مستقر .. لن احدد طبيعة الوضع ..."

عضت نجاة على شفتها وهي تقول بقلق " احمد ذكي ويعرفك كما تعرفه وسيخمن بسهولة اني اخبرتك بكل شيء .."

ضرب كريم احدى قبضتيه في الاخرى بينما اغمضت نجاة عينيها وهي تنتظر هبوب الزوابع منه ... هدر صوت كريم قائلا " اذن اوقفي ما تفعلينه .."

فتحت عينيها ببطئ لتنظر اليه باستعطاف قائلة " انا لاافعل شيئا ... تجعلني ابدو كأمرأة سيئة .."

زمّ كريم شفتيه ليقول بعدها وهو يحاول السيطرة على غضبه " احيانا نرتكب اخطاءا جسيمة دون ان نقصد .."

رمشت نجاة بعينيها وهي تقول برقة مشوبة بالشعور بالذنب " كريم ... اعدك اني لن افعل المزيد ... الليلة عندما رأيت مرام مع فراس شعرت بالذنب تجاهه .."

رفع كريم كلتي يديه عاليا وكانه على وشك شد شعره الرمادي ثم قال بغضب مستعر " تجاهه فقط ؟!! وماذا عن مرام .. وماذا عن احمد نفسه ؟؟!!"

عبست نجاة وهي تقول مدافعة عن نفسها " مابه احمد ؟!! سيكون محظوظا لو ارتبطت به مرام .."

نفث كريم انفاسا غاضبة ليقول بعدها بغضب اقل " اجل سيكون محظوظا ... ربما اؤيدك في هذا ... لكن ماذا عنها ...؟؟ من يعطيك الحق لتسلخينها بانانية بحتة من خطيبها وتلصقينها باخيك .."

هتفت نجاة بعتب " كريم !!" قال كريم دون ادنى تعاطف وقد بدى في اوج انفعاله " هل تستغربين ردة فعلي ؟!! حسنا يا نجاة ساخبرك كيف كان الوضع في حفل اليوم ... البذرة التي زرعتها بدأت بالنمو !! لقد امتدت لها جذور واوشك برعمها ان يشق الارض ليبدو جليا للعيان "

ارتبكت نجاة من انفعاله اكثر فقالت بتلعثم " ولكن .." قاطعها ليضيف باتهام " اعلم انك كنت تراقبين لاتنكري ذلك ... لكنك لم تري كل ما حدث ... كنت مشغولة في اغلب الاحيان بالاهتمام بالعشاء والضيوف ..."

سألت باضطراب " ماذا حدث ؟!!" رد كريم " لقد تحرك احمد يا نجاة ... خطى الخطوة الاولى نحو مرام .... انا اعرفه واعرف هذه النظرة العازمة في عينيه .."

التمعت عيناها بالابتهاج رغما عنها وهي تقول " هل فعل ؟!!" تنهد باحباط وهو يقول " اجل ... واتوسل اليك لاتبدي كل هذا الفرح .."

اطرقت برأسها بينما اضاف كريم " نجاة .. الفتاة سيعقد قرانها قريبا وفراس شاب رائع ومناسب لها ... اتركيها تنعم بسعادتها الخاصة بعيدا عن احمد .."

رفعت رأسها لتقول بتردد خوفا من غضبه " كريم لاتنكر انك لاحظت اهتمامها بأحمد .."

مسح وجهه بارهاق نفسي ثم قال " هذا ما انا متخوف منه !! لاني لاحظت اهتمامها وتأثرها به .. كنت اعول عليها لتقاوم مشاريعك لتزويجها بأحمد لكن .." قالت بحماسة " اذن انت تؤيدني .."

هتف وعيناه تتسعان بغضب " أنا ؟!!" رفعت يدها لتهدأه وهي تقول بنعومة " لاتغضب ... اقصد تؤيد ان مرام تكن مشاعر خاصة لاحمد .. اعلم انك لاتؤيد ارتباطها به "

ضيّق عينيه وهو يتطلع لزوجته ويقول " وماذا بعد ؟!" ابتلعت ريقها لتقول بحذر " الا ترى ظلما لفراس ان ترتبط به مرام وهي متعلقة برجل آخر ؟؟"

ومض تردد طفيف في عينيه وهو يقول " الفتاة ما زالت شابة يافعة وسيذهب افتتانها بأحمد ما ان تعيش حياة مستقرة مع فراس .."

لكن نجاة قالت باصرار " هذا ليس عدلا للجميع ... من حق فر..." قاطعها كريم ليقول بحزم " لآخر مرة احذرك نجاة .. اذا فعلتِ شيئا آخر ساتدخل لانهي الامر بنفسي .. يكفي ما فعلته لحد الان ..."

قالت نجاة بتبرم " حسنا ... ولكن ماذا عن الدعوة التي وعدنا بها فراس .. كنت احضر لها لتكون بعد يومين او ثلاثة لااكثر .."

دقّق كريم النظر لزوجته ... انه يعرفها جيدا عندما تحاول الظهور ببراءة الاطفال بينما عقلها العاطفي يعمل في اتجاه مختلف تماما ...

قال اخيرا " حسنا نجاة ... اجعلي الدعوة غدا .. ولتكن دعوة لكل العرسان الجدد ؟..." اضاف قبل ان تعترض " اقصد ان تدعي مصطفى ايضا وكذلك سوسن ..."

عبست نجاة لتقول " انت تريدها دعوة مزدحمة ... اليس كذلك ؟؟ " نظر اليها بتمعن ثم قال بهدوء " اريدها دعوة لوضع النقاط على الحروف وتثبيت الوقائع .." ....

ظهيرة اليوم التالي ...

قالت منى بتعجب عبر الهاتف " ألم يخبرك فراس ؟!! لقد اتصل به ابي صباحا ليدعوه بنفسه .."

اخذت مرام تمسد صدغها بعد ليلة مرهقة للغاية قضتها رغما عنها في هروب مستمر من عينين زرقاوين في معظمهما تطاردانها دون رحمة !!

تهرب من كلمات تثير في نفسها مشاعر ترفضها وترفض الغوص فيها ....

قالت والصداع يعصف بها " لا ... لم يتصل .. تعرفين انه في المستشفى..." ثم اضافت بعجز " هل .. هل اخبر عمي كريم بالموافقة؟؟ .."

قالت منى بحماسة " اجل بالتأكيد ... " ولما لم تلقَ منى جوابا من مرام قالت بحيرة " سنستمتع صدقيني وستكون فرصة لتتوثق علاقة مصطفى بفراس ..لماذا لست متحمسة مثلي ؟!! "

ردت مرام بوجل " لا ابدا ... ولكن امي لاتحبذ خروجي مع فراس بمفردنا قبل عقد القران .."

قالت منى " ولكن فراس شاب محترم ولايتجاوز معك الحدود كما انه لم يبقَ الا يومان لعقد القران .. "

اخذت مرام نفسا عميقا لتهدأ من صداعها ثم قالت " نعم هي تعلم هذا لكنها تقول يبقى الامر غير مقبول امام الدين والناس .." توسلت منى بطفولية " ارجوك مرام انا سأكون سعيدة اذا اجتمعنا سوية هكذا .. " ابتسمت مرام رغم بؤسها وهي تقول " هل تسعين لجمع اكبر عدد من الحضور لمنع مصطفى من الانفراد بك ؟؟"

ارتبكت منى وهي تقول بحنق " حتى لو انفرد بي لايهمني .. لست اخافه .." تنهدت مرام وهي تقول " حسنا يا شجاعة .. ساقنع امي .. اتمنى فقط ان لايحدث طارئ في المستشفى يمنع فراس من الحضور .."

قالت منى ببشاشة " اذا لم يستطع تعالي بمفردك .. " لم تستطع مرام السيطرة على نفسها وهي ترفض بحدة قائلة " لا .." ساد صمت للحظات تبعه صوت منى المندهش وهي تقول " ما بك ؟ لماذا هذه ال(لا) القاطعة ؟!!"

شعرت مرام بالارتباك من ردة فعلها .. قالت وهي تتمنى ان تكون مقنعة " فرا.. فراس لايحبذ عودتي بمفردي ليلا .." ردت منى " يستطيع ان يقلك هو .." كتمت مرام انزعاجها من الحاح منى لتقول باستسلام " لابأس منى ... ساتدبر الامر .." ..

ما ان اغلقت الهاتف مع منى حتى اجفلها صوت امها من خلفها وهي تقول بجدية " هل يمكنك ان تشرحي لي ما يحدث معك ؟؟"

التفتت مرام بقوة وهي تقول بنظرات عاتبة " اجفلتني امي .."

اعتذرت الام بلهجة غامضة " اسفة ولكني بانتظار شرحك .." قالت مرام بامتعاض " امي !! انك تعامليني كرهف !! "

نظرت الام لابنتها للحظات طويلة ثم قالت بهدوء " على الاقل رهف تخبرني بكل شيء " ارتبكت مرام قليلا وهي تقول " انا ... ايضا افعل .."

رفعت الام حاجبيها قليلا وهي تقول " حقا؟!! انا لااراك هكذا ... انت حتى غير قادرة على مواجهة عيني بينما تنطقين بكذبتك "

هتفت مرام " امي!! " لكن بشرى لم تتراجع وهي تسأل دون تراجع " ماذا يحدث معك ؟!! لقد مللت الانتظار لتأتي من نفسك وتخبريني ... حاولت ان اقترب منك اكثر لاجعلك تفصحين عما يشغل بالك منذ اشهر لكني فشلت !! "

اطرقت مرام دون كلمة فاضافت الام بتساؤل حائر " ماذا يقلقك ؟ " ردتت مرام بخفوت " لاشيء .."

لحظات مرت قبل ان تقول الام بثبات " هل هناك ما يضايقك في بيت منى ؟؟ هل حسين هو السبب ؟؟"

رفعت مرام رأسها بصدمة وهي تهمس " حسين ؟!!" قيّمتها امها بنظراتها ثم قالت ببساطة " لماذا تبدين مصدومة هكذا ؟!! هل يعقل انك لم تشعري بمحاولات حسين للتقرب منك ؟"

اتسعت عينا مرام وهي تسأل بعدم تصديق " ماذا ؟!! متى ؟؟" ردت الام " قبل سنة او سنتين لااعرف بالضبط متى شعرت انه يكن لك شيئا خاصا .. لكنه كان واضحا كلما جاء ليُقّل منى من بيتنا ..."

هزّت مرام رأسها وهي تقول " لكن حسين خاطب الان وهو لايكف عن التهام خطيبته بعينيه .. لايرى غيرها ... انه حتى تخاصم مع منى لانها تكلمت عنها باسلوب لم يعجبه "

قالت الام " اذن فحسين لايحاول فعل شيء معك ؟!" ردت مرام بتأكيد " لا طبعا .."

تنهدت الام وهي تعود لنفس السؤال " اذن ماذا بك ؟!! ماذا يحدث معك ويؤرقك .."

ارتجفت شفتا مرام وهي تقول " لاشيء امي ... ربما انا ... مرتعبة قليلا من فكرة الارتباط .."

امتلأت عينا الام بالحنان وهي تقول " هل ما زلتِ قلقة من ارتباطك بفراس ؟؟ ألم تتحرك مشاعرك ولو قليلا نحوه ؟؟"

اهتز صزت مرام وهي ترد بصدق " اجل .. اشعر بالحماية والميل نحوه ..لكن .." لانت نظرات الام اكثر وهي تقول " لكنك لم تعشقينه .."

احمرت مرام وهي تدير وجهها جانبا فاضافت الام بتسامح " لاتخجلي يا ابنتي .." ثم اضافت بشجن " انت كوالدك تماما رحمه الله .. عاطفي جدا .. يفكر بقلبه ويؤمن بالحب اللامتناهي .."

اعادت مرام نظراتها نحو امها وهي تقول باحباط " لكنك لست كذلك امي !!.." هزّت الام كتفيها وهي تقول " اصبحت كذلك لاجله .. احببته بطريقتي وكنت اسعى لسعادته دوما .. وهو لم يبخل عليّ بشيء .. اعترف ان مشاعره القوية كانت اكثر مما استطيع التعامل معه لكني مع ذلك احببت جموحه هذا .. جعلني اشعر اني اعيش مغامرات عاطفية متلاحقة .." ابتسمت بشرى وهي تكمل " لكن ما ان تنتهي المغامرة حتى اعود لارض الواقع .. الواقع الذي يحتاجه البيت لنرسي

دعائمه وتحتاجه العائلة لتنشأ بشكل صحيح ..." ضحكت بخفة وهي تقول " كان يضحك مني ويقول (انت هادمة اللذات !!) "

التمعت عينا مرام بالدموع وقالت بغصة مخنوقة " اذكره ضاحكا دائما .. يحب ان يعطيني الاحساس اننا نتآمر معا ضدك وكأننا اخوان وليس اب وابنته !! "

لامست بشرى خد ابنتها بحنان بالغ ثم قالت " اجل .. هذا هو والدك .." صمتت لتضيف بعد برهة " والدك استكان لواقعيتي فكنت المرساة بالنسبة له .. "

نظرت مرام لامها فاضافت الام " اتمنى ان تشعري بفراس هكذا .. ضروري ان تجدي فيه ما يجعل حياتكما متكاملة ... الحب تحصيل حاصل في النهاية ... لاتقلقي بشأنه .." ثم غمزت قائلة " خصوصا وانا اراه في عينيه "

تهربت مرام من نظرات امها لتقول بمواربة " ما الذي ترينه ؟!" ردت الام برقة " ارى انه يحبك صغيرتي .."

اطرقت مرام ولم تعقب بشيء فتركتها امها لتبتعد خطوات قبل ان تقول " ليس لدي مانع لذهابكما معا لبيت منى ..." ....

منظر احمد وهو يطعم ايمن ادمى قلب نجاة .. كان يبدو وحيدا منعزلا بينما الجميع يستمتع بقرب شريك حياته ...

منى تتدلل على مصطفى وهي تدعي الجديّة لكن ابتهاجها كان واضحا من لمعة السرور في عينيها بينما مصطفى بدى مسترخيا وسعيدا ...

سوسن تراها متألقة بشكل لم تره سابقا ... وجهها الجميل يطفح بالسعادة وهي تتطلع لحسين بعشق اما حسين فقد احاطها باهتمام غير عادي منه حتى ان مشاكساته المعتادة معها اتسمّت بالنعومة والرقة ...

واخيرا فراس ومرام ... تنهدت بحسرة وهي تنظر ليد فراس التي لاتفارق مرام بينما مرام تغض بصرها من الجميع خفرا وحياءا ....

عادت لتنظر لاحمد وقلبها يتمزق ألما ولم تملك الا ان تحدج كريم بنظرات حانقة ليرد لها بنظرات محذرة ...

رن هاتف فراس وما ان فتح الخط حتى كست وجهه الجدية والتركيز ثم قال عدة كلمات ليغلق الهاتف بعدها وهو يقول بنظرة معتذرة " آسف يوجد حالة طوارئ في المستشفى ... اعتذر منكم ولكن علي الذهاب حالا .."

وقفت مرام على قدميها استعدادا للمغادرة وهي تتنفس الصعداء لانتهاء محنة العشاء هذه ... وعندما نظرت لفراس تفاجأت بتردده ليقول بعدها " عزيزتي .. لن استطيع ايصالك للبيت لاني سأتأخر هكذا.."

قال كريم بلطف " لاعليك بنيّ ساوصلها بنفسي انا وخالتك نجاة .." ابتسم فراس وهو يعتذر مرة اخرى قائلا " آسف جدا ولكنها حالة طوارئ ولااملك الاعتذار عنها .."

طمأنه كريم قائلا " لاتعتذر ... انت طبيب وعملك يأتي اولا ... توكل على الله وبعد ساعة او ساعتين ساعيد مرام بنفسي كما اخبرتك .." شكره فراس " شكرا لك ..."

لم يلاحظ احد شحوب مرام وهي تقف عاجزة عن النطق بشيء !! نظرت بتوسل لفراس لكنه لم يتنبه لحالتها وهي يقبل اعلى راسها معتذرا على عجالى ويقول " آسف حبيبتي ... ساعوضك لاحقا .. استمتعي بوقتك ..."

وهكذا غادرها وهي تنظر اليه بيأس بينما عينا احمد تلاحقان كل تفصيلة منها بيأس مماثل !!

ليلة الامس كانت كالليلة التي قبلها والتي قبلها ايضا !! ليالٍ طويلة بطيئة .. يقضيها مسهدا يحمل بين جنباته شعور بالاحتياج نحوها يكتسحه .. !! شعور يحثه بشكل جنوني لاخذها عنوة من فراس ..

مرام تقف باستفزاز غير متعمد خلف بابٍ اوصده منذ زمن .. باب يقف سدا واهنا في وجه مشاعره المكبوتة .. انها هناك تتحرك بتلكؤ ناعم يثيره اكثر ويصدع الشقوق في الباب اكثر اكثر ..

عاد ينظر لبؤسها وهي تودع خطيبها فتقبضت يداه بينما روحه المعذبة تعصف في خواء !!

بعد ساعة غادر حسين ليوصل سوسن لبيتها بعد ان اتصلت امها تؤكد عليها ان لاتتأخر اكثر ..

مر الوقت بطيئا جدا ... لكن مرام شعرت ببعض الراحة المتوجسة بعد ان ترك احمد السهرة ليساعد ايمن في النوم ...

حاولت مرام مساعدة الخالة نجاة في غسل الصحون لكنها رفضت بحزم واخبرتها ان تعود لمجالسة منى ومصطفى في غرفة الضيوف ريثما يغير كريم ملابسه ...

عندما عادت مرام لغرفة ضيوف لمحت عبر الباب المفتوح مصطفى وهو يلامس خد منى بحالمية بينما منى تحاول التهرب من ملامسته !! خجلت مرام من دخولها عليهما في لحظة كهذه ففضلت التراجع وهكذا انسحبت بهدوء لتخرج للحديقة ...

تطلعت مرام للسماء الصافية تبحث فيها عن نجوم تلهمها الطريق !! اخذت تهمس " مجرد ايام وساصبح زوجة فراس وبعدها سينتهي الامر ... انا واثقة ... سينتهي ..." ....

صوته الرجولي اجفلها وهو يقول " هل طرداك عصفورا الحب عصفورتي ؟!" تراجعت للخلف خطوتين بينما يظهر احمد من زاوية مظلمة ...

عيناه كانتا مشتعلتين رغم الابتسامة الساخرة على شفتيه .... قالت بصوت مخنوق " لا .. ابدا .. انا بانتظار عمي كريم لارحل .."

ضيّق عينيه واختفت ابتسامته ليقول بصوت مثير " ألن نتكلم ؟!"

ارتجفت رغما عنها وقلبها يختض بصدرها ليخرج صوتها هامسا وهي تقول بضياع " عن أي شيء ؟"

رد وهو يقترب منها " عن عقد قرانك الوشيك مثلا .."

تراجعت للخلف وهي تقول بهلع " لاافهم ماذا تقصد بالضبط .. " ثم عقدت حاجبيها لتضيف باهتزاز " عموما لايعجبني تدخلك في اموري الشخصية .."

اشتدت حرارة نظراته وهو يقترب منها بخطوات مصممة ... وقبل ان تبتعد اكثر مد ذراعه ليمسك بمرفقها وهو يقول بصوت مبحوح محترق " وانا لايعجبني ان اراك معه .. لايعجبني اقترابه منك ... لايعجبني همسه في اذنك لتحمر وجنتاك .. لمسته المترددة لبشرتك بينما عيناه تأكلانك اكلا .. قبلته العفوية على شعرك والتي لااريد ان افكر بوصولها لشفتيك !! "

شهقت وقد اخرستها اعترافاته فقال بهمس " هل صدمتك ام انك تعجزين عن الرد ؟ ام ربما تحاولين الهرب مني يا مرام ..؟ تهربين من الشعلة التي توقدت بيننا دون قصد او تعمد .."

اوشكت ان يغمى عليها من شدة اضطرابها .. حاولت انتزاع ذراعها وهي تقول بضعف وتوسل شبه هستيري " ارجوك اتركني .."

لكنه لم يتركها بل امسك مرفقها الاخر بسهولة ليقربها من جسده وهو يقول باحتراق " لن اتركك مرام .. لست اعرف ما الذي جعلك في طريقي لكني اعرف يقينا اني غير قادر عن التخلي عنك وقد وجدتك .. "

رفعت بارتجاف شديد كلتا يديها لتضغطا على صدره العضلي تحاولان بيأس ابعاده عنها .. نبضات قلبه الهائجة حطمت ما تبقى من قوتها فلم تعد تملك الا ان تتوسل " احمد .. ارجوك .. هذا .. لايصح .."

هزّها قليلا وهو يأمرها قائلا " انظري الي .." حركت رأسها يمينا ويسارا ليتناثر شعرها وهي تهمس " لا .."

تأمل شعرها بافتتان كامل ثم عاد ليأمرها برقة هذه المرة " انظري الي مرام ... انظري الي واخبريني انك لاتشعرين بشيء نحوي .. اخبريني اني احلم كل ليل بمجرد سراب في صحراء حياتي اللامنتهية ... "

كانت ترتعش بين يديه لكنه لم ينخ لضعفها فأصر قائلا " اخبريني .." رفعت وجهها اليه فهاجت مشاعره اكثر وهو يرى دموعها ...

" لاتبكي .." همسه المتوحش جاءها بينما يقترب من فمها عاجزا عن كبح ذاته .. ارتاعت وهي تهمس بتوسل أخير " لا .. لاتفعل .."

لكنه لم يستطع السيطرة على نفسه فقال بينما تختلط انفاسهما الحارة المتقاربة " يا الهي احتاج لهذا وكأني سأموت عطشاً دونها .."

انصهرت روحها تماما وهي تتذوق قبلته المشتعلة التي الهبت كيانها بينما جسدها ينتفض بين ذراعين تملكتاه دون هوادة ...

الفصل السابع

جانا الهوى ... اغنية لعبد الحليم

لم يعد يشعر الا بوجودها المبهر بين ذراعيه لتتفجر مشاعره كتفجر ينبوع ماء في ارض جرداء ..

لقد خرج ذلك المارد الغاضب السجين من قمقمه وادرك نعمة ان يتنفس الهواء ...!!

لم تكن تبادله قبلته بل كانت تذوب فقط فتشعله اكثر .. جسدها فقد كل قوته واوشك ان يسقط ارضا لولا ذراعيه اللتين تأبيان اطلاق سراحها ..

شعر بدموعها تزداد غزارة ... مالحة في فمه لاتلائم حلاوة شفتيها !!...

اصوات بعيدة قرعت اجراسا كثيرا في عقله ليعود شيئا فشيئا ..وهو مرغم .. لارض الواقع ..

ابتعد عنها وهو يتنفس بصعوبة .. نظر لرأسها المنكس وقد اختفى خلف ستائر شعرها الاسود بينما يداها مستقرتان بلا حول ولاقوة على صدره ...

تلك اليدان الناعمتان تثيران جنونه وهما تلامسان صدره هكذا ... لكن ... تلك اللمعة في بنصرها الايمن جعلته يفقد صوابه !! همس بعنف وهو يمسك بنصرها هذا " اخلعيه !! انت لاتنتمين اليه .. "

قرّب رأسه من رأسها يشم رائحة شعرها بما يشبه الهوس بينما انفاسه تهدر ... همس ببحة مثيرة " اريدك لي ... لي انا وحدي يا مرامي ... انا احتاجك ... احتاجك ... "

" احمد ؟!! ماذا تفعل ؟!!" التفت احمد بحدة لينظر لكريم بينما نجاة تقف بجانبه وهي تفتح فمها في ذهول !!

لم يبالِ بغضب كريم الهائج وهو يتقدم نحوه ليخلع مرام من بين ذراعيه هادرا بعنف " هل جننت ؟!! كيف تتصرف هكذا معها ؟!!"

كانت مرام تترنح وهي تستند لذراع العم كريم بعد ان افلتها احمد طواعية ... تخفي خزيها خلف خصل شعرها الكثيفة ... لم يكن خزيا فقط بل احساسا بالعريّ ايضا ... لقد عراها احمد من كبريائها وكرامتها كما عرّى مشاعرها ...

مزّق كل دروعها وكشف اسرارها الدفينة التي حافظت عليها لسنوات ...كل ما كانت تريده هو ان تُمحى من على وجه الارض !! تُمحى ولا يعود لها ذكرى ...

لم تعد تعي ما يحدث حولها بينما العم كريم يسلمها للخالة نجاة التي اخذتها بين ذراعيها وهي تتمتم باعتذارات خجولة تغلفها الصدمة...

كلمات صاخبة متناثرة ... كلها تموج في غضب .. لكن صوته هو بدى قادرا على اختراق تشوشها

وهو يقول بانفعال " لم اكن اريد ايذائها .. لم اقصد ذلك ابدا ... "

كانت ترتجف بينما صوت نجاة القلق يبتعد عنها اكثر واكثر لتغرق في ظلمة اكثر رحمة من مواجهة الواقع الذي تعيشه ....

قالت نجاة بصوت مرتعب " ساعدني كريم الفتاة توشك على الاغماء ولااستطيع حملها وحدي !!"

سابق كريم خطوات احمد نحوها ليسند مرام مع نجاة وهو يقول بغضب مكتوم " ساعديني
لندخلها من باب المطبخ بهدوء قبل ان تشعر منى او مصطفى بما يحدث .."

اطاعت نجاة وقد شحب لونها بينما احمد تنتابه موجة من شعور بالذنب والقلق تصدها رغبته المحمومة في المضي قدما لتكون مرام له !!

قال كريم من بين اسنانه دون ان يلتفت اليه " لاتدخل معنا ... اتركها تستعيد قوتها بدلا من تخسر ما تبقى لديها !!"

تراجع احمد وكأن كريم لكمه في بطنه !! لكن عيناه ابتا الا ان تلاحقا مرام التي استسلم جسدها تماما لذراعي كريم ونجاة وهما يقودانها للداخل ...

التفت بحدة ليوليهم ظهره وهو يمرر يده في شعره باضطراب شديد وغضب متفاقم !!

اجلستها نجاة على احد الكراسي في المطبخ ثم هرولت مسرعة لاحضار عصير لها .. تطلع كريم لرأسها المنكس في خزي يدركه فعاد اليه الشعور بالغضب ... كتم غضبه وانحنى نحوها ليضع يده على يديها اللتين اختاراتا حجرها كملجأ لهما ..

قال بحنان " لاتجزعي يا ابنتي ... عمك كريم لن يسمح بأن يصيبك اذى مهما كان .."

اخذ جسدها يرتعش فاشفق عليها ليضيف " اياك ان تضعفي الان ... ما حصل لم يكن بيدك .. كوني قوية صغيرتي واستعيدي رباطة جأشك .."

جاء صوتها هامسا وهي غارقة في ظلال شعرها " ارجو... ك .. عمي ... خذني ... للبيت .."

عاد ليربت على يديها وهو يقول بحزم " ساخذك عزيزتي ... اشربي العصير اولا حتى تنتعشي قليلا وتستردي لونك .." ...

هزّت رأسها بينما كريم يشعر برغبة غير عادية لضرب احمد ضربا مبرحا ...!!

بعد ربع ساعة كانت مرام تجلس في المقعد الخلفي لسيارة كريم بينما نجاة تجلس بجانبها تحتضنها بحنان ...

تحركت السيارة تحت انظار منى الحائرة في ارتباك ونظرات مصطفى الغامضة ...!! ومن مسافة ابعد نظرات احمد المصممة !!

قالت منى وهي تلتفت نحو خالها " ماذا حصل خالي ؟!! دخلت المطبخ وجدت امي تساعد مرام في

شرب العصير وقد بدت هي ووالدي في وضع غير طبيعي !! ناهيك عن مرام نفسها التي رفضت التطلع نحوي حتى !! ليسارع ابي ليأخذها وهو يقول ان ضغطها انخفض فجأة وسيعيدها لبيتها "!!

قال احمد بهدوء غامض " ماذا تريدين ان تعرفي ما دام والدك اخبرك بكل هذا .."

ردت منى وهي تعقد حاجبيها بريبة " مرام ليست طبيعية ... انا اعرفها .. المسألة ابعد من هبوط ضغط مفاجئ ..."

اسبل احمد اهدابه ثم تحرك مبتعدا ليدخل البيت وهو يقول " انا ذاهب لانام ... ارى ان حسين قد وصل وبهذا لاتحتاجان لوجودي ... تصبحان على خير .."

رد مصطفى بنظرة متأملة لاحمد " تصبح على خير .. انا ساغادر ايضا فالوقت تأخر .."

لوح احمد بيده قبل ان يختفي في الداخل بينما سيارة حسين تدخل المرآب ...

كانت منى ما زالت تعقد حاجبيها عندما ترجل حسين من سيارته وهو يقول بتساؤل " مابكما تقفان هكذا ؟!! ماذا حصل ؟!"

اطرق مصطفى بينما ردت منى بتفكير " ربما عندما يعود والدي سيخبرنا جميعا ماذا حصل بالضبط !!"

دخلت مرام لبيتها وهي تشعر باحساس غريب يسيطر على حواسها ... نوع من التبلّد !! وكأن ما حصل لم يحصل فعليا ...

كان كابوسا ... حلما .. ربما هذيانا !!

كلمات العم كريم المشجعة جعلتها تتماسك فقط لتتمكن من مواجهة امها .. صوت التلفاز القادم من غرفة الجلوس جعل معدتها تنقبض وارهاقها النفسي يتضاعف ...

تقدمت وهي تتوسل الثبات لخطواتها .. وقفت عند باب غرفة الجلوس لترى اختها مستلقية على بطنها وترتكز بصدرها على وسادة تعتصرها بيديها بينما تتابع بشغف فلم الرعب مع امهما ... نظرت مرام بغصة نحو امها التي القت برأسها للخلف لتسنده على ظهر الاريكة وهي تغط في سبات عميق ...!!

اجلت مرام صوتها قبل ان تقول " مرحبا .." قفزت رهف بتوتر من مكانها وهي تقول بلوم " افزعتني مرام !!" ابتسمت مرام وعيناها تموجان بالمشاعر الحبيسة لتقول بضعف " اسفة حبيبتي .. "

عقدت رهف حاجبيها لتقول " ما بك مرام يبدو وجهك شاحبا !!" ردت مرام وهي تلتفت " لاتقلقي عزيزتي ... انخفض ضغطي في بيت منى واشعر بالتوعك ..."

وقبل ان تبتعد اكثر قالت " ايقظي امي لتذهب لفراشها وتنام ..." ...

صعدت مرام درجات السلم بتثاقل وهي ترتكز على الحائط ... عندما وصلت غرفتها اخيرا كانت تشعر بالاعياء الكامل ...

رمت حقيبتها على كرسي قريب وخلعت حذائها لتتسلق سريرها وتستلقي فوق اغطيته بوضع جانبي...

دقائق طويلة مرّت وهي تستلقي بهذا الوضع مفتوحة العينين ... متبلدة المشاعر .. تحاول ايجاد ذاتها وسط كل الصور المشوشة التي تتزاحم في عقلها ...

تحركت اناملها بارتجاف نحو فمها .. عقلها لم يسعفها في تفسير حركتها هذه بينما تتلمس شفتيها باحساس غريب ....!!

دمعة تلو الاخرى انحدرت وهي ما زالت تلامس شفتيها بشرود ذهني وشعور غير محدد ...

وجدت نفسها تجهش بالبكاء بنشيج متقطع لتتقوقع على نفسها وهي تضم ساقيها الاثنتين الى صدرها .. اخذت تبكي وتبكي دون توقف حتى جاءها سلطان النوم ليفرض حكمه عليها فاستكانت لحكمه صاغرة .... مرحبة .....!!

رحلة عودة كريم ونجاة اتسمت بالصمت ... واجهة هادئة تخفي براكين غضب !! هذا ما رأته نجاة في وجه زوجها ....

الاحساس بالضيق لم يفارقها .. ضيق و ... صدمة !! لم تكن تتصور ان احمد سيخرج عن نطاق السيطرة وضبط النفس هكذا !! كتمت تنهيدة في صدرها حتى لاتثير كريم اكثر بينما خيالها يأخذها نحو المنظر الذي صدمها قبل ساعة قريبا ..

رؤية مرام ذائبة تماما بين ذراعي احمد بينما احمد يحتضنها بتملك غريب يهمس في اذنها بما لايعلمه الا الله !!

رؤيتهما على هذه الحالة جعلها تتسمر في مكانها والصدمة تشل اطرافها ... لم تخرج من حالتها الا على صوت كريم الهادر ... لم يكن يصرخ ولكن لديه تلك النبرة التي تفزع اكثر من اي صراخ !!

مع رفضها القاطع لتهور احمد الا انها تتفهمه .. انه مجرد بشر !! له حدود وطاقة ليكبت انفعالاته ... ورغم نظرات الاتهام في عيني كريم ورغم احساسها ببعض الذنب الا انها تدرك بأن ما حصل لم يكن بسبب تدخلها في المرتبة الاولى ... ما حصل كان ردة فعل طبيعية من احمد ... انها تعرف كل خلجاته .. كل احباطاته ... كل عواطفه المكبوتة ...

مع دخول سيارة كريم للمرآب ليقف خلف سيارة حسين سيطرت نجاة تماما على افكارها واعتزمت ان تدخل البيت بهدوء لتؤجل النقاش فيما حدث الليلة حتى صبيحة الغد ...

ما ان ترجلت من السيارة حتى ادركت ان امنياتها لن تتحقق ...خيال احمد تحرك عبر الحديقة لينظر

نحو كريم بهدوء شديد رغم الارهاق النفسي الذي بدى على وجهه .. قال دون مواربة " كيف هي الان ؟!!"

حدجه كريم بنظرة صاعقة واوشكت نجاة على قول شيء عندما هدر صوت كريم قائلا بصرامة " ادخلي يا نجاة ... اريد مكالمة احمد بمفردنا .."

تمتمت نجاة باعتراض واهن اخرسه كريم بنظرة تحذير صارمة فطاطأت نجاة رأسها وتركتهما لتدخل البيت وهي تتنهد بهم ....

قال كريم وهو يتقدم نحو احمد بثبات " هل يمكنك ان تخبرني كيف سمحت لنفسك بامتهان حرمة هذا البيت وامتهان كرامة فتاة اعتبرها كأبنتي منى ؟!! "

رفع احمد رأسه قليلا وقال " انا لن ابرر ... اعترف اني تجاوزت الحدود رغم ان الامر خرج عن ارادتي ... لكني مع هذا .. لن اتراجع .."

تقبضت يدا كريم وهو يقول من بين اسنانه " ماذا تقصد لن تتراجع ؟!! انا امنعك من الاقتراب منها ... تحت سقف هذا البيت الذي رباك لااسمح بهذه التجاوزات السافرة ... انت لم تحترم حتى حرمة رجل هو خطيب مرام وطعنته في ظهره عندما فعلت ما فعلت معها .."

رد احمد بغضب يماثل غضب كريم " توقف عن لومي وتوبيخي يا كريم ... ليس انت ... انت من رباني ويفهمني ربما اكثر من اختي نجاة ..."

قال كريم وهو يحاول الجنوح للحكمة والتعقل " انا لم اربك لتفعل هذا يا احمد ... كيف تقترب من فتاة تنتمي لرجل آخر ؟ كيف ؟!!"

كزّ احمد على اسنانه قبل ان يقول " مرام لاتنتمي لفراس ... ليس بعد الان .."

اتسعت عينا كريم وهو يقول بقسوة " انت اناني وبلا مسؤولية !! لااصدق كيف انحدرت هكذا .. انت حتى لاتفكر بابنك وزوجتك ...."

قال احمد بعدم تصديق وهو يشير بيده لصدره " انا اناني كريم ؟!! انا ؟!! حتى بعد ان اخبرتك نجاة بحقيقة حياتي الرائعة مع سهام "

تردد كريم قليلا قبل ان يقول ناكرا " نجاة لم تخبرني بشيء .."

ضحك احمد بقساوة وقال بسخرية باردة " ادعاء عدم المعرفة لايليق بك .."

نظر اليه كريم بحدة لكن احمد لم يبالِ وقال بنبرة تموج في الالم " لو كنت انانيا يا كريم كنت طلقت سهام منذ سنوات بدلا من ان اعيش حياة بائسة كهذه ... حياة احتقر نفسي فيها بينما امرأة مثلها تحمل اسمي والافدح جعلتها اما لطفلي ... هل تعلم كيف اشعر ؟!! اشعر اني رجل امتهنت رجولته وكرامته ... رجل يعيش على هامش الحياة اختبأ خلف ابتسامة ترضيكم وتطمأنكم انه بخير ... سنوات وانا اخفي حقيقة زواجي حتى لااجعلكم تبتأسون لاجلي ... لكني احترق كريم ... احترق .. اشعر اني افقد انسانيتي شيئا فشيئا ..."

كلمات احمد صدمت كريم ومع هذا تماسك وهو يقول بهدوء " هذا لايعطيك الحق بأن.." قاطعه احمد هادرا بقوة " بل يعطيني كل الحق ... انها تريدني انا ... ارتباطها بفراس ليس عن عاطفة ... وانا احق بأن احظى بعاطفتها التي تكنها لي وتكبتها لانها تشعر بالذنب لكوني متزوج .."

قال كريم باصرار " انت تخلط الحقائق .." فرد احمد بحزم " بل انا اضع الحقائق في نصابها .. ادافع عن حاجتي لاعيش مثل بقية البشر ... لم اعد استطيع ان العب دور المضحي دائما ... "

تلاقت عينا الرجلين في مواجهة محتدمة لينكس احمد رأسه ويقول بتشنج " ضحيت بشهد .. ضحيت بنفسي وانا ارتبط بسهام دون ان اعرفها حقا .. ثم ضحيت مرة اخرى وانا اتحمل كل الاهانات التي قد تدمر اي رجل من اجل طفلي ... من اجل ان لا يكرهني يوما اذا حرمته من امه ومن اجل ان لاافقده لو اخذته امه مني ..."

قال كريم وهو يضع يده على ذراع احمد " انت لم تضحي بشهد يا احمد ... الظروف عاكستكما فقط .."

رفع احمد رأسه بحدة ليقول بنبرة غريبة مشتعلة " اذن لاخبرك بسر لايعرفه غيري ... وغير شهد ..."

نظر كريم بتساؤل حائر لاحمد قبل ان يكمل احمد قائلا " شهد اتتني بعد ان تقدم لها ابن خالتها .. قالت انها مستعدة للزواج بي والهروب

معي !!" اتسعت عينا كريم في ذهول وهو يقول " ماذا ؟!!"

هزّ احمد راسه وهو يبتسم بتهكم جارح " اجل ... هذا ما حصل ... لكني لم اوافقها على الهروب ... خفت عليها من عار سيلتصق بها طوال العمر ... خفت عليكم من نظرات ستجرحكم من الناس ... وخفت الله اولا لاني لم ارد ان اتزوج فتاة دون علم اهلها ..."

صمت قليلا وهو يتطلع لوجه كريم المصدوم ثم اكمل قائلا بألم " غضبت مني ... كرهتني !! حاولت تهدأتها لكنها اتهمتني بالجبن !! توسلت اليها ان تنتظر قليلا ... ان تكون قوية من اجلي ... من اجلنا معا ... ان تتمسك برفضها للعريس لكنها ودعتني بدموع القهر وهي تقول (انا ضعيفة بدونك) "

الصمت ارخى ستائره عليهما كما ارخى الليل ظلمته على المكان ....

كان كريم يحاول استيعاب احمد من منظور جديد ... هذا الطفل الذي رباه صغيرا واحبه كأبن له ... كان فخورا به دوما ويشعر بارتباط قوي بينهما ... الان ينظر اليه كرجل يقطر مرارة ومحبط بطريقة يصعب وصفها ... همس في سره " ما العمل ؟!! ما العمل ؟؟" ..

صوت احمد اخرجه من افكاره وهو يقول بقرار لارجعة فيه " انا لن اخسر مرام ايضا يا كريم ...

انها لي رغم كل ما تقولون ... اشعر ان الله وضعها في طريقي ....."

هتف كريم " احمد !!"

لكن احمد ابتعد قليلا عنه وهو يقول بنفس الاصرار " هذه المرة ساكون انانيا فعلا وساستخدم كل ما لدي لاحظى بها .."

صمت بينما كريم يجد صعوبة في الرد عليه ليكمل احمد " ساغادر بيتك واعيش في بيت والديّ خلال بضعة ايام فقط .."

رد كريم بتشوش " لاتكن سخيفا ..هذا هو بيتك .."

رفع احمد عينيه لزوج اخته وهو يقول بابتسامة واهنة " انا لن احرجك بوجودي هنا ... كما لن احرج مرام واجعلها تمتنع عن الحضور بسببي .."

ضيّق كريم عينيه وهو ينظر لاحمد ويحاول استعادة منطقيته " ماذا تنوي يا احمد ..؟؟"

استدار احمد ليوليه ظهره وهو يقول " انوي ان احصل على حقي ... لمرة واحدة في حياتي اريد ان احظى بما احتاجه... بما خسرته..."

قال كريم وهو ينظر لخطوات احمد المبتعدة " حذاري احمد ... حذاري ... مرام ليست شهد ... لاتجعل الفتاة مرتعا لتحقق احلامك التي ضاعت مع شهد ..."

لكن احمد لم يتوقف ولم يبطئ حتى خطواته ....

نظر عبر الظلام للساعة المنضدية بجانبه لتخبره ارقامها المتوهجة ان الوقت قد تعدى منتصف الليل بثلاث ساعات !! ادار وجهه نحو الجانب الآخر ليتطلع لوجه ابنه بحنان متدفق ... لامس بشرته باطراف انامله وهو يبتسم ....

اعاد رأسه لينظر لسقف الغرفة بشرود ... لم يستطع النوم ولا للحظة واحدة ... كانت افكاره تحرقه ... يشعر بالذنب لما فعله مع مرام وبنفس الوقت يلتهب للذكرى !! ابتسم بحرارة عاطفية وهو يتذكرها بين ذراعيه .. هل يمكن لومه لانه شعر بالحياة تعود اليه ..؟!! لايستطيع ايقاف الامر الان ... لايستطيع .... اغمض عينيه وهو يتذكر رائحتها ... عض شفته السفلى والذكرى تأخذه عميقا لشفتيها .. عاد ليفته عينيه بقوة وهو يهمس " المرة القادمة يا مرام سيحصل الامر بشكل صحيح ... دون اي احساس بالذنب .." ...

حالة الجمود العاطفي سيطرت عليها منذ اسبوع ... اسبوع من الانعزال عن الجميع بينما نظرات امها تلاحقها وبدى واضحا ان صبرها سينفد ولن تمنحها مزيدا من الوقت لتبرر ما حدث مع فراس !!

لازالت ذكرى وجه فراس وتعابيره المصدومة تقض مضجعها !! لم تكن تتوقع رؤيته في اليوم التالي عند

الظهيرة ... ومؤكد لم تكن مستعدة لمواجهته ومواجهة امها معا....

لكنها لم تتراجع ... اخبرتهما بوضوح وثبات مزيف انها تريد الغاء الخطبة لانها غير مستعدة للزواج الان ...

امها في البداية غضبت جدا واتهمتها بعدم النضج بينما فراس ظل ينظر اليها بغموض بعد ان زالت اثار الصدمة عنه .... مر وقت قبل ان يطلب فراس من امها ان تتركهما وحدهما ليتحدثا على انفراد ... وهكذا كان ....

الحوار لم يكن حوارا حقيقيا لانها رفضت ان تستجيب لمحاولات فراس ليعرف اسباب قرارها المفاجئ هذا ... كان صبورا ... صبورا جدا لدرجة التعذيب !!

في النهاية قال بغموض وهو يقف على قدميه " انا اسف مرام لن ارضَ بقرارك هذا بهذه البساطة !! عليك ان تكوني اكثر تحديدا لاسبابك ... "

نظر لرأسها المنكس مطولا قبل ان يضيف بلهجة لم تتبينها " اعترف اني شعرت بشيء غريب منذ البداية ... كنت احاول ان افهمك واتقرب اليك ... لكن ... كان هناك حاجز غير مرئي يفصلنا وما جعلني اصبر عليه انك كنت تحاولين تحطميه !! وانا حاولت مساعدتك قدر الامكان .."

رفعت مرام رأسها اليه بقوة وهي تشعر بالانهيار من فكرة احساسه بتخبطها ونضالها الصامت ضد مشاعرها ...

ذابت عينا فراس حنانا وهو يقول " انا متمسك بك مرام ... لااريد التراجع دون ان اقتنع تماما من فشل ارتباطنا ...."

ابتلعت ريقها وهي تنظر اليه بعجز فابتسم وهو يقول بهدوء " سنؤجل عقد القران وساتركك لاسبوعين حتى تفكري بوضوح لانك مشوشة الان..." نظر اليها بتمعن وهو يضيف " لاتشعري بالضغط ... لن امارسه عليك ابدا وسانتظر اتصالك في نهاية الاسبوعين واذا احتجت للتكلم معي في اي وقت لاتترددي في الاتصال ايضا ... ساكلم خالتي بشرى وساطلب منها ان لاتضغط عليك ايضا .." ...

مد يده بتردد واضح واوشك ان يلمس خدها لكنه تراجع في اخر لحظة واستدار ليخرج وهو يقول " اراك قريبا عزيزتي .." ...

عادت مرام للواقع وهي لاتريد ان تفكر بردة فعل امها التي تركتها فعلا ولم تسألها لكن عينيها كانتا تنطقان بالغضب و القلق !!

نوع من الصمت المتبادل جمعهما ولكنها تشعر ان صمت امها لن يستمر اكثر وهي ترمقها بنظرات متفحصة كل صباح تنتقد بصمت ايضا شحوبها والهالات السوداء تحت جفنيها ....

رفقاً بقلبي

بقلم كاردينيا73

وكيف لاتصبح هكذا وهي تقضي الليل الطويل ساهرة باكية متقوقعة على نفسها ليطل النهار بطيئا كريها معذبا !! كأنها تجد مع وضح النهار مواجهة لذنبها واصابع اتهام لمشاعرها ..

انها تحبه .. تعشقه .. ما فعله تلك الليلة وعدم رفضها له حطمها تماما ... جعلها تشعر انها وضيعة خائنة تتمرغ سعادة في ذكرى قبلة لن تنساها ابدا ....!!

رن هاتفها ... نظرت اليه بشرود ... لابد انها منى تحاول كعادتها معرفة سبب انعزالها وبؤسها ... وتريد تبريرا مقنعا لتاجيل عقد قرانها ... احيانا منى تصبح بلا رحمة في الحاحها !!

تنهدت وهي تمد يدها نحو هاتفها .. تطلعت للرقم الغريب للحظات ثم رمته امامها على السرير دون ان ترد .... لم تكن تستطيع التعامل مع من تعرفهم فكيف بالغرباء ؟!!

عم صمت بعد سكون الهاتف ولكن فقط للحظات وجيزة ليعود رنين هاتفها ...

بنظرة لشاشته كان نفس الرقم الغريب ... اطلقت نفسا محبطا قبل ان تمد يدها لتلتقط الهاتف وتفتح الخط ...

قالت بصوت ضعيف " نعم .."

صوت تنفس اتاها من الجانب الآخر مع احساس غريب بالخطر و.. الاثارة ...!! سالت دمعة على

خدها بينما صوته يتناهى اليها في رقة وسلاسة " هل انت بخير يا مرامي ؟"

يالِ هذه الجملة!! ... بضع كلمات قادرة على تحطيم سكونها الى فتات صغير ... صغير جدا ... دموعها اخذت تتسابق على خديها وهي تغمض عينيها بيأس ...

عاد صوته ليدغدغ مشاعرها رغم كل بؤسها ليقول بصوت اجش " لاتبكي... ما حصل ليس ذنبك ... انه ذنبي انا وحدي ... انا لم استطع ... لم اقاوم ما كان يعتريني ... "

شهقاتها الناعمة تثيره ولايعلم لماذا ؟!! قال بعاطفة " يا الهي كم ارغب رؤيتك الان .. "

قالت بتعثر " ماذا... ماذا .. تريد مني ؟!!"

ضحك بخفة وهو يقول بصوت مبحوح " لن يعجبك ان قلت ما اريده منك الان .."

لاتعلم ما الذي جعلها تضحك بشبه هستيرية هكذا بينما دموعها تبلل وجهها !!

قال بنعومة " هل هذه ضحكة من قلبك تختلط بدموعك .. "

ردت بتحشرج وهي تحاول التماسك " اتوسل اليك اتركني ..انا .. انا .."

صمت حلّق ... وقلب يخفق بجنون ... قال بهمس حاد " انت لي مرام ... هاتين العينين الجميلتين اللتين تزوران احلامي لن تنظرا بشوق الا لي ... هذه النعومة الفطرية الفاتنة التي احتويتها بين ذراعي لن يستعذب لمسها رجل غيري ... هذه

الحيوية المتدفقة كينبوع نهر جارٍ لن يستمتع بها سواي ... "

عادت دموع العجز والياس تغالبها وهي تقول بضعف شديد " هذا خطأ .. لا يجب ان تقول لي هذا ... لايجب ان نتكلم مع بعض حتى... انه خطأ ... خطأ ... يجب ان ننهي هذه المكالمة الان وفورا ..."

اوشكت ان تغلق الخط فعلا عندما علا صوته بعنف وهو يقول " اياك ان تغلقي الخط والا اقسم ستجديني امامك خلال ربع ساعة او اقل .. "

يدها الحرة ترتجف وهي ترتفع لجبينها تمسح عليه باضطراب شديد .... همست بنبرة شبه منهارة " لماذا تفعل هذا بي ... لماذا تعذبني بشعور الذنب .. الا تفكر بفراس ؟!!ماذا يجب ان افعل وكيف يفترض ان اشعر ..."

قال بشراسة " فراس ليس بالصورة ... ليس بعد الان وانت تعرفين ... "

شراسته وثقته بنفسه جعلها تنتفض تمردا فقالت بهستيرية " وهل زوجتك خارج الصورة ايضا ؟؟! اخبرني يا احمد .. هل تستطيع اخراجها من صورة تجمعكما بايمن ؟!! هل ستتركها ببساطة كما تريدني ان اترك فراس بنفس البساطة ؟!!"

كانت تتنفس بصوت مسموع وهي تسمع صدى انفاسه ايضا .....

قال اخيرا بصوت ارعبها بتأثيره عليها " فراس ستتركينه مرام ... مهما طالت صدمتك لما يحصل وتأجيلك للمحتوم ... انت تدركين هذا ولذلك لم تكملي وتعقدي القران لانك تعرفين ان اقدارنا تشابكت وانتهى الامر " اضطربت اكثر ليضيف بعدها وبكل هدوء " اما سهام فعليك ان تعرفي اني.... لن اطلقها ...." ...

الفصل الثامن

انا خايف اقول .. اغنية لعبد الحليم

الاحساس بأنك كطفل تاه الطريق منه ... تحدق حولك بارتجاف وصدمة ولاتجد وجها واحدا يبعث الطمأنية في قلبك !!

فتحت مرام فمها لتنطق فلم تستطع ... ضاعت الكلمات كما ضاع الطريق !!

ناداها بنزق " مرام ؟!! هل ما زلتِ معي على الخط ؟؟" وجدت بضع كلمات لتتلكأ على شفتيها " انا ..انت ...لن تط..." صمتت وهي تشعر بالضياع اكثر !! قال بعنف " لاتفعلي هذا ... اياك ان تضعي العقدة في المنشار ... يجب ان نتحدث وجها لوجه ... هناك الكثير لاقوله ... لاشرحه .... دعينا نلتقي غدا ..."

قلبها يأن .. اجل يأن ... يأن وهي لاتملك الا منحه شعورا بالعجز عن تطبيبه او حتى تسكين ألمه !!

همس احمد بعاطفة " هل تعلمين كيف اشعر الان ؟!! اشعر اني نذل حقير !! فجل ما افكر فيه هو اخذك لنفسي .. ان اعيش حياتي معك وبك ... " اخذ نفسا عميقا ليكمل بكلمات حارقة " انا احتاجك انت .. اريدك انت .. لكني اقسم ساسعدك .." ....

اخذت الكلمات يتردد صداها في عقل مرام .. تسمعها وعقلها يفسرها ولايستوعبها !! يا الهي ما هذا العذاب ؟!! تحركت شفتاها لتقول بعزيمة خائرة " انا ... مرهقة !! اريد ... النوم فقط !!" انفاسه المسموعة عبر الهاتف سبقت كلماته وهو يقول برقة " انت صغيرة .. !! حقا صغيرة وعليّ ان اذكر نفسي بهذا دائما ... عليّ ان اصبر عليك اكثر .. اعذريني صغيرتي ... اعذريني لاني احملك فوق طاقتك ... " صمت ليضيف بعذوبة جعلتها ترتعش " عندما تستعيدين قوتك سنتحدث .. اليس كذلك يا مرامي ؟"

همست بلا تفكير " نعم .."

تنهد بقوة ليقول بصوت مبحوح " حسنا .. الى اللقاء .." ودون ان ينتظر ردها اغلق الخط وكأنه يهرب من نفسه حتى لايتراجع عن منحها الفرصة للتفكير ...

في حديقة بيت منى ..

ابتسم مصطفى وهو يتطلع لعبوس منى ... كانت قد اغلقت لتوها خط الهاتف مع مرام ...

لم تتنبه لنظراته نحوها بينما هي تشرد بافكارها وحاجباها الرفيعين يأبيان الالتقاء الا بشق وسطي يفصلهما .....!!

قالت فجأة " الموضوع اصبح غريبا جدا !!" اسبل مصطفى اهدابه ليقول بهدوء " ما هو الغريب ؟؟"

التفتت نحوه لتقول بجدية " مرام لاتريد الالتقاء بي !! انها تتجنبني !! "

ابتسم برقة وهو يقول " كل هذا لانها اعتذرت عن الذهاب معك غدا للجامعة ؟!!"

ردت منى " هذا احد الاسباب مصطفى ..انت لاتعرف مرام .. كل عام هي اولى المرابطين لاستلام النتائج رغم علمها مسبقا انها من الاوائل !! وهذا ليس كل شيء .. انها ليست طبيعية معي بالذات !! لاافهم ما يحدث لها .. لاافهمها ابدا .."

ساد الغموض ملامح مصطفى ليقول بهدوء " منى... مهما يكن عليك ان تسانديها ... ليس بالضرورة ان تعرفي التفاصيل المهم انها تحتاج دعمك فقدميه لها بلا شروط .."

ازداد عبوس منى وهي تنظر لمصطفى وتقول " كيف اقدم دعمي لشيء لاافهمه ؟!! الا يجب ان تخبرني بما يقض مضجعها لاساعدها في تخفيف وطأته عليها ؟؟" رد مصطفى بنفس الهدوء " منى هي تحتاج للاحساس انك صديقتها وموجودة من اجلها ... هذا كل ما تريده ... لاترهقيها بالالحاح عليها اكثر ... دعيها تخبرك بنفسها في الوقت الذي تريده .."

كست الحيرة ملامح منى لكنها قالت باستسلام " ربما كلامك صحيح ... لااعرف ... ساحاول ان لااكون لحوحة معها .. رغم اني استاء فعلا عندما تخفي علي بعض الامور ..."

اراد مصطفى ان يحول الموضوع فقال بابتسامة عريضة " اذن غدا سنذهب بمفردنا لاستلام نتائجك ؟! قد نخرج بعدها للاحتفال ... "

فاجأته وهي ترفض بحدة " لا ... ساذهب بمفردي .." عضت جانب خدها من الداخل وهي تشعر بالندم لردة فعلها السخيفة والغير مبررة !! لاتعرف لم تشعر ان حياتها تفلت من بين يديها ... لاتعرف لم تشعر انها تخسر استقلاليتها وان هناك من يفرض عليها القرارات ...

تطلعت نحو مصطفى بتوجس فوجدته ينظر اليها وقد اختفت ابتسامته وحل برود شديد على ملامح وجهه ...

قالت بضعف وتلعثم " اسفة لم اقصد ان اكون حادة هكذا !! كنت ... اقصد .." صمتت قليلا لتستجمع افكارها ثم قالت وهي تتوسل اليه بنظراتها ان يتفهمها " الطلبة هناك سيثيرون ضجة اذا رأونا معا وهذا سيضايقني .. سيخنقوني باسئلتهم وتدخلاتهم المموجوجة ..."

بهدوء شديد وقف مصطفى على قدميه ثم قال ببساطة " كما تشائين ..." تحرك مبتعدا ليتركها في الحديقة بمفردها متوجها نحو سيارته ...

نادته باحباط " مصطفى !!" رد عليها دون ان يلتفت نحوها " لدي عمل مع خالك يجب انجازه ... انت تعرفين انه يعتمد علي ولم يبقَ شيء على افتتاح المكتب ..."

فتح باب سيارته وقبل ان يدخل اضاف " اتمنى ان تكون نتائجك غدا ممتازة ... الى اللقاء منى.."

كانت قد وقفت على قدميها هي الاخرى ولكنها منعت نفسها من اللحاق به بعناد طفولي سيطر عليها ... شعرت بالغضب لانها تصرفت هكذا نحوه ولكنها ابت ان تظهر ذلك !!

قالت بعنفوان وهي تضرب بقدمها على الارض " مصطفى ... لاتكن هكذا .. "

القى عليها نظرة طويلة قبل ان يقول " انا اكون كما احب واريد ان اكون .. هذا الامتياز ليس حصريا عليك !!"

ودون ان يضيف المزيد ركب سيارته وتحرك بها دون ان ينظر لمنى التي كانت تفرك يديها مع بعضهما وهي تشعر ككل مرة انها لاتعدو كونها طفلة مدللة في كل تصرفاتها معه !!

كان قلبها يرفرف سعادة بينما حسين لايترك كفها وهما يتمشيان في احدى حدائق النادي ... لقد تقاربا كثيرا خلال الايام السابقة وبشكل يجعل دموع الفرح تغلبها احيانا لتنزل باستحياء على خدها ... فيكتفي حسين بأن يمد يده ليمسحها

وهو يبتسم برقة ... لقد اصبح يدرك طباعها بطريقة مختلفة عن السابق ... يضحك منها احيانا وهو يصفها بالعاطفية ... لكنها مع ذلك لاتشعر انها يحبها فعلا !! تشعر به يحب رفقتها .. يحب وجودها في حياته لكنه لم يعشقها فعلا ..

لكنه على الاقل لم يعد يعاملها كانثى جذابة فقط وكأنها بلا روح ...

اجلسها على احد الكراسي المتناثرة بينما بضع اطفال يتراكضون هنا وهناك ...

انحنى نحو اذنها ليقول برقة " ساحضر لك بعض المثلجات التي تحبينها ..." هزّت رأسها وهي تحمر ابتهاجا فابتسم ببشاشة ثم تحرك مبتعدا ...

اغمضت عينيها وهي لاتخفي ابتسامة راضية نابعة من قلبها ... لم يبقَ على زواجهما الا اسبوعين ..... " ما زلت كما انت .. قمة في الجمال والجاذبية !!"

....

أسوأ كوابيسها يهاجمها .. هل هذا صوته ؟!!

بارتجافة سرت على طول عمودها الفقري فتحت عينيها .....

نفس الابتسامة التي قهرت مبادئها يوما ما وجعلتها تتنازل !! نفس العينين المغويتين اللتين مثلتا عليها الحب باتقان ... وتلك الشعرات البيضاء التي ميزته ... كل شعرة في مكانها لتسحر الفتيات نحو هيئة نضوج غير حقيقية .....

ابتسم فاقشعرت اشمئزازا وتذكرت ابتسامة الوداع الاخير بينهما قبل سنتين ....

قال وهو يرفع حاجبا واحدا " لايعقل ان تكوني نسيتي سوسن ...!! " ثم اضاف باستفزاز " هل نسيتني جميلتي ؟! هل نسيتِ زوجك ..... السابق ؟!!" .....

بعد يومين ..

بخطوات تحاول ان تهدأ اخذ احمد يبحث عنها بين الوجوه ... كان قد مضى ثلاثة ايام على اتصاله الاخير بها ورغم كل الوعود التي قطعها لنفسه حتى لايضغط عليها اكثر لم يستطع ان يمتنع عن الحضور اليوم ليبحث عنها في الجامعة كما فعل البارحة ايضا دون اي نجاح !!

قبل يومين كان يحضر ايمن لبيت نجاة قبل ذهابه لمكتبه الجديد الذي اوشك ان يفتتحه عندما كانت منى تستعد للذهاب لجامعتها ... اصر عليها ان يوصلها بدلا من انتظار حسين الذي خرج منذ الصباح الباكر دون ان يعرفوا وجهته...

اقتنعت وهي تتذمر من كل شيء بينما هو كان يمني نفسه برؤية مرام متجاهلا نظرات نجاة نحوه والتي بدت محيرة !!..... منذ مغادرته بيت كريم وهو ابدى بوضوح انه لايريد ان يكلمه احد في موضوع مرام ورغم امتعاض نجاة الواضح الا انها

التزمت الصمت عن الموضوع ... اما كريم فقد حاول ان يستدرجه للحديث لكن احمد اصر على غلق الموضوع وعدم التطرق اليه !!

في السيارة - ولخيبة امله - اكتشف من كلام منى ان مرام لن تحضر اليوم ....

عاد ليدور بعينيه هنا وهناك داخل قسم كلية الصيدلة ... يرى وجوها شابة كثيرة اختلطت ملامحها في ذهنه لتبهت سريعا ما ان يقارنها بملامح واحدة سكنت مخيلته وتطارد احلامه منذ اسابيع !!

قلبه ينبض باثارة لمجرد تفكيره انها موجودة في حياته ... هل هو الامل ام الانتعاش لانه يعود بشرا من جديد ؟!! يشتاق ويسعى لمن يشتاق اليها ...

آه يا مرام .... انها تدغدغ مشاعره كما تثير رجولته للحصول عليها ...

تنهد بنزق وعيناه لاتجدانها ... هل سيعود خائبا كما الامس ؟!! بيأس واحباط تقدم نحو فتاتين تحملان اوراقهما ... لم يبالِ بنظراتهما التي اتسعت اعجابا وهو يسألهما عن مرام ... ردهما بنفي معرفتها احبطه

لاحظ ان نظرات الفتاتين تحومان حول يده اليسرى بخيبة امل وتحسر !! للحظات تجمد وهو ينظر لخاتم الزواج في بنصره الايسر ..

لم يشعر بنفسه الا وقد اعتذر منهما على الازعاج ثم تحرك مبتعدا وهو يخلع الخاتم ليضعه في جيبه ...

تمتم هامسا " انها لاتستحق ان تراه في يدي " ...

بضع خطوات اخرى و .... وجدها ... عاد قلبه ليخفق بجنون ... لم يدرك ان عينيه تلتمعان بشراسة !! بينما تتطلعان لقامتها التي بدى عليها النحول في بنطال الجينز البسيط الذي ترتديه ... قميص قطني اخضر تفتح اول زرين منه ليبرز عنقها الابيض الذي حاوطته سلسلة ذهبية زادت من متعة النظر اليه خصوصا وهي ترفع شعرها الفاتن كذيل الحصان...

شابة جدا .. محبوبة جدا جدا ...

كان يحدق في تفاصيلها بجوع متزايد وعطش لايرتوي !! يتفرس في حاجبيها الاسودين اللذين عقدتهما في تركيز بينما تقرأ ببضع اوراق تم لصقها بشكل متراص على لوح خشبي معلق على الحائط ...

عيناها الجميلتان ذابلتان بينما تعبير شجن يسكنهما ... وجهها شاحب ويبدو اكثر نحولا من آخر مرة رآها فيها ... شفتيها .... دفع كل الافكار التي تعذبه عن هاتين الشفتين ...

اخذ نفسا عميقا قبل ان يخطو نحوها وجسده يرتعش بالابتهاج ..... لقد وجدها !!

بدأ الصداع يهاجمها وهي تحاول التركيز في قراءة الاوراق امامها ... انها تتألم ... تتألم من كل شيء !! الالم يشتت ذهنها ... ماذا بيدها ؟!! لاتملك الا ان تتألم من شعور الذنب الذي لايفارقها نحو الجميع

رفقاً بقلبي

بقلم كاردينيا٧٣

ابتداءا من فراس الى امها الى منى واهلها و.... اليه هو !! لاتعرف لمَ تشعر بالذنب نحوه ... ربما لانها تحاسب نفسها بقسوة .. انها تلوم نفسها على عدم ضبطها مشاعرها امامه ..

الايام الماضية اخذت تفكر بالامور بشكل مختلف ومن منظار مختلف ... انها كانت حمقاء تماما وهي تكشف مشاعرها وتعلقها به عبر تصرفاتها الغريبة نحو ومنذ اول لقاء بينهما ...

فما هو الا رجل !! ويبدو ان مشاكله مع زوجته جعلته ينجذب نحوها ... كم هي غبية وبلا عقل !! لقد قرأت كثيرا عن ضعف الرجال عاطفيا اذا حدث شرخ في العلاقة مع زوجاتهم ...

تنهدت وهي تحاول اعادة قراءة ما كتب على الورق .. لكن افكارها عاندتها وهي تجرها بعيدا عمّا تقرأ لتواصل أدانتها بكل افعالها ومنذ البداية !! مؤكد هي من اوحت له بأنها توافق على الارتباط برجل متزوج ... والا كيف يعقل ان يخبرها صراحة انه يريد الارتباط بها وبنفس الوقت هو لن يطلق زوجته ؟!!

بعد ليال طويلة قضتها تعاني توصلت لقرار مهم ليكون اليوم اول خروج لها وهي تنفذ هذا القرار ..

لامست بابهامها بنصرها الايمن تفتقد حرارة المعدن الذهبي ... اجل ... هذا كان قرارها الاول ... ستنفصل عن فراس ... لم يعد من العدل اقحام

فراس في معركة جديدة .. على الاقل المرة السابقة اقحمته لان احمد لم يكن حقيقة في الصورة اما الان فالوضع اختلف ... اختلف تماما ... وعليها ان تواجه احمد ايضا لتفهمه بشكل قاطع ان لاامل لهما معا ....

انعصرت عضلة قلبها حتى كادت تختنق .. ما زالت تلك الذكرى في الحديقة تقض مضجعها وتجعلها تتأرجح ما بين فرح وشعور فظيع بالذنب !! همست في سرها " سامحني يا رب ... اغفر لي .. لم اجد القوة لاقاومه ..." ....

" مرام ..." اجفلت وهي تستدير نحو مصدر الصوت بينما حقيبتها تسقط منها طواعية !!

لم تنحني لالتقاطها كما لم يفعل هو ...ظلا يحدقان ببعض وعزلة وهمية تحيطهما ...

هي تنظر اليه بسعادة مفاجئة لاتستطيع منعها او السيطرة على تدفقها لتغمر كيانها كله ..

وهو ينظر اليها وكأنه ... وكأنه يوشك ان يفعل ما فعله تلك الليلة في حديقة بيت منى !!

احمرت وانفاسها الثائرة تحارب محاولاتها الواهية لتهدأ ... كل الافكار تتطاير في الهواء ولا يبقى الا هذا الشعور بأنها اصبحت مرغوبة.... وبهذه الشدة... منه هو ... هو دون سواه !!

انه هنا امامها .. عيناه تشتعلان بمشاعر لاتفهمها حقيقة فقط تدرك بحدسها الانثوي ان مشاعره هذه قوية جدا وهائجة بشكل مرعب وصادم !!...

عيناها تعلقتا بابتسامة صغيرة علت شفتيه.. لم تكن ابتسامة عادية كانت نوع من الذبذبات العاطفية التي يرسلها اليها ...

هزّت رأسها تستجمع تركيزها لترفع نظراتها مرة اخرى نحو عينيه ... ارادت ان تقول شيئا ما ... لكنها عجزت!! بدى مسحورا تماما وهو ينظر لشفتيها بلوعة !! قال بهمس مبحوح دون ان يحيد بنظراته " في يوم ما ... قريب جدا كما آمل سيحدث كل شيء .. ساجعلك سعيدة مثلما تجعليني سعيدا لمجرد دخولك حياتي ..."

بعض التهريج بين الطلبة مزّق العزلة التي لفتهما ... وجدته يتنهد ثم انحنى ببساطة ليلتقط الحقيبة من الارض ... اخذت تنظر اليه وصدمة اخرى تضربها بقسوة... انها صدمة الواقع بمرارته ...

نظرت بجمود اليه ... انه احمد الذي اعشقه ... احمد الاب ... احمد المتزوج ... ارتعشت وهي تتذكر كلمتين منه " لن اطلقها " ... لقد كرهت نفسها طويلا وهي تعنف نفسها على احساسها بالجرح لانه قال لن يطلق زوجته !!

هل هي حقا تريد ان تأخذ رجلا من زوجته وابنه ؟!! هل حقا تريد وضع نفسها ووضع امها واختها في هذه الدوامة ؟!!

وماذا لو كان لديهما مشاكل .... كل الازواج يعانون من اضطرابات زوجية ... هل هذا يعني ان

تدخل هي في الصورة مستغلة ضعفه لابتعاده عن زوجته ؟!!

زمّت شفتيها وهي تمد اليه يدها لتأخذ حقيبتها ثم قالت وهي تتجنب النظر اليه " انا لم ادخل حياتك بالمعنى الذي تقوله ... انا فقط ظهرت في وقت حرج يمر به زواجك .."

صمتت وهي تدعو الله ليمنحها مزيدا من القوة ثم اكملت " انا اسفة لاني علمت عن وجود مشاكل زوجية بينكما وبالصدفة فقط ... صحيح اني لاخبرة لي بامور كهذه لكني اعرف ان الزوجين يواجهان احيانا مشاكل تجعلهما يشعران بانهما وصلا طريقا مسدودا ولكن مؤكد العشرة ووجود طفل بينكما يجعلكما تعيدان المحاولة لرأب الصدع .."

كانت راضية بل سعيدة جدا وفخورة بالمحاضرة الهادئة التي القتها على مسامعه وهي تنحى جانبا كل الالام المبرحة التي تهاجمها وتسخر من عقلانيتها !!

ساد الصمت وهي ما زالت لاتنظر اليه ... تلكأت في ابداء خطوة لتبتعد عنه ... تساءلت في سرها باضطراب وهي تحدق في بنطاله الازرق " ما الذي يجب ان افعله الان ؟!!"

جاء صوته حازما " تعالي معي .." ارتعشت وهي تنظر ليده الممدودة نحوها .. رفعت بتردد نظراتها نحو وجهه وهي تهز رأسها رفضا !!

رأت عيناه تشتعلان الان بغضب ثم قال " ستأتين مرام ... الموضوع لم ينتهي ...انه حتى لم يبدأ بعد .."

همست بألم " هذا افضل ... انه .. لم يبدأ معك ... ويفترض ان لا يبدأ اصلا وانت متزوج ويبدو واضحا انك لاتستطيع الاستغناء عن زوجتك بدليل انك لاتريد طلاقها ..."

رأته يكز على اسنانه قبل ان يميل نحوها قليلا وهو يقول بهمس حار " اقسم بالله يا مرامي اذا لم تخرجي معي الان بهدوء لنجلس كأي متحضرين في اي مقهى قريب سأريك جانبا مني ليس متحضرا على الاطلاق ...."

لاتعلم هل اصبحت تفقد القدرة على السيطرة على حركات جسدها ايضا ؟!!وجدت نفسها تهز رأسها بالقبول هذه المرة بينما تتقدمه لتخطو بتعثر خارج القسم ...

تنفس احمد الصعداء عندما جلسا اخيرا في مقهى بعيد نسبيا عن الجامعة ... اصرت مرام على اختياره لان الطلبة لايرتادونه كما اصرت على الذهاب بسيارتها بدلا من الركوب معه ...

كان يعلم انها تقاوم ... تقاوم ما يحدث وما سيحدث .... نظر لرأسها المنكس امامه وهو يعدها ويعد نفسه قبلها " سيحدث مرام .. سيحدث مهما قاومتِ .."

دون ان يسألها رايها طلب لها عصير الفواكه بينما اختار هو فنجان قهوة ...رفعت رأسها اليه بتساؤل فابتسم بحنان وهو يقول " سمعت منى تقول مرة انك تحبين عصير الفواكه .." ثم امال رأسه وهو يتطلع بجرأة لوجهها وشعرها ليقول بعدها بصوته مثير " يبدو انك تعشقين كل ما يخص الفواكه يا مرامي ...فرائحتك نفسها رائحة تفاح تمتزج احيانا بالفراولة ..."

احمرت وهي تعض شفتها وتدير رأسها جانبا ....

ضحك بخفة بينما النادل يضع العصير والقهوة ...

عيناه التقطتا يديها .... يدها اليمنى بالذات ... لم يستطع كتم ابتسامة فرح شعت على شفتيه ...

قال وهو ينظر نحوها " لقد خلعتِ خاتم فراس ...!!"

قالها وكأنها تحصيل حاصل .. او ربما كنوع من الاقرار باستسلامها لمشاعرها نحوه ..

قالت باضطراب وهي تتباعد بنظراتها عنه " هذا لايعني شيئا ... "

انتابه الغضب لمقاومتها لكنه كتمه فالان عليه التركيز واستغلال فرصة تواجدهما معا ليشرح لها بعض الحقائق ....

قال بجدية " اسمعيني يا مرام للنهاية وبعدها ساعطيك كل الوقت لتتكلمي .."

لم ترفع عينيها اليه لكنه يعلم بأنها تسمعه بتركيز ...

قال بنبرة حيادية " ارتباطي بسهام كان ارتباطا تقليديا متعجلا !! كنت ... كنت امر بظروف صعبة واحتجت ان ابدأ حياتي من جديد ... نجاة اختارتها لي وانا رأيتها واعجبتني .."

قد يبدو الامر قاسيا ولكنه كان سعيدا برؤية تشنجها عندما قال (اعجبتني) ... همس في سره وهو يتطلع لنعومة يديها " الصبر يا رب .."

تنحنح ليستعيد الجدية في صوته ثم قال " انا لن ادخلك في تفاصيل لن تنفع لكن عليك ان تعرفي ان زواجي من سهام فاشل تماما ومنذ البداية ... حاولت كثيرا انجاحه ولكني فشلت ... "

نظر اليها بتركيز ثم قال بتأني " انا منفصل تماما عن زوجتي ومنذ اشهر طويلة ... لقد اتفقنا انا وهي على هذا ... خيّرتها ان ننفصل وتترك لي ايمن لكنها رفضت رفضا قاطعا الانفصال بل وهددتني باخذ حضانة ايمن مني اذا فعلتها وطلقتها .. وانها ستفعل كل ما بوسعها لحرماني منه ..."

شهقت مرام رغما عنه وهي ترفع عينيها لتنظر اليه بصدمة ...

اكمل احمد بصراحة شديدة " انا وصلت لدرجة اني عرضت عليها تعويضا ماديا لكنها رفضت .."

كانت مرام لاتستوعب ما تسمع ووجدت نفسها تسأل بحيرة شديدة " انا لاافهم !! اذا كانت هي عمليا منفصلة عنك فلماذا تتمسك بك ؟!!"

" انها تتمسك بالواجهة ... لاتريد ان تحمل لقب مطلقة ..." ارتفع حاجبا مرام عاليا وهي تقول بذهول " لاتريد ان تحمل لقب مطلقة ؟!!"

قال احمد بحذر " مرام ... عليك ان تعرفي ان سهام ليست شخصية سوية ... قدري اني ارتبطت بها وانجبت منها ابنا هو الاهم في حياتي ... انا لن اتركه ولن اتخلى عنه ... فكرت في احدى المرات استغلال بعض تصرفاتها الشاذة لاضغط عليها حتى اطلقها واحصل على حضانة ايمن لكني تراجعت ... لم استطع ان احمله الشعور بالعار من امه اذا كشفتها امام الناس ..."

كانت مرام تشعر انها تدخل في دوامات اكبر واكبر .... تطلع احمد ببعض القلق لتعابيرها ... خشي ان يكون قد دفعها للابتعاد بدلا من دفعها لتتفهمه وتقترب منه اكثر دون اي شعور بالذنب ...

شعور مقبض سيطر عليه .. شعور بأنه يخسرها ... لا ... انه لن يخسرها ... مرام طوق نجاته ... مد يده بلهفة ليحتضن يدها ... حاولت سحبها لكنه منعها قائلا بهمس معذب " تزوجيني مرامي .. كوني لي وانا ساسعدك ... لن اجعل اي شيء يؤلمك ... "

كان قلبه يخفق بقوة ولم يشعر بنفسه الا سحب يدها ليقربها من فمه يلثم باطن كفها بشفتيه ثم همس بحرارة " يا الهي كم احتاجك ... " ....

لم يدرك الاثنان ان عيني فراس المصدومتين كانتا تحدقان فيهما وعلى بعد بضع خطوات فقط !!

الفصل التاسع

رسالة من تحت الماء ... اغنية لعبد الحليم

الموجُ الأزرقُ في عينيك.. يُجرجِرُني نحوَ الأعمق

وأنا ما عندي تجربةٌ في الحُبِّ .. ولا عندي زَورَق

إن كُنتُ أعزّ عليكَ فَخُذ بيديّ

فأنا عاشِقَةٌ من رأسي حتّى قَدَمَيّ

إني أتنفَّسُ تحتَ الماء..

إنّي أغرق..أغرق..أغرق

همست بتعثر وضعف " أأ .. أرجوك ... اترك .. يدي .." لكنه لم يرحم ضعفها .. كان ما زال يلثم باطن كفها ليزفر انفاسا حارة تداعب بشرتها برقة تناقض عنف المشاعر التي تثيرها فيها هذه الانفاس فتشوش عقلها تماما ...

قال بتحشرج " ليس قبل ان تقولي نعم ..." ...

رفعت نظراتها اليه ... تغرق في عينيه .. امتزج العذاب بالعشق ليشكلا شعورا فريدا من نوعه .. همست بتوسل وانهيار مصحوب بالدموع " لايمكنك ان تفعل هذا بي !! .. لايمكنك دفعي لاخطو هكذا خطوة ... ارجوك ... اتوسل اليك ... دعني ارحل ... ساعدني حتى استطيع الرحيل !! ساعدني لاشفى .. لابتعد ...هذا كله خطأ ... انا سابتعد ... اجل سابتعد ...سابتعد حتى عن منى ... ساقطع علاقتي بها نهائيا .. انا ... انا ..."

شهقاتها غلبت هستيرية كلماتها ... اخذت تجهش

بالبكاء فضاعت ملامحه المتوترة امامها خلف ستارة من الدموع ... لم تر نظراته وقد لانت فجأة بحنان متدفق .. ارتخت قبضته تدريجيا لتسحب يدها بانكسار وألم ...

همس باسمها " مرام ..." لكنها قاطعته وهي تقف على قدميها تمسح دموعها وتقول " لا ... لاتقل شيئا آخر... اتوسل اليك ..." ...

وتحركت مبتعدة لاتلوي على شيء بينما احمد يضع على عجالى مالا على الطاولة وهو يشتم !!

كم مر من الوقت وهو يجلس في سيارته ويتصبب عرقا !! كان يقبض على المقود بضراوة يقاوم جانبا متهورا يحثه على العودة لداخل هذا المطعم الصغير حيث تجلس مرام هناك في احدى زواياه المعزولة ... تجلس بصحبة احمد!! .. هذا الرجل يمسك كفها و.. يقبل باطنه ...!!!! اخذ فراس يضرب بقوة على المقود وهو يقاوم المعاني المتدفقة لعقله تفسيرا لتلك الصورة... صورة ازدادت قساوة بتعابير مرام التي رسمت بوضوح احساسها بالضعف تجاه ذلك الرجل ... كزّ على اسنانه وهو يقول بصوت مسموع " حدسك انبأك يا فراس .. انبأك بأمر غير طبيعي يحدث بينهما ولكنك انكرته ... تصورت انها مجرد شكوك تحوم حول اي رجل في محيطها وان السبب يعود فقط لاحساسك بالحاجز الذي يبعدها عنك ... لم تكن تريد ان تصدق ان هذا الحاجز هو رجل متزوج ولديه طفل !! هل هذا ما كان يؤرقك يا مرام ؟!! هل

لجأت لي لتهربي منه ؟!! هل كان يلاحقك واخترت ان تبتعدي بالاقتران بغيره ؟!!" ..

الشك .... آفة قذرة تنخر بنقاء السريرة .... لم يستطع الا ان يتساءل عن مدى علاقتها بأحمد ؟؟ منذ ان رآهما يخرجان سوية من باب الجامعة وتلك الآفة اخذت تشحذ همتها لتبدأ النخر ... شيء ما ربما لغة جسديهما جعلته يشعر ان امرا غير عادي يجمعهما ... في البداية لام نفسه على سوء ظنه عندما وجدها تركب سيارتها الخاصة وتنطلق بها لكن سرعان ما لاحظ ان احمد تبعها بسيارته ليلحق بهما هو الآخر ....

مشاهدتهما يدخلان المطعم سوية كان طعنة له !! اما نظرات احمد لها فقد مزقته خصوصا مع هذه الاستكانة الانثوية التي ابدتها مرام نحوه ... لحق بهما وقلبه يهدر ...ويا ليته لم يفعل !!

تطلع نحو باب المطعم وهو يفكر ببعض الذهول أنه لايعرف كيف خرج من ذلك المكان ولايعرف كيف يمكن لاحساسه المجروح الغاضب ان يحوله لكتلة عجز مثيرة للشفقة هكذا ؟!!! مهنته علمته أن يهذّب طبائعه الانسانية العنيفة .. انه يؤمن بوجوب السيطرة على اشد الانفعالات قوة حتى يجيد التفكير والتصرف بحكمة .. يؤمن ان الحُلم ليس هبة بل هو غاية يصل اليها من يسعى نحوها بصدق ومثابرة ...

ارتعش فراس وعيناه تلمحان باب المطعم يفتح ... خرجت مرام بخطوات متعثرة هاربة لتتوجه

مباشرة نحو سيارتها وهي تطأطأ رأسها في تعابير يسيطر عليها الضياع !! بضع ثواني ولحق بها ظل احمد لكنه لم يتعدى الخطوتين خارج بوابة المطعم ليتوقف وهو يتطلع اليها تركب سيارتها .... عيناه لاتفارقانها .. عيناه يلتمع فيهما الاصرار والتصميم !!

طريق العودة كان ضبابيا تماما ... مشاعرها ما زالت تتقاذفها الامواج ... كيف يفترض ان تتصرف ؟!! كيف يمكنها ان تقاوم مشاعرها نحوه الان ؟!! لم تستطع ان تفعل ذلك في الظل فكيف تفعله وقد اصبحت في العلن !! كيف وهو يطالبها بها بهذا الاصرار ؟!!....

كيف يمكنها مقاومة حصاره لها ... بل كيف يمكنها مقاومته هو شخصيا ؟!! امواج وامواج ... وهي تشعر انها تغرق اكثر واكثر ...

كانت قد وصلت بيتها لكنها ركنت سيارتها على جانب الطريق بدلا من ان تدخلها للمرآب .. اسندت جبينها على مقود السيارة وهي تحاول التنفس بعمق ...

انها تشعر بحالة من التشوش لم تشعر بمثلها سابقا في حياتها.. حتى عندما قبلها احمد في تلك الليلة لم يحدث لها هذا التشوش .. لماذا يحدث لها هذا ؟!! لماذا كلما ارادت ان تخطو خطوة صحيحة يحدث ما يجعلها تتراجع لعشر خطوات !!!

نقر على شباك المقعد المجاور لها اجفلها بقوة .. رفعت راسها ليطالعها وجه فراس عبر زجاج النافذة ... تجمدت حواسها وهي تنظر اليه ... كانت في حالة لايمكنها فيها تحليل نظراته الغامضة ...

جذبتها شفتيه وهما تتحركان ... ثم عبوسه الطفيف وهو ينقر على النافذة مرة اخرى فادركت انه يطلب فتح قفل الباب ليركب بجانبها ...

فتحت له القفل ليفتح هو الباب ويجلس بجانبها بكل هدوء .... عجزت عن القاء تحية كما شوشها اكثر انه لم يفعل ايضا !!

مضت بضع لحظات من الصمت وهي تتمسك بالمقود وتنظر اليه بينما هو يتطلع للامام .... اخيرا قال بهدوء " اين كنت؟.." ردت بارتجاف " في ... الجا..معة.." سأل بنفس الهدوء وهو يلتفت نحوها بتعابير غامضة " وهل اتيت من الجامعة مباشرة الى هنا ؟؟" اتسعت عيناها وترقرقت بالدموع وهما تحدقان بعينيه اللتين كانتا يوما تنظران اليها بدفء ... لكنه لم يتنازل وظل ينظر اليها بانتظار اجابتها ... هزّت مرام رأسها ب(لا) بينما دمعة صغيرة تهطل على خدها ....

شاب نظراته الحزن وشيء من الألم وهو يقول " على الاقل انت صادقة في هذا.."

رفعت يدها لتكتم شهقتها بظاهر اناملها ... قال بصراحة مشبعة بالألم " رأيتك تخرجين معه من بوابة الجامعة ... اعترف ان الفضول انتابني .."

اسبل اهدابه وهو يهمس " فضول و..حدس .." ما زالت تكتم شهقاتها لكن دموعها تسيل مدرارا ...

تقبضت يداه في حجره ليرفع نظراته بقوة ويركزها على يدها اليمنى التي تحاول ان تكتم بكائها دون نجاح يذكر ثم قال بعنف مكبوت " رايته كيف يقبل باطن يدك .. يدك التي خلت من خاتمي وكأنها تعطيه الضوء الاخضر ليفعل ما فعل !!" كالملسوعة ابعدت يدها تخبؤها بين طيات قميصها وهي تتمتم بيأس" انا ... اسفة .. اسفة .. كنت .. ساخبرك ... اليوم ..."

هدر صوته " هل هو الحاجز الذي كنت تحاولين عبوره لتصلي الي ؟!! " ثم اضاف بقساوة واتهام " ام كنت انا الحاجز الذي تحتمين خلفه هروبا منه ؟!! " رفعت عينيها اليها لتقول بتوسل " فراس .. انا .." ضرب على حافة الباب بجانبه وهو يقول بعنف " متى بدأت علاقتك به ؟" نفت بقوة " لا ... اقسم لك ...ليس لدي اي علاقة معه .. انه .. انه .. فقط .. يا الهي .. انا اتعذب .." قالت كلمتها الاخيرة وهي تشعر انها ستنهار تماما لكن فراس اصر قائلا " اخبريني مرام .. من حقي ان افهم ما كان يحصل من وراء ظهري مع خطيبتي .." ثم اضاف بتهكم " ام ربما يجب ان اقول خطيبتي السابقة ؟؟" هزّت راسها بألم ما بعده ألم ثم قالت ببكاء مرير " صدقني انا كنت مخلصة لك .. كنت احاول ان ابدأ حياة جديدة معك .." ازدادت دموعها وفقدت السيطرة على نفسها ... قالت بانهيار كامل " انت لاتفهم حقيقة الامر .." رقّ

فراس قليلا لحالتها فقال " افهميني انت مرام بدلا من ان تتركيني للتكهن .. افهميني ماذا يحدث بينكما ؟!!"

اخذت الكلمات الحبيسة منذ سنوات تنطلق باسراف كما انطلقت دموعها .... قالت وكأنها تهذي " منذ سنوات تعلقت به .. كنت مراهقة .. لم يلاحظني حتى ... ثم تزوج وسافر .." بكت بقوة وكأنها تندب مشاعرها الجريحة ثم عادت لهذيانها وهي تقول " انا لاافهم نفسي فراس .. لاافهم لم استمر تعلقي به وتحول لعاطفة من طرف واحد .. عاطفة في الظل لايشعر بها احد سواي ..." همس بمعاناة " ثم عاد .."

لكنها لم تشعر بمعاناته لتكمل مأساتها " اجل ... عاد ... تصرفت بمنتهى الحمق امامه وفي عدة مواقف .." اغمضت عينيها وهي تهمس " كشفت نفسي وعريّت مشاعري !! "

زمّ فراس شفتيه قبل ان يقول بصرامة " فقررت استخدامي للتمويه ؟!! " التفتت اليه لتقول بصدق " لا .... اقسم لك .. كنت التجأ اليك فقط .. كنت احاول انقاذ نفسي .. وبدأت فعلا بالشعور نحوك بشيء رائع ... حتى ..." ضاعت باقي الكلمات منها ليتكهنها فراس وهو يقول " حتى قرر هو ان يدخل بالصورة كعنصر فاعل بعد ان كان في الظل .."

طأطأت راسها وهي تقول بتخاذل " انه يعاني مشاكل في زواجه ووجد بعاطفتي الحمقاء ضالته .." هتف فراس بوحشية " انه اناني .."

لاشعوريا التفتت اليه بحدة لتقول بقوة " انه يتألم .." اتسعت عينا فراس بصدمة وهو يتطلع لوجهها الباكي اليائس والذي احتيا فجأة !! قال بذهول " لااصدق !! لااصدق انك تدافعين عنه وتمنحينه الاعذار !! ألهذه الدرجة تعشقينه ؟!!"

صدمة مرت على محياها لتتحول تدريجيا الى اليأس مرة اخرى !! همست " ماذا افعل فراس ؟!! انا اوشك على الانهيار فعلا ... انه يريد الزواج مني ... ورغم كل الالم والخوف وكره الذات اجد نفسي .. اجد ... نفسي .." ارتجفت شفتاه وهو يقاطعها " سعيدة ؟!"

هزّت رأسها بنعم لتنهار مرة اخرى في بكاء مرير وهي تحتضن المقود امامها وكأنها تستجدي فيه حضنا متفهما مواسيا!!

رفع فراس يده بتردد ليلامس رأسها المنحني واوشك ان يلمسه فعلا لكنه تراجع .. لقد احبها .. هو يعترف بذلك لكن ألمه لايعادل جزءا ضئيلا مما يستشعره من ألمها هي ... لم يتصور ان هذه الفتاة الجميلة والمشعة حيوية تخفي كل هذه العاطفة اليائسة تجاه رجل بعيد عن منالها .. لا ... لم يعد بعيدا ... لقد اصبح قريبا ... قريبا جدا وبشكل خطر !!

من على بضعة امتار كان احمد يراقب خيالهما المتحركان في حدود السيارة الضيقة !! الغيرة تنهش احشاءها بينما يحاول تحكيم عقله ومنطقه وهو يردد لنفسه " اهدأ احمد ... عليك ان تمنحها الوقت لتنهي علاقتها به ... " لكن عندما انهارت على مقود سيارتها ثم رآى يد فراس تمتد ليلامسها لاشعوريا مد هو يده لمقبض الباب حتى يخرج اليه لكنه تراجع مع تراجع فراس ....

تنفس بعمق وهو يهمس بوحشية وعيناه تتطلعان لغريمه " اتركها ... انزل من السيارة قبل ان افقد ما تبقى من تحكمي بنفسي لاتي اليك واجرك جرا .."

.....

هدأ بكاؤها لكنها لم ترفع نفسها لتواجهه ...قال فراس " انا ساتركك الان ... لكننا سنتحدث لاحقا .." لم ترد ... فاضاف وهو يمد يده لمقبض الباب " قد يكون ارتباطنا كخطيبين انتهى لكن انت ما زلت قريبتي واشعر بالمسؤولية نحوك .. ارتاحي قليلا ولاتفكري بشيء الان ..." وهكذا غادر فراس ليتوجه نحو سيارته فتنفس احمد الصعداء ... لكن لم يكن احمد المراقب الوحيد لهما ... فتاة تقارب الخامسة عشرة تراقب من خلف الستارة لتتركز عيناها على فراس وخداها محمرين !!

رنة رسالة نصية على هاتفها شاركتها وحدتها في ليلتها الاطول والاكثر ارهاقا بسهادها .. مدت يدا

لتلتقط هاتفها فطالعتها كلماته " نسيت ان اقول لك .. مبروك النجاح بتفوق ..." ضحكت رغما عنها وقلبها يقطر سعادة وألما .... هو اول من هنأها !! لاحد هنأها قبله ... فامها نسيت تماما نتيجة التخرج لتدخل معها في مناقشات محتدمة عن اسباب فسخ خطوبتها من فراس ... انفعلت عليها بشدة .. لاول مرة ترى امها بهذه الحالة وكأنها ... وكأنها خاب املها فيها !! حتى رهف اخذت تنظر اليها نظرات متهمة وحانقة !!

وهكذا تركتهما لتعتزل في غرفتها ...

رنة اخرى ورسالة جديدة ... استعذبت العذاب الذي تشعره وهي تقرأ رسالته الثانية " هل نمت يا مرامي ؟!! بينما انا يجافيني النوم !!" .. لاتعرف لم كان لكلماته تاثير المخدر عليها !! وجدت نفسها تميل براسها الى وسادتها وهي تحتضن الهاتف لتغمض عينيها وتغرق في نوم بلا احلام .....

صباح اليوم التالي ...

رفعت نجاة سماعة الهاتف لتقول " نعم .." رد احمد " مرحبا نجاة .." صمتت للحظة قبل ان تقول برسمية " مرحبا احمد .." صمت ... صمت للحظات طويلة قبل ان يقول برقة " هل ستظلين على برودك معي ؟" تمكن من استفزازها فهتفت بحدة " انا باردة معك ؟!! ام انت اخترت ان تبتعد

عنا جميعا بهذه الطريقة القاسية ؟!! ماذا فعلنا لك " رد بمشاكسة عذبة " انا لم ابتعد .. انا اراك كل يوم .." ردت بغيظ " آآآ صحيح .. كل يوم تحضر لي ايمن لاعتني به .." لم يقاوم ان يشاكسها اكثر وهو يقول مدعيا الجدية " اذا كان يضايقك ايمن فانا.." قاطعته بحدة وصرامة وهي تقول " كلمة اخرى يا ولد وسآتي اليك اينما كنت لاضربك على مؤخرتك كما كنت افعل وانت طفل صغير!!" ضحك احمد من قلبه ثم قال بحنان " هل تعلمين كم احبك نجاة ..." تنهدت باستسلام وقالت بعاطفة " انت الذي لايعلم مقدار حبي له .." همس بصدق " انا آسف نجاة .. آسف .. انا ..أمر بالكثير واحتاج ان انظم حياتي من جديد .." ردت بحنانها المتدفق " لماذا لاتدعني اساعدك ... مرام

ا.." قاطعها قائلا " اتوسل اليك فقط دعيني اتصرف بمفردي .." تنهيدة طويلة منها اشعرته بالذنب فاضاف برقة " اعدك ان اهرع اليك اذا عجزت ... هل يرضيك هذا ؟؟" ردت بغير اقتناع " حسنا .."

تنحنح قبل ان يقول " نجاة انا اعلم انك مشغولة بعرس حسين ولكني احتاج منك معروفا .." قالت بلهفة " اطلب صغيري ... انت ولدي ايضا.."

ابتسم احمد وهو يقول " حسنا .. هل تذكرين السيدة زينب ؟ المرأة التي احضرت ايمن معها .." ردت نجاة " آآ نعم .. ما بها ؟"

قال احمد " انت تعرفين انها جاءت لزيارة ولديها هنا وستعود لزوجها بعد يومين ..." صمت قليلا

ثم اضاف بحرج " اريد ان ندعوها للعشاء الليلة اذا امكن .. انها امرأة طيبة وانا اقدرها كثيرا هي وزوجها.. صحيح انها فضولية وتحاول حشر انفها في كل شيء لكنها تفعل ذلك بحسن نية .."

ضحكت نجاة ثم قالت " حسنا حبيبي ... اعطني رقم هاتفها وانا ساتصل بها .. ولاتقلق استطيع التعامل مع (حشريتها)"

ضحك احمد ايضا ثم سأل " ألن يكون تعبا عليك ؟" ردت نجاة " لاتعب ابدا ... انها مجرد شخص واحد اضيفه للعشاء ..." تنهد احمد براحة ثم قال " شكرا لك .."

سارعت نجاة لتقول بحزم " حسنا اذن.. اليوم ستبقى عندنا حتى نهاية الليل ولن تأخذ ايمن وتهرب كالعادة .." رد بانكار " انا لااهرب من احد .."

لكنها اصرت قائلة " انت تهرب من كريم فلا تحاول ادعاء العكس .." تنهد ولم يقل شيئا فقالت نجاة بحنان " كريم يحبك احمد .. انه يخاف عليك .." رد " اعلم هذا نجاة.. لكني قلت لك .. لست في حالة عادية ... اشعر بالحاجة للتركيز على امور حياتي ... اشعر اني اركض اميالا واميال لانال ما اريد .." صمتت للحظة قبل ان تضيف " لن اضغط عليك اكثر .. لكن انت تعرف .. سأكون في صفك دوما .." ابتسم وهو يقول " اعرف هذا .. اعرفه عن يقين .. انك نقطة الارتكاز الاساسية في حياتي يا نجاة ... " ابتهج قلب نجاة وخنقها التاثر فقالت بتحشرج " حسنا صغيري .. اعطني رقم هاتف

المرأة قبل ان اغرقك بموجة عاطفية هادرة قد تغرقك في النهاية .." ...

في الليل ...

بعد العشاء جلست نجاة بجانب السيدة زينب لاحتساء القهوة بينما جلس احمد مع كريم وحسين ... واعتذرت منى لانها مصابة بصداع !!

قالت السيدة زينب وهي تنظر نحو حسين " ابنك وسيم يشبه والده كثيرا ... مؤكد عروسه محظوظة به ..." ابتسمت نجاة وهي تقول " شكرا لك ... عروسه جميلة جدا وهو محظوظ بها ايضا ..." استغربت نجاة شرود نظرات السيدة زينب نحو احمد وهي تقول " الله يتمم لهما الزواج على خير وبركة ..." ردت نجاة وهي تتابع نظرات السيدة زينب التي ما زالت مستقرة على احمد !!...

قالت السيدة زينب فجأة " انا وزوجي نقدر احمد جدا ونعتبره كابن لنا .." قالت نجاة ببعض التوجس من نبرة صوتها الغامضة " شكرا لك .. هذا من لطفكما .." التفتت السيدة زينب نحو نجاة اخيرا لتقول بحماسة " لاصدقيني ليس مجاملة ... احمد رجل رائع ولطيف المعشر .." صمتت ثم اضافت بتردد " ربما زوجته لاتحب الاختلاط بنا كثيرا ولكنها ... اقصد ..ربما السبب انها لم تستطع التعود على الغربة .. انها تشتاق لامها كثيرا .."

لا تعرف نجاة لمَ شعرت ان هذه السيدة ستتطرق لامر ما ... امر لن يعجبها ابدا !! لكنها سايرتها في الكلام وهي تقول بهدوء مصطنع " حسبما اعلم ان امها تحضر لزيارتها كل فترة .." ردت السيدة زينب وعيناها تحكيان المزيد " نعم هذا صحيح .. انت تعلمين ان امها تعيش مع اخيها الذي يعيش في بلد آخر وهي تحاول زيارتها كلما استطاعت لكنها ..تشعر بالوحدة .." ضيقت نجاة عينيها وهي تتساءل بريبة " ماذا تقصدين انها تشعر بالوحدة ؟!! اشعر انك تسعين لقول شيء ما .." تلعثمت السيدة زينب واحمر وجهها قليلا لتقول بتعثر " حسنا .. انا .." تطلعت نحو نجاة تطلب التفهم ثم اكملت " ساكون صريحة معك ولو ان زوجي حذرني بشدة من التدخل في هذا الامر ..." اجبرت نجاة نفسها على الابتسام لتشجعها وهي تقول بمزاح غير حقيقي " هذا ما يقوله زوجي لي طوال الوقت وانا لاارتدع !!" استرخت السيدة زينب وضحكت بخفة وهي تقول " انا فعلا ارتحت لك وبعدما عرفت اهميتك ومكانتك عند احمد اعتقد انك تهتمين لمصلحته .."

ابتلعت نجاة ريقها ثم قالت " مؤكد .. انه ابني قبل ان يكون اخي .." عاد الارتباك ليعلو ملامح السيدة زينب وهي تقول بتردد واضح " حسنا .." ثم اضافت " هل لاحظت ان علاقته مع سهام ليست ... جيدة ..؟؟" تطلعت نجاة لوجه المرأة الاكبر سنا ... لقد مر عليها كثير من النساء الفضوليات ولكن هذه تبدو في القمة !! هي

تستطيع ايقافها بسهولة لكنها تريد ان تفهم ما الذي يدفعها لفتح موضوع خاص كهذا ...

وهكذا ردت نجاة بغموض " نعم ... الى حد ما .." قالت السيدة زينب بانفعال وتأكيد " حسنا .. انها سيئة جدا ..جدا .." ارتفع حاجبا نجاة من انفعالها فقالت السيدة زينب بلهجة معتذرة مرتبكة " لاتستغربي .. واعذري حشريتي ... انا لم اتجرأ وافتح الموضوع لولا اهميته .. سهام ما زالت صغيرة لتعرف التصرف الصحيح في هذه المواقف ..." لم تنطق نجاة بكلمة فاكملت السيدة زينب باضطراب " انا .. حسنا ... هل تعلمين الاسباب ... سهام اخبرتني ... فهل ... اقصد هل اخبرك احمد ب.. مرضه ؟!!" تجمدت نجاة وهي تهمس " مرضه ؟!!" قالت السيدة زينب وقد لاح عليها بعض الندم " يا الهي ... انت لاتعرفين ؟"

ازاح الهلع تعابير الجمود عن ملامح نجاة لتقول بارتجاف " احمد مريض ؟!!" سارعت السيدة زينب لتهدأتها وهي تقول بندم مستفيض " لاترتعبي هكذا ارجوك انا اسفة اني ارعبتك هكذا !! لم اكن اقصد ... انه ليس مرضا خطيرا .. انه فقط .. ربما نفسي فقط .."

قالت نجاة بحدة رغما عنها " سيدة زينب ارجوك كوني واضحة واخبريني بكلام محدد .." عضت السيدة نجاة على شفتها السفلى ثم قالت بحرج شديد " انا اسفة لما ساقوله لكن غايتي ان تقنعي احمد بالذهاب للطبيب حتى ينقذ زواجه ..."

اطبقت نجاة فكيها بشدة فشعرت السيدة زينب اي ورطة ورطت بها نفسها بتدخلها الاحمق في الامر .. لكن لامجال للتراجع الان ... قالت همسا وهي تتحاشى النظر لعيني نجاة " احمد يعاني.. من .. البرود... العاطفي !!"

شهقت نجاة بعنف " ماذا ؟!!" عادت السيدة زينب لتعض على شفتها وهي تقول بصوت منخفض " اجل ... انا ايضا صدمت ... سبحان الله ... هذا الشاب الرجولي الرائع يعاني من مشكلة كهذه !!" اوشكت نجاة ان تسحق اسنانها من شدة غضبها قالت اخيرا وهي تحاول ان لاترفع صوتها " هل سهام من اخبرك بهذا ؟!!" هزّت السيدة زينب راسها وهي تقول " اجل ... المسكينة ما ان فتحت معها موضوع انجاب طفل آخر حتى اجهشت بالبكاء واخبرتني بكل شيء ... انها زوجة مخلصة لانها لم تخبر احدا بسر زوجها حتى امها لم تخبرها !!..." كتمت نجاة موجة عاتية من غضب لم تشعر به سابقا في حياتها... بينما اكملت السيدة زينب لتبرر نفسها " انا يحز في نفسي هذا الامر واريد السعادة لكليهما ولابنهما الرائع ايمن ... ارجوك عزيزتي لاتفهميني خطأ ... انا فعلا احبهم ..." بتصميم مرعب لاح على وجه نجاة قالت بهدوء غريب " حسنا سيدة زينب ... دعيني اخبرك نفس القصة ولكن بادوار مختلفة !!" ....

لم تكف نجاة عن التحرك ذهابا وايابا في حديقة البيت تحت جنح الظلام بينما كريم يراقب

خطواتها بصمت عاجزا عن تهدأتها !! كان ما زال مصدوما هو الآخر مما اخبرته به نجاة ما ان غادرت ضيفتهم مع احمد وابنه ....

الضيفة غادرت بوجه محمر وهي تنكس راسها بطريقة غريبة !! وكأنها تخجل ان تنظر اليهم ....

لكن ما ان اعلم كريم بالحوار الذي جرى بين السيدة زينب وزوجته حتى ادرك ان اسوأ طباع زوجته على وشك الانفجار ....

قال في محاولة جديدة لتهدأتها " اهدأي نجاة ... يكفي الصدمة والاحراج اللذين سببتهما للمرأة ..." التفتت اليه نجاة لتقول باستهجان " صدمة واحراج ؟!! اوشكت ان اقتلع شعري من منابته من شدة غيظي وغضبي!!"

قال كريم بهدوء " نجاة .. دعينا نهدأ قليلا ... واياك ان تخبري احمد ..يكفي انك اخبرت السيدة زينب بامور خاصة دون ان تستأذنيه اولا ..."

اتسعت عينا نجاة وهي تقول بهياج " استأذنه ؟!! كيف استأذنه ومتى ؟!! واعتقد ما اخبرتها به تلك الحقيرة سهام كان ابشع بكثير من الحقيقة التي يحاول احمد اخفاءها عن الجميع ... "

تقدم كريم نحوها وقال بثبات " نجاة ... الموضوع بدأ يتسع وبطريقة لاتعجبني ..." رفعت نجاة ذقنها عاليا وهي تواجهه قائلة بتصميم " كريم واجه الامر ... احمد ابتلي بزوجة لااجد وصفا قميئا يليق بها .. ومن سوء حظه هناك ايمن بينهما

وتلك السافلة تجيد التلاعب بهذه الورقة لتبقي على اخي الاحمق مربوطا بزواجه منها ..."

عقد كريم حاجبيه وهو يقول بتوجس " ماذا تنوين ان تفعلي بالضبط ؟"

قالت دون تراجع " سافعل ما يستوجب فعله .." التمعت عينا كريم ثم قال" هل سنعود لموضوع مرام ؟!!" ردت نجاة بانفعال " اجل سنعود اليه ... فكر كما تشاء واتهمني اني انانية او اي شيء من هذا القبيل ... لكني لست انانية ولست بلا قلب لاورط فتاة اعتبرها كابنتي منى... احمد سيسعد مرام .. انا في قرارة نفسي اؤمن بهذا ... اما تلك الكارثة التي تسمى سهام فسيجد طريقة للتخلص منها دون ان يخسر ابنه ... واياك ان تقول يجب التروي ... احمد يموت تدريجيا دون ان يشعر بمأساته احد ... هو نفسه لم يكن يشعر بمدى عقم اكتفائه بأبنه حتى دخلت مرام حياته .. الم تلاحظ عودة تلك اللمعة المحببة لعينيه الجميليتين ؟! "

لم يرد كريم بشيء بينما غرق بافكاره وهو يتطلع لوجه زوجته المنفعل ... قالت نجاة بحاجبين معقودين " لمَ لاتقل شيئا يا كريم ؟!!" رد بهدوء قدر الامكان " الامر بالغ التعقيد يانجاة وانت تحاولين جهدك تبسيطه !! الامور لاتحل هكذا .."

اثار حنقها برده فقالت بغيظ " انا لست غبية !! قد اكون عاطفية واميل للبساطة .. لكني على الاقل افكر بحلول منطقية ... " اضافت وهي

تتطلع اليه " هل تتخيل كيف ستكون ردة فعل احمد عندما اخبره بما قالته لي السيدة زينب ؟!!"

حذرها كريم قائلا " لاتشحنيه اكثر ... ارجوك نجاة كوني اكثر تعقلا .. "

تنهدت نجاة باحباط وهي تدير راسها جانبا ... اشفق على حالتها وهو يدركها تماما لانه يشعر بالمثل .. مد يده ليمسك ذقنها ويدير وجهها باتجاهه ثم قال بلطف " انا مضطر ان اعترف بحق احمد في الاقتران بفتاة جيدة كمرام .." رفعت نظراتها اليها بعد ان كانت تسبل اهدابها فاضاف كريم " لكن ..." صمت للحظة ثم اكمل " علينا ان نضمن حقوقها .. علينا ان نحميها .."

اعترضت نجاة قائلة " نحميها من اي شيء ؟!!" قال كريم وهو يلامس ذقنها بابهامه " نحميها من مشاعر احمد التي تفجرت فجأة كبركان خامد .."

ابتسمت نجاة وقالت بمزاح " قد يعجبها الامر .."

هزّ كريم راسه وهو يقول مؤنبا " نجاة !! انا اتكلم جديا .." اكتفت نجاة بأن همست " حسنا .."

ابعد كريم يده عن وجهها وقال بتفكير " احمد الان في حالة غريبة ربما هو نفسه لايفهمها ... " تدفق الحنان من كلمات نجاة وهي تقول " انه محروم يا كريم .. محروم ووجد في مرام ضالته .. نظرتي فيها لم تخيب .. انها تناسبه تماما "

رفع كريم كلتا يديه ليقول " رويدا رويدا نجاة ... فقط لاتشجعيه اكثر ... علينا ان نتصرف بحكمة

حتى نمنعه من التهور ... الفتاة تبدو هائمة به وهذا ليس جيدا .."

قالت نجاة بعدم فهم " كيف ليس جيدا ؟!! انه المطلوب بالضبط .."

رد كريم وهو يرفع حاجبيه " حقا ؟!! وماذا عن احمد ؟!! هل تجزمين انه هائم بها ايضا ؟!" فتحت فمها لتتكلم لكنها ... لم تنطق ولا بحرف !!... اخذت تنظر لعيني زوجها وكانها تلومه وبنفس الوقت تعترف بوجهة نظره .....

قال بحنان " كنت اعرف انك عند الضرورة تواجهين الحقائق .." لكنها قالت " انا متأكدة انه يميل اليها ..انه .." قاطعها قائلا " يجد فيها حلم الماضي الذي سيفرضه على حاضره .." عبست نجاة باصرار وهي تقول بتشبث " سيعشقها ..." ادخل كريم كلتا يديه في جيبي بنطاله لتشرد نظراته في ظلام الليل وهو يقول " ربما .. بل اتمنى من كل قلبي .. من اجلها ومن اجله هو ايضا ...." ...

بعد بضعة ايام ...

مسترخيا بتكاسل على كرسيه الجلدي .. يحركه يمينا ويسارا بشرود... هاتفه في يده وعيناه تتطلعان لصورتها التي ملأت ابعاد الشاشة الصغيرة... صورة لم يشعر بالذنب وهو يسرقها من هاتف منى ...

ابتسامة تشق شفتيه وهو يتمعن في تفاصيل وجهها ... فيها شيء يجعلك تحب هذه التفاصيل ...

بعض الوجوه تكون فاتنة لكنك تملها بعد فترة اما مرام فتقاطيع وجهها تنطق !! عينان بنيتان تحملان شجنا آسرا ...شفتين رقيقتين منفرجتان بابتسامة كلها حلاوة ... بضع خصلات من شعرها تطايرت لتلامس هاتين الشفتين ...

قال هامسا لنفسه وهو مستغرق في النظر اليهما " دافئتين ناعمتين .. تمنحاني السلطة لامتلاكهما وامتلاك قلب صاحبتهما ..." ...

اختفت صورة مرام من على شاشة هاتفه عندما رن معلنا عن اتصال من ابنة اخته منى ...

ابتسم بمكر وهو يفتح الخط .. قال بمشاكسة " مرحبا بالصغيرة ..." جاءه صوتها متذمرا " لاتناديني صغيرة !!" ضحك احمد ملأ فمه فاضافت منى بخجل " خالي .. اين هو ؟!!" ابتسامة حانية سبقت كلماته المرحة " موجود ... في الغرفة المجاورة لغرفتي ... يغرق نفسه في اعمال لم تبدأ بعد !!"

تنهدت وهي تشكو قائلة " انه لايرد على اتصالاتي .. يرفض مكالمتي .." سأل احمد بلهجة محببة " ما الذي فعلته له ليغضب منك هكذا ؟!!" ردت نافية التهمة عنها " انا لم افعل شيئا ... هو .. هو لايفهمني ..." تلكأت كلماتها بينما احمد صمت !!

قالت منى بتردد " لماذا تصمت خالي ؟!" فقال احمد بهدوء " هل حقا هو من لايفهمك ؟ ام انت من لاتفهمين نفسك او على الاقل لاتفهمين ما تريدين بالضبط .." ردت بتحشرج " هل ا... اخبرك بما حصل ؟!" رد احمد " ليس كل شيء ولكن اعطاني فكرة ..."

تنهدت منى مرة اخرى وهي تسأل بحيرة " هل انا معقدة خالي ؟!!" قال احمد برفق " لست معقدة عزيزتي ... لكنك تفكرين اكثر مما يجب ... لااحد يختار شريك حياته بالتفصيل هكذا ... الشريكان الناجحان يتمازجان لتختفي عيوبهما في بعضهما البعض ... " صمتت للحظات قبل ان تسأل " وماذا لو لم يستطيعا التمازج ؟؟ ماذا لو تنافرت الالوان لتظهر الصورة النهائية بشعة او على الاقل غير مرضية !!" قال احمد " ليس كل التنافر في الالوان بشعا يا منى ... انت تبالغين كعادتك !! " صمتت لتقول بصوت محبط " كيف اتصرف ؟!! كيف اصالحه ؟؟" ابتسامة شقية واربت على فمه وهو يقول " ربما بزيارته هنا والتعرف على زميلة دراسته التي ستشاركه غرفته في المكتب ..!!" ...

بعد ربع ساعة دخل احمد لغرفة مصطفى فوجده يرسم خربشات على لوح التصميم الخاص به بينما زميلته رولى تدندن باغنية وهي تنظر لبعض التصاميم ...

رفع احمد حاجبا واحدا وهو يقول بمرح " مصطفى .... استعد ... خطيبتك على وصول ..." غادر احمد دون ان ينتظر اجابة بينما مصطفى

يكسر نبلة القلم على اللوح امامه وزميلته رولى الثرثارة انهالت عليه بالاسئلة !!

كانت سوسن تضع جانب وجهها على السرير قرب يد والدها الملقاة الى جانبه .. تمسك باطراف اصابعه الذابلة .. تنظر لتجعدات يده وذلك النمش البني الذي لائم اوردته النافرة لتعلن عن سنين عمره التي تقترب من الثمانين !! اجل ... انه يكبرها بالكثير ... اكثر من ان يصلح ليكون والدها !! لقد رزق بها وهو في نهاية الخمسينات ... معجزته الصغيرة وجوهرته الثمينة ....!!

انحدرت دموعها دون ان تبالي بمسحها ... فوالدها يغط في نوم عميق بينما والدتها تتجنبها كالعادة لتنظف البيت بهوسها المرضي الذي ازداد منذ .. منذ ... ان حصل ما حصل !!

دوما كانت مقربة من والدها اكثر... في البداية اعتقدت صديقاتها انه جدها !! لكنها لم تكن تبالي ...

رجل طيب القلب حنون الى ابعد حد افرط في تدليلها دون ان يفسدها .. اما امها فكانت دوما صارمة متباعدة ... صحيح هي زوجة مخلصة وام مثابرة لكنها تتباعد عنها عاطفيا لتتركها تلجأ بكُليتها لابيها ....

اقتربت بفمها لتطبع قبلة على ظاهر كفه ثم قالت ما تقوله له دوما في الخفاء ولايشهده الا الله " آسفة ابي !!" .... لايعزيها الا انه لايعرف ... لايعرف

ما فعلت وما تحرص على اخفائه بدعم صامت من امها ....

اغمضت عينيها لتستعيد ذكرى قديمة تتسم بالبشاعة والخزي !! استاذ طارق !! كم مر على ذلك اليوم الذي رأته فيه للمرة الاولى وفتنت به .. حالها كحال كل الفتيات اللواتي شاركنها المرحلة الدراسية الاخيرة في قسم العلوم ليحاضر لهن استاذ بديل عن الاستاذ العجوز الذي ألمت به وعكة ادخلته المستشفى ...

انه القدر ... كما كان قدر هذا الاستاذ المخضرم ان يتوقف عن التدريس بعدها كان قدرها ان تقع في هوى استاذها الجديد الثلاثيني الوسيم وقدرها ايضا ان جمالها جذبه ليختارها دونا عن بقية الفتيات ....

كان ساحرا بهدوئه المفتعل... بنظراته المدروسة بعناية ... صياد محترف ... اجل ... وهي كانت الفريسة !! والمضحك انها تصورت بأنها ستلعب دورا لاصطياده وهو تركها تلعب هذا الدور مستمتعا بمحاولاتها البريئة الساذجة التي اتسمت بالجرأة احيانا لتجذب نظره واهتمامه ... تركها لاسابيع تتلظى بانتظار التفاتتة منه ... وعندما حصل .... كانت البداية ... بداية الغرق !!

شهقت بنشيجها الصامت بينما تحاول طرد الصور المخزية التي تجلدها دون رحمة ... وكأنها تستعرض شريط سينمائيا لفتاة غيرها !! انها حتى

لاتذكر التفاصيل ... لاتذكر كيف انحدرت لتصدق توسلاته بأن ترضى بزواج سريّ ... والحجة موجودة .. مقنعة وتثير التعاطف ... والده الريفي يريد تزويجه من ابنة عمه (المتخلفة) بالقوة !! وكيف انه ولد بار ولايريد عصيانه ... كانت تعشقه او تعتقد ذلك ... حاولت المقاومة لكنها براءتها كانت الفخ الذي وقعت فيه ... هو اجاد دراسة شخصيتها وتلاعب باوتارها كاروع مايسترو !!

في البداية اقنعها بفكرة الزواج السريّ بسهولة مخيفة!! افأصله الريفي لايسمح له بعلاقة حب خارج اطار الزواج حتى ولو كانت بريئة !! كما اكد لها انه لن يقيم معها علاقة زوجية وكل مايريده ان يتقاربا بشكل صحيح حتى يحل مشكلته مع عائلته .... اجل لقد نصب الفخ باتقان وهي سارت نحوه بغباء ورضا !!

قصة مكررة واحساس الفتاة مكرر !! احساس بأنها قصتها مختلفة عن قصص الفتيات اللواتي يقعن ضحية زواج اشبه بالسرقة !! زواج يسرق منهن ما لايمكن استعادته ...

ماحدث بعدها كان كحلم .. بل كابوس !! اصبح متطلبا اكثر ويتهمها بالبرود !! حاولت افهامه انها تخاف .. لكنها كان يعذبها بحرمانها منه ومن اهتمامه لايام طويلة ... انهكها بحبها له .. لا .. لم يكن حبا .. كان هوسا ... مرضا ... تشبثا طفولي ... اي شيء ... اي شيء غير الحب !!

عند كلمة الحب ... وجه حسين فرض نفسه على افكارها كما فرض الخوف طوقه حول قلبها ... همست بتحشرج " كيف ساخبرك ... كيف .."

انها لاتصدق كيف عاندها القدر ليجمع طارق بحسين !! لاتصدق انها اصيبت بالخرس وهي تتطلع بذعر لوجه طارق الساخر وهو يقول (زوجك السابق)!! ليزداد ذعرها عندما سمعت صوت حسين وهو يقول بحيرة " مساء الخير ..."

كانت ممتنة للمرة الاولى لقدرة طارق على التلون !! فخلال لحظات اتخذ قناعا من اللطف والنضوج الساحر واستطاع بسهولة اثارة اعجاب حسين بعد ان عرّف عن نفسه كاستاذ لها وهو يمتدحها كطالبة مجتهدة !! بل تمادى ليشير لشحوبها انه نفس الشحوب الذي كان يعتريها عندما يؤنبها في المحاضرة !!

لم تنسَ نظرته المشبعة بالسخرية قبل ان يستأذن للحاق بزوجته !! ترى هل تزوج ابنة عمه ؟ ام ان ابنة عمه محض خيال كمشاعره نحوها ...

بعد مغادرته استشعر حسين تغير مزاجها وحاول ان يعرف ما بها لكنها تعللت بصداعها النصفي الذي يعتريها كل فترة ... الحجة كانت مقنعة لحسين لانه سبق وشهد على نوبة حقيقية هاجمتها ليومين ... وهكذا عاملها برقة شديدة واعادها للبيت ليفاجأها في اليوم التالي بحضوره منذ الصباح الباكر حتى يطمأن عليها ويدللها... مبادرته الرقيقة هذه جعلته تجهش بالبكاء امامه

فاحتضنها بنعومة واخذ يهدهدها وهي تتشبث به كغريقة ..

" سوسن ... لقد جاءت زوجة عمك .. انها بانتظارك في سيارتها لتذهبا للخياطة ... " رفعت سوسن رأسها عن سرير والدها وهي تمسح دموعها دون ان تبالي برؤية امها لها لانها ببساطة لن تسألها !! امها تعاقبها ... تعاقبها بطريقتها ...

نظرت سوسن لامها وقالت بهدوء " حسنا امي سأخرج اليها الان .." ردت الام وهي تستدير على عقبيها " وضعت لك مالا على الطاولة الصغيرة جنب الهاتف .. ادفعي للخياطة واستلمي فستان زفافك ...." ....

اخذت منى تتطلع يمينا ويسارا وهي تدخل المكتب الهندسي الجديد العائد لخالها احمد ... لقد افتتحه قبل يومين بشكل جزئي وما زال عدد العاملين ضئيل ... هذه هي زيارتها الثانية اليه ..

" منى ..." التفتت منى جانبا لتطلع لوجه خالها الباسم ... كان يتكأ بتكاسل على اطار باب غرفته فتقدمت نحوه وهي تبتسم وتقول " مرحبا خالي .." وصلت اليه وشدت قامتها الصغيرة لتطبع قبلة على خده ..

انحنى ليهمس في اذنها " خطيبك يخفي نفسه في غرفته ... الحقيه قبل ان يهرب من الشباك !!" هتفت فيه بعتب ووجهها يحمر " خالي !!" ضحك

احمد عاليا ثم غمز لها قائلا " لقد ارسلت زميلته الجميلة في مهمة رسمية للمكتب حتى اخلي لكما الاجواء .." عبست منى وهي تسأل " هل هي جميلة حقا ؟؟" تنحنح احمد بشكل متعمد لاستفزازها ثم قال بصوت منخفض " هذا ليس مهما .. المهم انها احضرتك الى هنا كما كان يجب ان تفعلي من البداية ..."

اصدرت منى صوتا حانقا ثم استدارت بحدة لتبتعد عن خالها الضاحك وتتوجه بقلب مرتجف نحو غرفة .... خطيبها ...

طرقت الباب المغلق قبل ان تدخل ... وما ان دخلت حتى واجهتها صورة ظهره !! كان يقف عند النافذة المربعة يمسك في يده ما رجحته كوب قهوة .. قهوة يعشقها كما تعشقها هي ... انها احدى الامور القليلة المشتركة بينهما ...

تنحنحت قبل تقول بهمس " مرحبا مصطفى .."

ببطئ شديد استدار مصطفى نحوها ثم وضع بهدوء كوب قهوته على منضدة قريبة... اشعة الشمس القادمة من الشباك خلفه جعلت صورته مظلمة الى حد ما ... خصوصا مع نظارته التي تناسب غموض مشاعره ...

قال مصطفى ببساطة " مرحبا منى ... كيف حالك ؟" ردت وهي تتقدم نحوه بخطوتين " انا بخير الحمد لله ... كيف حالك انت ؟؟" اطرق برأسه قليلا وهو يقول " بخير الحمد لله ..." ...

شيء ما قيّد كلمات كانت قد اعدتها لتعتذر منه ... لتشرح له ... لتقترب منه ...

ربما بروده معها الان جعل كرامتها تنتفض وعنادها يستيقظ من غفوته الاجبارية التي فرضتها عليه ....

رفعت رأسها بشموخ لتقول " لماذا لا ترد على اتصالاتي ؟!!" لم يرفع راسه نحوها فاستمرت في هجومها " الا يجدر بك السؤال عني ولو من باب المجاملة ؟؟ الا يجدر بك اظهار بعض الاحترام لي امام اهلي على الاقل !! الم تفكر باحراجي عندما تسالني امي عن سبب عدم حضورك عندنا في الفترة السابقة ؟!!" ... كانت تشعر انها غبية !! اجل غبية غبية غبية ... وزاد احساسها بالغباء ما

ان رفع راسه ليواجهها بحدة عينيه عبر زجاج نظارته ...

ارتجفت شفتاها وهي تشعر بالاختناق فزمتهما بقوة وعناد سيطر عليها اكثر واكثر ...

تمعن فيها للحظات طويلة عذبتها ثم قال بهدوء " اخبري خالتي نجاة اني احضر عندما اجد من ينتظرني ... من يشتاق لرؤيتي ... اخبريها اني ارد على اتصال من ينتظر ردي حقا ولايتصل لمجرد تأدية الواجب حتى لايلومه احد على التقصير...!! " كان صدر منى يعلو ويهبط وتوشك دموعها على الهطول عندما اضاف اخيرا بصوت رقيق " اخبريها ايضا اني رغم كل شيء اشتاق بألم واموت ألف مرة وانا امنع نفسي من الرد على هاتفي ..."

استدار بحدة ليوليها ظهره وكأنه يهرب منها ثم قالت بتحشرج " اخبريها ان لديّ كرامتي ايضا .. فلن اكون دوما من يلهث كالغبي خلف ابنتها ..."

هطلت دموع منى بينما همست " مصطفى أنا .."

" مرحبا ....." صوت الفتاة المرح حطم كل محاولاتها الواهية لتعبر عن نفسها ... مسحت دموعها على عجل بينما الفتاة تقول باعتذار " اسفة .. ربما اتيت بوقت غير مناسب ... انا .. رولى زميلة مصطفى في الجامعة والعمل ..."

مدت منى يدها لتصافح الفتاة وهي لاتجرؤ على رفع نظراتها اليها ثم تمتمت باعتذار لتنسحب سريعا دون ان توجه كلمة لمصطفى ... مصطفى الذي لم يحاول حتى اللحاق بها او مناداتها لتعود ...

مضى اسبوعان كاملان وهو يرسل لها الرسائل كل ليلة .. اتصل بها بضع مرات فقط دون ان يتلقى جوابا فلم يلح حتى لايحرجها امام عائلتها .... كل شيء يسير وفق ما يخطط له ... انه يحتاج بعض الوقت فقط حتى يرتب اموره ويتفرغ لها بالكامل ...

تنهد وهو يفتح هاتفه ليكتب رسالة جديدة ...

(انا مشتاااااق ..) رسالة قصيرة من كلمتين تبعتها بلحظات رسالة اخرى (اريد سماع صوتك فقط !! ارجوك تكلمي معي ...) ...

لم تكن تدرك ان وجهها محمر ويدها التي تمسك هاتفها ترتجف كقلبها تماما ... عيناها لاتملان النظر لكل كلمة وحرف ... هل حقا يشتاق لها ؟!! هل وجدت طريقها اخيرا لحلم مراهقتها وحب شبابها المتفتح ... هل وجدت طريقها لقلبه ؟!!

غامت عيناها ..... رمت الهاتف جانبا لتضم ساقيها لجذعها ... تذكرت كلمات امها قبل ايام عندما تصارحتا اخيرا ... امها اعترفت بانها انفعلت اكثر مما يجب ومرام اعترفت انها تخفي عنها الكثير .....

لم تخبر امها بكل شيء ... لكنها اخبرتها انها متعلقة ب(احدهم) ولكن ظروفه صعبة ... اخبرتها انه في البداية لم يكن يشعر بها ولكنه الان يريد الارتباط بها وعندما ألحت امها في معرفة سبب صعوبة الارتباط لم تستطع اخبارها !! خصوصا عند دخول اختها رهف التي اصبحت تنظر اليها دوما بطريقة غريبة !! لاتعرف لم تعاديها رهف هكذا منذ فسخ خطوبتها لفراس ؟!!

عاد الشعور بالذنب يقتلها وهي تفكر بفراس ... لقد قال سيعود ليتكلما في موضوعها لكنه لم يعد ولم يتصل حتى .. لا هو ولا اي فرد من افراد عائلته !!

اجفلت عندما رن هاتفها ... نظرت برعب للرقم المضيء في ظلمة غرفتها .... رقم تحفظه عن ظهر قلب لكنها ترفض بعناد تسجيل اسم صاحبه !!

همست تناجي هاتفها بتوسل " ارجوك .. توقف .. توقف .." ..... لكن .. ما ان تنفست الصعداء لتوقفه حتى عاد رنينه يضج !! التقطت هاتفها وتطلعت عن قرب لتلك الارقام التي تتحداها ...

ما بين العقل القلب نتأرجح .... نرضي عقولنا ونطبطب على قلوبنا لتهدأ ... لا العقل يرضى ولا القلب يهدأ !!

بارتجاف شديد مدت يدها لتفتح الخط ... لم تقل شيئا بينما تنهيدته تسبق صوته ... قال بصوته الذي يزلزل كيانها ويعصف بعقلها ليدحره " اشتقت اليك يا مرامي ..."

همست بارتعاش " احمد .." زادت بحة صوته وهو يقول " يمكنني ان اسمعك تتكلمين بصوتك المرتعش هذا الى الابد دون ان اشبع !! "

اغمضت عينيها بينما تهمس بضعف اشد " لماذا اتصلت ؟" ضحك بخفة ثم قال " يا له من سؤال ؟!!! حسنا ... هل ستأتين لعرس حسين غدا ؟ "

ردت بارتباك " لااعرف ... انا .. اقصد ان منى .." تنهدت ثم اضافت باحباط " اننا لانكلم بعضنا منذ اكثر منذ اسبوعين .."

قال برقة " لاتبتأسي يا مرامي ... تلك الطفلة لاتتصل بك لانها تمر بوضع عصيب مع خطيبها .."

هتفت مرام بقلق " هل لديها مشكلة مع مصطفى ؟!!"

كان احمد مستمتعا بجرها رويدا رويدا لتتكلم معه هكذا ... قال بعذوبة " انها معاقبة !!" هتفت باستنكار " معاقبة ؟!! لماذا يعاقبها ؟!" رد بمشاكسة " الا تعاقبيني انت ايضا بعدم الرد على رسائلي طوال الاسبوعين المنصرمين ؟!لن الومك على عدم الرد على اتصالاتي ولكن بضع رسائل لن تكلفك الكثير ... "

عضت شفتها وهي تغرق بخجلها فناداها بصوت أجش " مرامي ... تعالي لعرس حسين ... ارجوك ... تعالي وارقصي معي .. " اضاف هامسا بحرارة " اشتاق لشم رائحتك .. للنظر ليديك الصغيريتن عن قرب ..."

لم تستطع الرد ولم يطالبها به فقط قال بتحشرج " اطلقي شعرك من اجلي .. اريد رؤيته لامعا كهالة من السحر المجنون تجذبني اليها دون رادع ... "

قلبها سيشق صدرها بالتأكيد !!... كانت ترتجف من رأسها حتى اخمص قدميها وهي تسمع كل كلمة ينطقها ...وكيف ينطقها !!!

همس اخيرا " نامي مرامي واحلمي بي كما سأحلم بك ... سانتظرك ليلة الغد .. ليلة العرس .. ويوما ما سانتظرك يوم عرسنا انا وانت ..." ....

اغلق احمد الخط ما ان اغلقته هي بعد ان سمع تمتماتها المرتعشة ... قلبه يهدر في صدره بينما

يتخيلها بقميص نوم قطني ناعم يلائم روحها..
تستلقي على سريرها وشعرها يفترش وسادتها ....

همس لنفسه بوعد " شعرها هذا سيفترش وسادتي قريبا ... قريبا جدا .. " ...

رنة رسالة نصية جعلته يبتسم بتحفز .. هذه اول مرة ترسل له شيئا ... فتح هاتفه ليفتح الرسالة على عجل دون ان يتنبه لمرسلها .. انمحت ابتسامته تدريجيا وهو يقرأ الرسالة " اكملت كل شيء ... سأصل بطيارة الغد عند الصباح .... "

الفصل العاشر

الهوى هوايا .. اغنية لعبد الحليم

" بيت جميل .." ...

لم ينظر اليها احمد وهو يضع حقيبتين كبيرتين على ارضية غرفة الجلوس ... تمتم ببرود شديد " ساجلب باقي الحقائب .."

لم ترد عليه بشيء هي الاخرى بينما عيناها تألقتا وهما تتطلعان لاجزاء مختلفة من هذا البيت العصري ... بيت ستفعل اي شيء ليكتبه احمد بأسمها .... !!

كان ايمن يمسك طرف فستانها البني الانيق بيده ويضع ابهام يده الاخرى في فمه .. لكنها لم تلتفت اليه وهي تتنقل من غرفة لاخرى ...

عاد احمد حاملا باقي الحقائب ليضعها ارضا جنب الاخريات ... عيناه التقطتا ايمن وهو يتعثر في مشيته بينما يصر على امساك طرف ثوب امه اللاهية عنه !! تمزق قلبه من اجل ولده خصوصا وهو يراه يعود لعادته في وضع ابهامه في فمه ...

انه متعلق بأمه رغم كل شيء ومع ذلك تعلقه هذا يشوبه عدم الاستقرار !! وكأنه يدرك بفطرته طبيعة امه المريضة .... زمّ شفتيه وهو يطلق وعودا في سره بان هذا الوضع لن يستمر طويلا ...

اطلق انفاسا محبطة وهو يتطلع لساعة يده ... انها الثانية عشرة ظهرا ولم يبقَ الا بضع ساعات على العرس ... ضاق صدره بشدة ... كان يريد الاتصال بها ليخبرها بعودة سهام حتى لاتتفاجئ برؤيتها في العرس لكنه يخاف ان تمتنع عن الحضور والاسوأ يخاف ان تتراجع عن موافقتها الواهية الهشة للزواج منه ...

تقبضت يداه بقوة وشتم في سره ثم همس " لا .. يجب ان اكون موجودا قريبا منها عندما تعلم ... يجب ان اعالج الموقف بحكمة ..."

التمعت في ذهنه فكرة مغايرة ... ترى اليس من الافضل ان ترى الواقع كما هو ؟!! الا يفترض ان تكتشف بنفسها حقيقة علاقته بسهام ؟؟

" احمد !! تعال وخذ ايمن .. انه لايكف عن جر فستاني وتلويثه بلعابه !!" ...

تقدم نحوها وعيناه تنضحان بالغضب والاشمئزاز .. آلمه ان يرى ارتباك طفله وهو ينقل نظراته بين امه التي بدى عليها الضيق وهي تحاول سحب طرف فستانها من يده وبين ابيه الذي استشعر ذبذبات غضبه !! هدأت ملامح احمد قصريا ليرسم ابتسامة حانية وهو ينحني ليلتقط جسد ولده الصغير ... تراخت يد ايمن بتلكؤ عن فستان امه ليتركه اخيرا ويتعلق برقبة والده ...

قبله احمد على رقبته ثم قال لسهام دون ان ينظر اليها " سآخذ ايمن معي .. ما زالت اغراضه في البيت الآخر .."

عبست سهام قليلا وهي تقول " لماذا تسميه البيت الآخر ؟!! كنت دوما تطلق عليه اسم بيت والديّ .."

تطلع اليها احمد للحظات طويلة ثم قال بهدوء قاتل " لاني ساستخدمه وسيكون لي بيتا .."

ضيّقت سهام عينيها وارتعش ذقنها في حركة يعرفها جيدا عندما تكون مُستَفزة ثم قالت بصوت كريه " اياك ان تفكر بهجري علنا هكذا !! وامام الناس ... لن اسمح لك بذلك ..."

نظر اليها باستخفاف ثم قال بابتسامة مشمئزة " ما افعله يخصني وحدي ... ليس لديك اي حقوق في سؤالي او الاعتراض على افعالي ... انت اردت الاستمرار بزواج مع وقف التنفيذ لتنعمي بمميزات جانبه الآخر ... "

هتفت سهام بغضب " انت تجعلني رخيصة !! هذا لم يكن اتفاقنا ... وانا لم اوقف زواجنا .. انت من فعلت وكله بسبب بضع كلمات نسائية قلتها لامي عبر الهاتف وانت فسرتها بطريقتك العاطفية المبالغة ...!!"

لم يتأثر احمد وهو يرد عليها ببرود شديد " لن نلعب هذه اللعبة مرة اخرى سهام ... زواجنا منتهي وانت تعرفين ذلك ... ربما امام الناس هو مستمر لانك تريدين ان يستمر في عيونهم فقط !! لقد ارتضيت بأن تكوني زوجة ناشز كما اراك اما ناشزا ايضا !!"

نظرات حادة نارية اطلقتها سهام نحو احمد لتقول من بين اسنانها " كل هذا الحقد لاني لاامنحك حقوقك كما تريد ؟!! حقوقا تبالغ في المطالبة بها وكأنك مهووس !!.."

اطلق احمد ضحكة عالية جوفاء وهو يستدير حاملا ابنه المرتبك ليوليها ظهره ثم قال " مهووس ؟!! ارجوك !! حس الفكاهة لديك سمج كسماجة طباعك الاخرى ...انسانة فارغة وتافهة !! "

نادته بحنق " احمد توقف ... لم ينتهي كلامنا .." رد عليها وهو يبتسم في وجه ايمن ليطمأنه " كلمة النهاية عندك سهام ... فاذا لم يعجبك الوضع احررك من قيود هذا الزواج شرط ان تمنحيني ابني ..." ودون ان ينتظر ردها خرج من باب البيت وهو يعد ايمن بالمثلجات ...

كانت سهام تتميز غيظا وتنظر بحقد للباب الذي خرج احمد من خلاله قبل لحظات ... قالت بنبرة كالسم " حسنا احمد ... كنت اعلم ان عودتك لحضن اختك ستجعلك اكثر تعسفا في مواجهتي ... وها انت تريد الضغط علي ... تريد فضحي!! " سحقت فكيها وهي تقول بصوت كريه " سنرى من سيفضح من ؟!! سنرى من بيده السلاح الاقوى ... "

في العرس ...

كانت تقف خارج القاعة على بعد بضع خطوات من بابها ... تنتظره !! بيد مرتبكة تأكدت من ثبات تصفيفة شعرها (الحالمة) كما وصفتها مصففة الشعر ... نظرة لفستانها جعلتها تعبس !! فستان بلون يتدرج بين الوردي والاحمر والبرتقالي .. كانت تبدو كلفافة هدايا عيد الميلاد !! اغمضت عينيها للحظات وهي تاخذ عدة انفاس لتهدأ ... كل هذا لاجل ان ترضيه ... لاجل ان .. ان ... ان ماذا يا منى ؟!! ان يسامحك على طباعك ؟!!

" مساء الخير .." التفتت منى بحدة ليواجهها مصطفى بابتسامة هادئة بينما عيناه تنساب عليها ببطئ شديد من قمة راسها حتى اخمص قدميها ..

عضت شفتها السفلى اللامعة بأحمر شفاه يناسب الوان فستانها بينما اخذت تحرك يديها بارتباك على جانبيها ...

عيناه تشعان !! تحيطانها بنظرات حارت في تفسيرها !! هل هو الحب ؟ الحنان ؟ اللهفة معجونة بالخذلان !!

بدى وسيما ببدلته الرمادية وقميصة المقلم .. دوما هو انيق ويجيد اختيار ملابسه ....

مد يده وهو يقول بلهجة غامضة " هيا منى .. اعتقد انك انتظرتني هنا لندخل سوية كما يفترض ان يحدث .."

شعرت بالضيق من المعاني المستترة خلف كلماته فوجدت نفسها تتجاهل يده لتقول بعنفوان " هل

تعتقد اني كنت انتظرك لندخل سوية امام الناس ..؟؟!!" يده الممدودة معلقة بالهواء تأبى التراجع وكانه يصر على حمل غصن الزيتون بينما هي رمت غصنها سريعا!!

قال وهو يسبل اهدابه " منى كفي لمرة واحدة عن التفكير خصوصا عندما يجنح تفكيرك للحمق !!"
هتفت منى وهي تتخصر " هل تصفني بالحمقاء ؟!!"

اطلق نفسا وهو يعيد يده لجانبه ... ارتعشت من شعورها بالنبذ !! لكن ... وفي لحظة واحدة لاتعرف كيف تقدم منها ليقطع المسافة بينهما ويلف ذراعه حول خصرها بينما يده الاخرى ارتفعت لذقنها تمسكه بنعومة ...

كان صدرها يعلو ويهبط بينما لسانها (الطويل عادة) ينعقد في استسلام ...

تواجهت عيناهما لفترة قبل ان يقول مصطفى بصوت مبحوح " فقط لو لم تكوني حلوة هكذا الليلة لكنت غادرت العرس وتركتك تعانين مثلي تماما .."

نظراتها انجرحت بالحيرة وهي تتطلع اليه فذابت نظراته حنانا ثم قال بتحشرج " ايتها المجنونة !! ماذا افعل بك ؟!!" ودون سابق انذار مال نحوها ... احتبست انفاسها بينما يداها عجزتا عن التحرك لتبعده عنها ... قبلته استقرت على خدها الايمن بعد ان تلكأت شفتاه امام فمها ... همس في اذنها

وهي ترتعش بين ذراعيه " لم يحن الوقت لقبلة كهذه .."

ابتعد عنها ليحررها ثم وبعجز غريب سيطر عليها تركته يقودها ليدخلا القاعة بينما يده تلامس ظهرها بخفة .....

همست برأس مطأطأ " يجب ان انتظر مرام ..." نظر اليها بطارف عينيه ليقول بغموض " لااعتقد انها تريدك انت في انتظارها .." رفعت وجها محمرا لتهمس له بحنق " انت لاتعرف ما يحصل !! لقد كنت غائبا عني في الفترة الاخيرة وتتركني اتخبط وحدي في مشاكلي ..."

ابتسم برقة وهو يقول " ما الذي يزعج فتاتي العنيدة .؟؟" تنهدت قبل ان تميل براسها نحوه وكأنها تريد ان تشركه بسر خطير تخشى ان يسمعه احد ثم قالت همسا " لن تصدق ما ساقوله لك ... خالي احمد يريد الزواج من مرام وامي تشتعل اثارة ليتم الموضوع وانا اكاد اجن !! لااعلم كيف يجب ان اتكلم معها وماذا يجب ان اقوله ؟!! ففضلت عدم الاتصال بها .."

ردة فعل مصطفى الهادئة جعلتها تعبس وتقول " كيف انك لاتتأثر بكل ما قلته ؟!!"

رد ببساطة " لاني كنت اعرف ولم اتفاجئ.." هتفت منى بصدمة " ماذا ؟!! كيف تعرف ؟ ومتى ؟ هل اخبرك خالي عنها ؟؟" قال مصطفى بصوت منخفض " اخفضي صوتك منى والا شك المدعوين اننا نتشاجر .." كزّت منى على اسنانها ثم قالت "

اخبرني مصطفى .. كم اكره غموضك احيانا .." ضحك بخفة ثم قال " حبيبتي .. هو لم يخبرني بشيء لكني لاحظت تصرفاته نحوها ليس الا .. "

قالت منى بذهول " ماذا ؟!! الكل لاحظ وانا المغفلة الوحيدة !! صحيح اني لاحظت امورا غريبة طرأت على مرام لكني لم اربطها بخالي .. ربما للحظات خطر في بالي انها تخجل منه بطريقة مبالغة لكنها مرام ... ببساطة هذه هي مرام ... عاطفية وسريعة التاثر وخالي رجل وسيم جدا ولديه جاذبية طبيعية للنساء .."

همس مصطفى بعينين متالقتين " كم اتمنى لو تأخذي بعضا من سرعة تأثرها هذه .." تنحنحنت منى لتقول بعينين مسبلتين " لاتحد بنا بعيدا ... الامر اصبح اسوأ .." رد مصطفى وهو يعقد حاجبيه " كيف اسوأ ؟!! ألأنه متزوج ؟؟ ولكن انت قلت لي انه غير سعيد بزواجه وقد لاحظت ذلك عليه ... لاحظت انه رجل تعيس !! وماذا لو تزوج مرة اخرى اذا كان فشل مع زوجته الاولى وسينفصل عنها ... هذا طبعا اذا صدق حدسي ان مرام تكن له المشاعر ايضا وترضى بوضعه كمطلق واب .."

قالت منى باحباط " ما تقوله ربما صحيح .. لااعرف ... انا مشوشة منذ علمت بالامر البارحة ... لكن ليس هذا الاسوأ الذي تحدثت عنه .."
ازداد عبوس مصطفى ليقول " ماذا حدث ايضا ؟؟"
ردت منى وهي تشير براسها لاحدى الزوايا امامهما " انظر من تقف بجانب خالي هناك "

نقل مصطفى نظراته الى حيث اشارت ليرى المرأة التي تقف بجانب احمد وابنه ايمن .. كانت جميلة كستنائية الشعر ترتدي ثوب احمر صارخ !! سأل بتوجس " لاتقولي ان زوجته عادت وهي التي تقف بجانبه الان ؟!!" ردت منى بتنهيدة طويلة " للاسف نعم !! وصلت صباح اليوم بشكل مفاجئ وامي كادت تصاب بانهيار عصبي لانها كانت تأمل كما يبدو بانهاء موضوع مرام قبل عودتها ..."

صمت مصطفى للحظات ثم قال " في كل الاحوال هي ستعرف .. اقصد زوجة خالك .. لذلك ربما من صالح الجميع ان تتم الامور بشكل صحيح ... انا لااعرف هل سيطلق خالك زوجته فعلا ام لا .. الامر كله معقد ومربك ويجب ان يتوضح لجميع الاطراف ... " صمت قليلا وهو يرى نظرة القلق في عيني منى فاشفق عليها ليقول برقة " لاتبتأسي هكذا ... الامور ستحل ان شاء الله .." ردت منى باضطراب " انا اخشى عليها الليلة ... انها لاتعرف بقدوم سهام .."

قال مصطفى مواسيا " ربما هي لن تحضر العرس .. ربما ستشعر بالحرج من حضورها بوجود احمد وتعقيد لقائه .." ردت منى وهي تهز رأسها " انها ستحضر ... انا اعرفها ... كما ان امي اتصلت بها البارحة بنفسها لتؤكد عليها الحضور قبل ان تعرف بعودة سهام ..." اراد ان يقول شيئا عندما همست منى بصدمة " يا الهي ... لقد حضرت !!"

تحرك راس مصطفى ليتطلع نحو باب القاعة واستقرت نظراته على الفتاة الجميلة التي تألقت

بثوبها الاسود المثير.. همس باشفاق " اذهبي اليها منى ... يا الهي .. كان يجب ان تخبروها !!" تحركت منى على عجالى لتصل الى مرام .....

مال عمها ليطبع قبلة على قمة راسها وهو يقول " مبارك سوسن .... مبارك يا ابنتي ..." تطلعت سوسن لعمها وعيناها تتوسلان اليه ليبقى بجانبها ... عطف وحنان شعا من عيني عمها اللتين تشبهان عيني والدها ... ثم قال وهو يقترب من اذنها " استرخي يا ابنتي ... الامور ستكون على ما يرام ... فقط اهدأي .. انسي الماضي وعيشي حياتك ... " هزّت رأسها موافقة دون ان تستطيع النطق بشيء !!

نظرات حسين حامت حولها وحول عمها ... لايفهم ما بها ؟!! كما لا يفهم سر النظرات المرتعبة في عينيها والتي تحاول اخفاءها بكل ما تستطيع ... حتى امها تبدو غريبة وهي تجاهد لتجامل الجميع بكلمات واهية ... في البداية تصور انه مجرد ارتعاب عروس وربما لان والدها المريض لم يستطع الحضور اثر فيها خصوصا وهو يعلم كم هي متعلقة به ...

اخذ يتطلع لعروسه مرة اخرى ... لم يرَ في حياته عروس اجمل منها ... بدت كتحفة فنية لاعيب فيها ... ربما هذا كا سيسعده ويكفيه قبل شهر ..

لكن .. الان وقد تغيرت علاقتهما وصار يتلمس طريقه اليها بدى جمالها المبهر لايكفيه ... او الاصح لا يغنيه عن جمالها الداخلي ... لقد اكتشف امورا عن سوسن لم يكن يتصورها ... اكتشف انها ليست مجرد فتاة خجولة معطاءة عاطفيا بل هي فتاة رقيقة وقنوعة .. تريد ان تشعر انها محبوبة ومرغوبة ... وكأنها .. وكأنها تفتقد للثقة بالنفس !! وهذا شيء عجيب ! كيف لفتاة جميلة مثلها تفتقد الثقة هكذا ؟!! انها متعلمة ومن عائلة طيبة دللتها لانها الابنة الوحيدة ... صحيح ان امها جافة الى حد ما لكنها تدللها ايضا بطريقتها ... انه يعتقد جازما ان امها تعتبر الحماية التي تفرضها عليها كنوع من الاهتمام والتدليل ...

التفتت اليه تحاول الابتسام فلم يخذلها ... منحها ابتسامة عريضة ومد يده ليلتقط يدها ويرفعها لشفتيه ..رأسه المنحني منعه من رؤية نظرة الالم والذنب في عينيها اللتين تسحرانه دوما !!

همست منى في اذن مرام وهي تشدد من لف ذراعها حول كتفها " تماسكي مرام ... اتوسل اليك لاتنظري بصدمة هكذا ..." لكن مرام لم تستطع التجاوب مع محاولات منى ... انها فقط تنظر اليه يحمل ابنه وهو يبادلها نظرات لاتفهمها .. لا ... شيء واحد تفهمه ذلك العنف الذي يشع منهما بينما (زوجته) تتألق (بجانبه) وهي تبتسم بطريقةمبالغة وتصفق بحماسة للراقصين ...

همست بضياع " منى ... اخرجيني من هنا .. ارجوك ... " تطلعت منى ولها لتبحث عن امها فلم تجدها .. التقت عيناها بمصطفى فاشار لها ان تخرجها ... وهكذا فعلت ... تحركت مع خطوات مرام المترنحة لتخرج من باب القاعة وعينا احمد لم تغفلا عنهما ....

توجهت بها نحو الحمام وما ان دخلتاه حتى انهارت مرام على حوض التغسيل .. كانت ترتكز بكلتا يديها عليه جسدها ينتفض بينما راسها يميل للاسفل ليحجبها شعرها الكث عن رؤية ما حولها ... شعرها الذي اطلقته لاجله .. فعلت الليلة كل شيء لاجله ... ارتدت ثوبا مغريا لم تكن تتصور انها ستلبسه يوما ..وضعت احمر شفاه قانٍ لم تعتد عليه ... استخدمت باسراف العطر الذي احبه ...

شعرت بيد منى على ظهرها وهمساتها المشفقة وهي تردد كلمات سبق وقالتها " اقسم لك كان حضورها صباح اليوم كان مفاجئا لنا جميعا ... حتى خالي لم يعرف .."

لم تحاول مرام نفي مشاعرها .. فلم يعد شيئا في الخفاء ... اغمضت عينيها بقوة وهي تفكر " امي فقط من تعيش في ظلمات جهل الحقيقة الكاملة... امي الحبيبة التي منحتني ثقتها دوما لم استطع اخبارها ان من احبه ... متزوج .. ولديه ... طفل ..."

عادت منى تناديها ... مرام اتوسل اليك قولي شيئا ...واياك ان تبكي لاني سابكي معك ونثير فضيحة !!"

رفعت مرام راسها لتلتقي نظراتها بنظرات صديقتها عبر المرآة ... نظراتها كانت خليطا من التحطم و... الغضب !! لكنها ولدهشة منى لم تكن تبكي !!

قالت مرام بجمود " ارجوك منى اتركيني وحدي قليلا ..." ردت منى بقلق " كيف اتركك ؟!! انا .." قاطعها مرام لتقول باصرار " فقط دعيني بمفردي ... احتاج ان اكون لوحدي .. واعدك اني ساعود للعرس عندما استعيد هدوئي ..." نظرت منى بشك اليها ثم قالت " هذا وعد ؟؟" هزّت مرام راسها وهي تهمس " وعد .."

وهكذا تركتها منى تواجه نفسها كما تواجه صورتها عبر المرآة !! هل هذا ما وصلت اليه حالتك وانت تجرين بغباء خلف قلبك ...

انظري لنفسك وانت ترتدين هذا الثوب السخيف وتضعين زينة وجه مبالغة من اجل ان تظهري جميلة بعينيه ... استيقظي مرام ... استيقظي لتري الصورة الحقيقية .... لم يعد الامر خيالا .. انه يقف هناك حاملا ابنه وزوجته تتألق بجانبه ... انهم عائلة .. عائلة ... وانت ... ابدا لن تبني عائلتك الخاصة على انقاضها ..

لم يكف عن التحرك امام باب الحمام ينتظر خروجها ... كاد يجن من نظرتها المصدومة نحوه في القاعة ... لقد كانت تلومه ... تحاكمه ... تجلده

بالسياط !! لايمكن ان يفقدها الان .. لايمكن ... مستحيل يتركها لان حالة صحوة انتابتها برؤية سهام معه ... انها لاتعرف كيف اصبح متعلقا بها ... كيف يرتعش لمجرد ان يهمس باسمها ... اما رؤيتها .... اغمض عينيه وهو يستعيد احساسه عندما رآها تدخل القاعة قبل نصف ساعة ... كانت ... مذهلة ... معذبة له ولشوقه المتفاقم نحوها ...

صوت الباب جعله يفتح عينيه ... وقفت امامه بشموخ ... شموخ انثى بمعنى الكلمة ... انثى تعود له ... تدفقت الدماء في شرايينه وعيناه تعلقتا بفتحة العنق لفستانها الاسود .. بشرتها البيضاء تلمع بالاغراء ... انفاسه تهدجت تأثرا ..

همس بشرود جملة سمعها او قراها في مكان ما " من لبس السواد سبا العباد !! "

تراقصت ابتسامة على شفتيه وهو يراها تقاوم خجلها من نظراته.. تقاوم احمرارها العفوي برفعة ذقنها المتحدية وتعابير وجهها الصارخة بالغضب ...!!

رآها كيف تحركت وهي تتجاهله تماما ... ظل ثابتا وهي تمر من جانبه بكل كبرياء ... كبرياء لذيذ كصاحبته ....

ما ان تجاوزته بخطوتين حتى التفت ليلحق بها ويسحبها من مرفقها وهو يقول بثقة " تعالي معي ..." ... قاومت امساكه بها وهي تقول " اتركني ...

اترك ذراعي ..." نظرت لعينيه بحقد طفولي لتقول بحدة " عد لزوجتك .."

القى عليها نظرة جانبية وهو يقول بهدوء " (زوجتي) حقيقة موجودة دائما لم اخفيها عنك يفترض ان تكوني اكثر قوة لمواجهتها ..."

اوشكت ان تصاب بهستيرية من شدة غضبها لبرودة رده !! وقبل ان تدرك اين يقودها كانت تقف خارج المبنى كله وفي احدى الزوايا الخلفية المظلمة لفها احمد ليسند ظهرها للحائط بينما يقف بجسده الطويل العضلي حاجزا بينها وبين الهروب منه ...

رفعت راسها عاليا اليه ...تنظر لوجهه بتحدي وانفاسها تتسارع ... بينما هو ينظر اليها بهدوء مستفز في البداية لتشتعل عيناه وهو يفصّل النظر لملامح وجهها التي يحفظها .. تركزت نظراته على مصدر الانفاس الناعمة التي تلامس رقبته كالريش ... همس بصوت مبحوح " انها ليست زوجتي ... ليس بالمعنى الصحيح وانت تعرفين .. مجيئها من عدمه لايغير شيئا بيننا ..."

لم تكن تعي تماما حرارة نظراته التي تعكس اضطرام مشاعره ، هدرت بلوعة " لايهمني .. لايهمني ... فقط اتركني ... انا .." اختنقت كلماتها عندما راته يرفع يده وللحظة تصورت انه سيلمسها ولكنه بدلا من ذلك اسند يده على الحائط خلفها ثم قال بنعومة " انت لي مرامي ... فلا تدعي رؤيتها الليلة تشوش افكارك حولنا وحول ارتباطنا المؤكد .."

الاحساس بالانكسار ملأها وهي تسأله بألم " كيف تستطيع ان تقول لي هذا الكلام وزوجتك على بعد امتار منا ؟!! كيف ؟؟كيف ؟؟"

اقترب بوجهه منها وهو يقول بثبات " افهمي مرام ... سهام لاتعني لي شيئا ... لكنها تبقى ام ايمن .."

خنقتها العبرة وهي تسال بما يجيش به صدرها " وماذا ساكون أنا ؟!!" ابتسم ... اجل ابتسم بتملك وحشي صرف !! ثم اقترب اكثر وهو يتأوه ويقول " آآآه ... ستكونين كل شيء ... كل شيء مرامي .." ابعدت وجهها جانبا وهي تقول بتوسل " ابتعد عني ارجوك ..لايجوز ان .. تقترب هكذا ..."

انفاسه تضرب صفحة وجهها وعنقها بينما يقول بصوت اجش " احاول جهدي الابتعاد ... احاول ان لاانهور مرة اخرى لاروي ظمأي... " نبضاتها تتقافز دون رحمة ركبتاها ترتعشان ليهتز جسدها كله بالضعف الذي يسري بكيانها كله ...

همست بجزع " ارجوك احمد.. " اقترب من اذنها ليهمس فيها " اريد ان اسمع منك احبك احمد..." هزّت راسها ب(لا) وهي تتحاشى ان تمس شفتاه القريبتان جدا من بشرتها ...

قال بانفعال عاطفي وعيناها تتابعان بوله تناثر خصلات شعرها " لاتهزي رأسك هكذا !! الامر حقا فوق احتمالي .. انت لاتعرفين ... لاتعرفين ..."

انها (لاتعرف) حقا كيف تحركت يداه من الحائط لتتشابكان بخصلات شعرها .. ارتعشت وهي تحاول تخليص رأسها من اسر يديه فهمس بعذوبة

شديدة " لاتخافي ... لن اقبلك ... فقط اناملي تحترق لملامسة خصلات شعرك .."

كانت بلا حول ولاقوة وهي يمرر يديه بين خصل شعرها ويتأوه بحرقة " آآآآه ... " ... همس بتحشرج " اياك ان تقصي شعرك ... اياك ان تفعليها يوما .." لم تكن تعي ما يحصل ... الامر فوق قدرتها ... لماذا لديه هذا التأثير عليها لماذا يدحر عقلها ليتوج قلبها الحاكم الآمر !! لا ليس قلبها ... بل هو ... هو الحاكم الآمر الناهي لقلبها وعقلها على حد سواء !!

همست بضياع " احمد .." تحركت يداه من شعرها ليمررها على طول ذراعيها المكشوفتين وهي ترتعش كما يرتعش هو نفسه !! امسك بخصرها وهو يهمس " وعدتني برقصة ..."

تمسكت بقشة كلمة (لا) وسط بحر عشقه الهائج في صدرها لكنه ضحك بخفة وهو يسحبها اليه ويقول باصرار " بل ..نعم .."

كانت تنكس رأسها ويداها تستقران بحرج على ساعديه الصلبين بينما هو يمسك خصرها الناعم بتصميم ويتمايل معها على انغام موسيقى قادمة من بعيد ... مال نحو اذنها وقال " كنت احترق في خطوبة منى وانت تراقصينه .." رفعت راسها اليه بذهول لتصدمها نظرة الغيرة العنيفة في عينيه...

همس بوحشية " هل يتصل بك ؟!" هزّت رأسها ب(لا) فسألها بالحاح " هل استسلم نهائيا من

ارتباطه بك ؟" هذه المرة هزّت راسها ب(نعم) .. ارتجف وهو يسأل بعينين مشتعلتين " هل قبلك يوما ؟!!" اتسعت عيناها بينما رفع احدى يديه ليلامس بسبابته طرف شفتيها ثم تحشرج صوته وهو يضيف " هنا يا مرامي ... على شفتيك ؟؟" تلكأت حرجا لكنها هزّت راسها ب(لا) ...

تنهد براحة وهو يميل ليهمس قرب اذنها " لااصدق كيف استطاع المقاومة !! انا احلم بهما كل ليلة .. لااطيق صبرا لاخذ الحق فيهما .." مالت براسها لتغطي خصلات شعرها خديها المحمرين ... قال اخيرا وهو ينظر لخصلات شعرها الحريرية " انا سارتب الامر قريبا لنتزوج .. فقط ثقي بي .. ساجعلك اميرة .. لا ... بل ملكة ... وبيتي هو قصرك ...." تنهد قبل ان يضيف همسا " وانا ... من رعاياكِ .. لا ... بل كل رعاياكِ مليكتي ..." ..

مسلوبة الارادة ... مسلوبة العقل ... مسلوبة القلب !!... تنظر اليه وكأنها مغيبة عن كل الحقائق حولها لتعيش حقيقة واحدة لاغير ... انها بين ذراعيه وتراقصه !! تكاد لا تشعر بحركة جسدها الذي تناغم بطاعة عمياء معه... تنتمي اليه تدريجيا دون ان تملك خيار الرفض !!

كيف ترفض وعيناه تنظران اليها بجوع هكذا ... انهما لاتحيدان بعيدا ولا للحظة واحدة ... نظراتهما اليها تشتتان اي اشارات تحذيرية يأس عقلها وهو يرسلها بتدفق دون ان تبدي هي اي استجابة!! ... تلك النظرات تخبرها ان حياته كلها

تتوقف على كلمة منها ... !! شعور بنشوة الانثى العاشقة التي اصبحت مرغوبة طغى على اي شعور آخر ...

همس بعينين لامعتين وابتسامة خلابة " انت اجمل ما حصل لي في حياتي ..." .....

فتح باب الجناح الخاص بالعرائس وهو ينحني بطريقة مسرحية ويقول " ادخلي مولاتي ... كنت ساحملك لولا خوفي من انك ستصرخين فزعا وتثيرين فضيحة في الفندق !!" كان حسين يقول كلماته تلك وهو يكتم ضحكته .. نظر لعروسه المرتعبة وهي تمر سريعا امامه مطاطاة الرأس مرتجفة الجسد ... انه لايصدق بعد اشهر من تقاربهما الشديد ترتعب وتخاف هكذا من العلاقة الزوجية ....!!

اغلق الباب خلفه واستند بظهره اليه وهو يحدق لسوسن التي اختارت الارض مسارا لنظراتها ...

كان ارتجافها يزداد بشكل غريب !! عقد حاجبيها قليلا وشعر باحساس غير اعتيادي نحوها .. احساس لايستطيع تفسيره او تحديده ..

احساس دفعه ليقترب منها وهو يقول برقة " حبيبتي اهدأي ... أنا لن اؤذيك .." رآى تشنجها يزداد وهي تعتصر باقة الورد الابيض بين يديها ...

وقف على بعد خطوة منها ثم اضاف وهو يمد كلتي يديه اليها " اتركي باقة الورد واعطني يديك ..

" لم تستجب ... وهو لم ييأس ... قال برقة متناهية " احتاج لكلتي يديك لاقول ما اريد قوله .. "

بتردد واضح اسقطت باقة الورد ارضا ومدت يديها لتستقرا في يديه ...كانتا ترتجفان كباقي جسدها ... اخذ حسين يلامس ظاهرهما بابهاميه يحاول تهدأتها وفي نفس الوقت يحاول ان يسيطر على نبضات قلبه المتسارعة ... انه يوشك ان يقول لها الكثير ... يوشك ان يعترف بالكثير ....

قال بحنان وهو ينظر لراسها المنكس " عندما رأيتك لاول مرة في ذلك العرس اذهلني جمالك ... ابتدعت الحجج والمواقف فقط لاثير انتباهك .. كنت الفتاة الاجمل في الحفل والاكثر جاذبية واغراءا ..." شعر بتشنجها لكنه اكمل " اعترف ان انجذابي الشديد اليك كان في مقدمة الاسباب التي جعلتني ارغب بالاقتران بك .. وبعد ارتباطنا كنت اجد صعوبة شديدة في مقاومة هذا الانجذاب خصوصا وانك كنت لاتساعدين بعطائك العاطفي اللامحدود .." لاحظ احمرار خديها فابتسم ... صمت للحظات ثم قال ببعض التردد " اعترف ايضا ان مشاعري لم تتحرك بقوة تحرك انجذابي نحوك .."

تجمدت .... هو ايضا تجمد توجسا من ردة فعلها اخذت تحاول سحب يديها منه لكنه لم يسمح لها فقال " كل هذا تغير .. وجدت نفسي انقاد خلف مشاعر غريبة لم تنتابني بهذا القوة من قبل ... " شعر بها تعود للارتعاش فرفع احدى يديه نحو خدها يلامسه برقة ثم انسابت انامله نحو ذقنها

ليرفع وجهها اليه ... سحرته بجمالها الفتان بينما عيناها تلتمعان بدموع التأثر ... همس بصوت أجش " انت تستحقين كل الحب ... تستحقين ان تشعري كأي عروس محبوبة .. تستحقين ان تعرفي اني اعشقك بصدق ومن كل قلبي ..." شهقت بالبكاء بينما تراه ينحني على ركبته ثم يغمر وجهه بين كفيها الناعمين ليقول بعاطفة حارة " انا احبك معشوقتي ... احبك .. احبك .." ...

قطرات الدموع تحولت لشلالات هادرة ..بكاؤها الناعم انحرف لنشيج هستيري ... ارتبك حسين وهو يعاود الوقوف على قدميه ... مد يده بقلق ليحاوط جانب وجهها المبلل بالدموع ... قال بوجل " ما بك سوسن ؟!! لم اتصور ان اعترافي بمشاعري سيجعلك تنهارين بالبكاء هكذا !! " اخذت تهذر بكلمات لم يفهم منها شيئا ... تمزق قلبه ألما من اجلها ولم يقاوم اخذها بين ذراعيه يضمها لصدره دافنا وجهها في سترته الانيقة .. حاول جهده ان يهدأها وهو يهمس " حبيبتي ... جميلتي اهدأي واخبريني بكل ما يضايقك ... هناك ما يضايقك اليس كذلك ؟؟"

همست بتقطع " ن..نعم ..." اخذ يمسد على ظهرها بحنان قائلا " اخبريني ... لاتخافي من قول شيء ... انا احبك سوسن .. احبك ..." كانت ما تزال تشهق بالبكاء وهي تقول " لن تسامحني ... انا .. اعرف .. ان اخبرتك .. لن ... تسامحني .. لكن .. لكن يجب .. يجب ان .. اخبرك ... لم اعد استطيع السكوت .. اكثر .."

لم يعرف حسين كيف يمكن للقلب احتواء كل هذا الخوف الذي انتابه وهو يسمع كلماتها الهستيرية ... تماسك وهو يشعر ان القادم ليس هينا ابدا .... قال بتحشرج " تكلمي حبيبتي ...فربما الامر ليس خطيرا كما تظنين .." رفعت وجهها اليه فارتعش قلبه لرؤية وجهها الجميل وقد اختلطت زينته بدموعها .. ملامحها تنطق بالالم المبرح والخوف و ... طلب الغفران !!

همست " انا .. كنت .. كنت ..متز..." اتسعت عيناه ولم يعد يعرف هل قلبه يهدر هكذا ام قلبها هي !! همس " كنت ماذا ؟!!" عادت دموعها لتجري مدرارا وهي تغمض عينيها وتقول بألم " كنت ... متزوجة... قبلك !! " ...

الفصل الحادي عشر

من غير ليه .. اغنية لعبد الحليم

" كنت متزوجة قبلك .. متزوجة ... قبلك ... قبلك ... قبلك ..."

توقف كل شيء حوله !! لا لم يتوقف وانما يتحرك ببطئ شديد .. شديد جدا جدا !... بطيء لدرجة ان عقله يتعذب في تفسير ابسط المفردات !!

يحدق في شفتيها اللتين كانتا قبل نصف ساعة فقط تعذبانه من شدة شوقه لتقبيلهما الان تتحركان بطريقة غريبة لتلفظان كلمات يضج بها عقله الذي تبلد فجأة !!

هي الاخرى تبلدت وملامح وجهها تحمل تعابير تعكس هول ما افصحت عنه ...

كان هو اول من خرج عن تبلده لتتحول عيناه لجمرتين ملتهبتين باستيعاب متأخر لمفردات الحقيقة التي القتها في وجهه ..

في لحظة دفعها للخلف حتى اوشكت ان تقع ارضا ... صدره يعلو ويهبط بقوة .. عيناه جاحظتان بشكل مرعب وسط شحوب وجهه ....

ارتعبت سوسن من نظراته ووجدت نفسها في مواجهة مباشرة مع جانب من شخصية حسين لم تكن تتصوره !! جسدها يختض وهي تحدق بمعالم وجهه التي اظلمت بقساوة وحشية ... لم تشعر

بيدها التي رفعتها لفمها وهي تهمس برعب " يا الهي ... ماذا فعلت ؟!!"

همسها وصل اذنيه لتحكم ببداية انفجاره ... تقدم نحوها وجسده يرسل كل اشارات الغضب الذي خرج عن السيطرة ... تجمدت سوسن تماما كمن كان يعبر الشارع فيفاجئ بسيارة مسرعة قادمة نحوه فيتسمر في مكانه من شدة الرعب ...

في لحظة كان يمسك بمؤخرة راسها بوحشية كادت تمزق طرحتها البيضاء وتقتلع خصل شعرها من منابته ...

وجهه قريبا من وجهها ... صوته كان هادرا وهو يقول " خدعتني سوسن ؟!! كنت متزوجة ولم تخبريني ؟!! جعلتني كأحمق طوال تلك الشهور وانا اتخيل اني الرجل الاول في حياتك؟!! "

لسانها شُل كما شُل كل جزء من جسدها وهي تواجه اعصارا من الغضب الخالص ...

اخذ يهز راسها بعنف وهو يصرخ " ردي يا حقيرة ؟؟؟ كيف يمكن ان تكوني متزوجة ولايعرف احد ؟!! " توقف للحظة وعيناه تتسعان اكثر ليضيف بتعبير مريع " ام انك تخدعيني اصلا ولم يكن هناك زواج ؟!! " عاد ليصرخ بقوة اكبر " هل غرّر بك احدهم واردتِ ان اتستر عليك ؟!!"

هنا خرجت سوسن من حالة الجمود والشلل اللتان سيطرتا عليها ... اخذت تهذر بالكلام

المتقطع قائلة " لا ... اقسم بالله كنت متزوجة ... لم اكن اريد خداعك ... أأ .. أهلي يعلمو.... يعلمون .."

ضحك حسين ضحكة مقيتة وهو يردد " اهلك يعلمون ؟!! ونعم الاهل والله ..." صمت ليضيف باشمئزاز " اهلك المحترمون يعلمون !! ومع ذلك لم يخبروا الزوج الثاني عن زواجك الاول ... ترى ما السبب ؟؟ هل ليبقى سعر العروس مرتفعا ولاتهبط اسهمها في سوق العرائس ؟!! ام ان في الامر فضيحة يخفونها عن الجميع ؟؟!!" ...

شحوب وجهها كان اعترافا ضمنيا ... جن جنونه واخذ يهز رأسها بعنف متزايد وهو يصرخ " هل كان زواجا للتستر على غلطة حصلت بينكما ؟؟ اجيبي يا فاجرة ..."

نفت بقوة ودموعها تهطل " لا اقسم لك ... انا لم ارتكب معصية .. لقد .. كان ... كان ..." عاد ليهز راسها دون رحمة وهو يصرخ كالمجنون " كان ماذا ... ماذاااا؟ " همست بصوت كأنين حيوان جريح " كان.. زواجا ..سريا ..." ثم اضافت بنشيج " اهلي .. لم يعرفوا .. في البداية ..."

لم تكن تعلم هل ما تراه على وجهه هو التحطم ام صدمة مواجهة الحقيقة ؟!!..... لكن تعابيره هذه دامت للحظات فقط ليعود اليها جنون الغضب وهو يهدر قائلا " اذن انا المغفل الذي تكفل بتغطية زواجك السرّي امام الناس ... "

فتحت فمها لتقول شيئا عندما اوجعها وهو يشد الطرحة بوحشية عن رأسها فصرخت بألم بينما هو يقول بلهجة منتقمة " اللون الابيض لايليق بك يا عروسي ..."

عاد ليمسك شعرها يشدّه بكلتي يديه وبكل قسوة ثم قال بلهجة مهينة " كيف يجرؤ عمك المحترم على التزوير ليكتب في العقد انك باكر ... وامك الفاضلة التي تلتزم هذا الصمت القاتل .."

هنا بدت سوسن ضائعة تماما .. ولولا غضبه السافر للاحظ احمرار وجهها وهي تهمس " انا .. انا .. فعلا ... انه لم ... لم .. انا .. عذر..راء..."

بدى واضحا انه لم يصدقها وقد اختلطت كل الامور في رأسه ... نضحت عينا حسين بالقرف والسخرية المهينة فقال وكأنه يتقيأ الكلمات " حقا ؟!! تريدين اخباري ان الحقير زوجك الاول لم يأخذك ؟؟ ...."

هزة موافقة ضعيفة من رأسها كانت ردها الواهن بالموافقة .. ارجع رأسه للخلف ليضحك عاليا بشع بينما يداه تشدان على شعرها اكثر واكثر ..

كانت سوسن تعيش حالة لايمكن وصفها ولايمكن ربطها بأي واقع تخيلته ... اجفلها عندما قال بصوت غريب مرعب ونظراته تهين جسدها " اعتذر لاني لاثق بك كفاية لاصدق ذلك .... فجسدك هذا يغري الزاهد العابد فما بالك من يجعلك تتزوجينه سرا ؟!! "

قبل ان تستوعب ما يقول اضاف بنفس اللهجة " لكن ما رأيك... دعيني ارى بنفسي هل امتلكك فعلا ام لا ..؟!"

صمت مشحون لبضع لحظات يحيطه العجز عن درأ القادم ... كمن ينظر لموجة غاضبة هائلة قادمة من بحر هائج لتبتلعه !!

لحظات الصمت لم تعكرها الا اصوات الانفاس المعذبة لتنتهي سريعا بصوت نشاز لتمزق فستان العرس فكان ايذانا سافرا وصريحا بالقادم ...

****

كان قد مر ربع ساعة على حالة الصمت التي رفرفت على مصطفى ومنى وهما قابعين في السيارة امام بيت منى ... كانت نجاة قد شاركتهما رحلة العودة بعد ان استأذن كريم بأنه يحتاج للحاق باحمد ليكلمه بأمر مستعجل ...!! الوضع كله كان مربكا وغير اعتيادي ... فكريم كان يبدو عليه الغضب الشديد ويحاول كتمانه بكل طاقته بينما نجاة ارتدت قناعا من الهدوء واللامبالاة...

ومن يلوم كريم فاحمد وبعد فترة اختفاء عن حفل العرس عاد للقاعة تسبقه مرام بخطوات تتعثر خجلا بينما بدى وجهه متألقا بالانتصار والعاطفة الجارفة دون ان يبالي باخفائهما ...

وقضى باقي الوقت يحوم حول مرام وعيناه لاتفارقانها بينما هي تتوهج بالخجل والمشاعر التي فضحتها تعابيرها ... وما يثير العجب اكثر تقهقر

سهام لتراقب من زاوية مظلمة وبعينين كالنسر كل ما يحدث حولها !!

نظر مصطفى نحو منى التي بدت بحاجبيها المعقودين كمن يحاول حل معادلة رياضية معقدة !! كان يعلم بمَ تفكر .. انها قلقة ... قلقة على صديقتها مرام والحقيقة الوضع مقلق فعلا .. صحيح هو يؤيد زواج احمد من فتاة تسعده فهو رجل رائع واب مثالي ومن حقه ان يحظى بالسعادة .. لكن احمد يتصرف مع مرام باجتياح !! اجل ان يجتاحها فعليا والفتاة تكاد غير قادرة على ابداء اي مقاومة تذكر وهذا ليس عادلا .. يفترض به ان يرتب امر زوجته سهام قبل ان يربط معه فتاة رقيقة كمرام...

التفتت منى نحوه وقال على حين فجأة " مرام غبية !!" رفع مصطفى حاجبيه قليلا لتضيف منى بغيظ " اياك ان تدافع عنها !! اجل انها غبية لانها تسمح لخالي بالسيطرة عليها هكذا والغاء عقلها كليا !!لااصدق كيف عادت للقاعة هائمة بابتسامة بلهاء بعد ان تركتها تتفجر غضبا في الحمام !!"

رد مصطفى بطريقته الهادئة " انها واقعة بالحب يا منى .. فامنحيها ولو قليلا من العذر .." ازداد غيظ منى وهي ترد بحدة " الحب يسيطر على العقول فيصبح مرضا .. مرضا يجب معالجته بل استئصاله قبل ان يستفحل "

همس مصطفى بتساؤل مصدوم " مرض ؟!!" تبادل الاثنان النظرات في صمت قصير ليتبعه قول

مصطفى المستهجن " لم ارَ وصفا منفرا بشعا للحب كما وصفته انت الان .." ارتبكت منى قليلا بينما قال مصطفى بهدوء غير حقيقي" الحب يا منى مشاعر تعمر البيوت المقامة على اساسه .. الحب ينتج اطفالا تظللهم الثقة بالنفس و التفاؤل بالمستقبل ... الحب عاطفة اوجدها الله سبحانه لنريح العقل احيانا ونعيش حالة التوازن الملائمة لاجسادنا... "

عضت شفتها السفلى تحت انظار مصطفى المقيّمة ثم قال بلهجة مؤنبة " المسألة ليست بالطريقة المأساوية التي تصفينها ... "

تهربت من تأنيبه لتقول بلهجة محايدة " انا اشعر بالنعاس مصطفى ... " صمت لبضع لحظات ثم قال اخيرا " حسنا منى .. تصبحين على خير .."

اقترب منها ليطبع قبلة على خدها فانسحبت منه وهي تقول دون ان تنظر نحوه " تصبح على خير .." ...

لم يبرح مصطفى المكان حتى بعد اختفائها عن ناظريه ... كان غارقا في التفكير.. غارقا بالخيبة وشعور باليأس يسيطر عليه !!

انحنى احمد ليحمل ابنه النائم على المقعد الخلفي بينما يصله تذمرا متواصلا من سهام وهي تقول " اسرع احمد .. اشعر بالارهاق .."

التفت احمد نحوها ليقول باشمئزاز وهو يخرج مفتاحا من جيبه ويرميه نحوها " خذي هذه نسخة مفتاح البيت الخاصة بك ... ادخلي ولاداعي لانتظارك السخيف ..."

نظرت اليه ببرود وهي تلتقط المفتاح الذي سقط على الارض " اصبحت شرس التعامل عزيزي .. ترى هل لتلك الفتاة ذات الثوب الاسود علاقة بالامر "..

قبل ان يرد احمد عليها بما تستحقه جاءهما صوت من خلفه ملقيا التحية "مساء الخير .."

التفت الاثنان نحو مصدر التحية ليفاجآ بكريم يقف متراخيا عند باب البيت الخارجي .. عبس احمد وهو يتقدم نحوه قائلا ببعض القلق " كريم !! ما الذي اتى بك ؟ هل حدث شيء ..؟؟ هل الجميع بخير ؟؟ "

اطرق كريم برأسه وهو يقول بهدوء " نعم الجميع بخير .. لاتقلق .. لكني اردت محادثتك بامر ولم اصطبر حتى الغد "..

قالت سهام باسلوب يتصنع الرقة " تفضل عمي كريم .. البيت بيتك .." التفت احمد نحوها يحدجها بقرف بينما رفع كريم حاجبيه وهو يتطلع نحو هذه المرأة الجميلة الغامضة .. استغرب محاولتها التودد اليه ولو بتصنع مكشوف .. فزوجته نجاة تعاملت معها باسلوب سيء جدا هذه الليلة ومع ذلك سهام ادّعت عدم التنبه لنفور نجاة منها وظلت تبتسم ببراءة لاتقل تصنعا

عن تصنعها الرقة والترحاب الان وهي تدعوه لدخول البيت...

قال كريم بصوت محايد " شكرا سهام ولكني ساتكلم مع احمد في سيارتي .." وقطع اي اعتراض بأن وجه كلامه لاحمد ليقول بحزم متوارٍ " ادخل ابنك لسريره وانا سانتظرك في الخارج .." ثم التفت نحو سهام ليقول " تصبحين على خير .." وقبل ان يسمع ردها كان قد استدار ليتوجه نحو الشارع حيث ركن سيارته ..

لم يناور احمد وهو يسأل كريم حالما جلس بجواره في السيارة "ما الذي جاء بك في هذه الساعة يا كريم ؟" القى كريم نظرة نحوه وهو يقول " انت تعرف .."

للحظات تبادل الرجلان النظرات وكأنهما يدرسان دواخل بعضهما ... قال احمد بلهجة هجومية وصراحة شديدة " ما الذي يزعجك حقا ؟! ألاني استطعت اقناعها باحتياجي لها .. هل تستكثر علي ان اشعر بالسعادة ؟!" ضيّق كريم عينيه قليلا ثم رد قائلا بعقلانية " انا اكثر من يتمنى لك السعادة ولكن كل شيء باصول .."

اطبق احمد فكيه بقوة ثم قال باصرار " وانا لم اخالف الاصول .." تضايق كريم من تصلب احمد وعناده فظهر ضيقه واضحا وهو يقول " بل انت لم تترك شيئا لم تخالفه .." تنهد احمد في ضيق مماثل

وادار وجهه جانبا لينظر عبر زجاج نافذته الجانبية لكن كريم لم يستسلم فقال بحزم " الان وحالا ستخبرني بما تنتوي فعله .."

التفت احمد نحوه وقال بسلاسة " اخبرتك سابقا انا ساتزوج مرام .." لكن كريم لم يقتنع بتبسيطه الامر هكذا فطالبه قائلا " هذه الفكرة الاساسية ولكني اريد التفاصيل .. لاتنسى عندما ستتقدم رسميا لخطبتها نحن (اي انا واختك) سنكون معك فعليك شرح ما يجب ان اقوله لام ربت ابنتها بمفردها بعد وفاة زوجها لاقناعها بفكرة تزويجها من رجل متزوج ولديه طفل في الثالثة .. " قال احمد وهو يسبل اهدابه " انا ساتقدم لمرام الخميس المقبل .." ارتفعا حاجبا كريم وهو يقول " ماذا ؟!! هكذا ؟ وبهذه السرعة ودون اي تخطيط ؟!!"

رفع احمد نظراته اليه ثم قال بهدوء " من قال بدون تخطيط ؟!.." ثم اضاف وهو يتطلع لعيني كريم المتشككتين " عملي بدأ بالاستقرار .. بيت والديّ سيكون لنا انا ومرام ... في الحقيقة ساسجله باسم مرام ليكون ملكا صرفا لها ... اما سهام فلديها بيت حديث تسكنه وبمجرد ان تعرف خبر اعتزامي الزواج ستطلب من امها الحضور وهذا سيسهل عليّ الكثير .."

شعر كريم بالتخبط فسأل " ماذا تقصد يسهل عليك الكثير ؟ وهل ستسجل هذا البيت باسم سهام ؟؟" ثم اضاف قبل ان يسمع رد احمد "

وماذا عن ايمن وكيف ستقسم وقتك وسط هذه الدوامة ..يوم هنا ويوم هناك ؟!"

رد احمد بهدوء بالغ " البيت لن اسجله باسم سهام ومسألة تسهيل الامور اقصد بها لاني لن ابيت مع سهام في مكان واحد ووجود امها سيحل المسألة ..."

عقد كريم حاجبيه في تساؤل حذر ثم قال " هل ستهجر سهام ؟! وماذا عن ايمن ؟ " رد احمد وقد لاح على وجهه الهم " ايمن ... انه العقدة الحقيقية .. لكني اسعها لحلها ... انا ساقضي معه اغلب ساعات النهار ولن اتركه حتى ينام في سريره وربما ساجعله يبيت عندي ايضا ... كله بالتدريج ..."

عبس كريم بشدة وهو يقول " تدريج لايّ شيء بالضبط !!"

تنهد احمد قبل ان يقول بصراحة " اسمعني كريم ... انا لن اطلق سهام الان.." ضرب كريم كفا بكف وهو يقول بعجب " انا حقا لم اعد افهمك .."

اضاف احمد بتأني" امنحني الفرصة لافهمك ... كنت لفترة قريبة مقتنعا بفكرة ان القليل الذي يحصل عليه ايمن من امه افضل من لاشيء .. لكني اكتشفت اني مخطأ .."

شاب صوته حزن دفين وهو يكمل بأسى " عندما عادت سهام من السفر صباح اليوم تمزق قلبي ألما من اجله ... لقد كان يتعلق بها كالذليل يستجدي حبها وهي .. لم تنظر حتى اليه !! كل ما كانت تراه

البيت الجديد وعيناها الجشعتان تفضحان ما يخطط به عقلها المنحرف .." سكت قليلا ليتمالك غضبه ثم اضاف بألم مبرح " يقتلني هذا ولكن هذا نصيبه !! نصيبه ان ينحرم من عاطفة امه .. ان يعيش يتيما وامه حية ترزق ... " خنقته العبرة وهو يكمل " نصيبه ان يتحمل خطأ ابيه باختيار احمق لامرأة مريضة لتكون اما له .."

رغم ادراك كريم لمعاناة احمد ورغم انه يشفق عليه وعلى ابنه ايمن الا انه لم يتراجع ليحاول ان يحفظ حق مرام .. قال بصراحة " اذن متى ستطلقها ؟"

هز احمد رأسه في احباط وهو يقول " بعد ان احصل على حضانة ابني .." فقال كريم " اعطها البيت يا احمد ... انها امرأة مادية وستوافق على منحك حضانة ايمن اذا منحتها هذا البيت .."

تهكم احمد قائلا " انت لاتعرفها مثلي .. اعلم جيدا انها ستسعى بكل قوتها لاسجل هذا البيت باسمها وانا ساتركها تلهث خلف طمعها كالكلبة .." مرر كريم يده في شعره وهو يقول " انا لاافهم شيئا !!"

اخذ احمد نفسا قبل ان يقول " سهام لن تمنحني حضانة ايمن حتى لو كتبت هذا البيت باسمها .. المال ليس سعيها الاوحد .. انها تريد كل شيء ولن ترضى بحمل لقب مطلقة حتى من اجل هذا البيت ...لكنه يبقى ورقة رابحة في الوقت المناسب .."

عندها قال كريم مستفسرا " حسنا .. اذن انت ستبقيها على ذمتك حتى تحصل على حضانة ايمن .. وعليه يجب ان تؤجل زواجك من مرام حتى ذلك الوقت ..."

تفاجأ كريم من رد فعل احمد الحاد وهو يرفض قائلا " لااا.." رفع كريم حاجبيه وهو يناديه " احمد.." لكن احمد قاطعه ليقول بتصميم " انا ساتزوج مرام بمجرد اقناعي والدتها بالامر وهذا سيكون قريبا .. قريبا جدا .."

شعر كريم بالغضب رغما عنه فقال في حدة مماثلة لحدة احمد " لاتكن انانيا احمد .. ليس عدلا لفتاة مثلها ان تكون زوجة ثانية ... هل تتخيل نظرة الناس اليها ؟!!"

لكن احمد قال بصراحة " لن تكون الثانية ... ستكون الوحيدة .. وساحرص على جعل الامر واضحا امام الجميع ... " هزّ كريم راسه بدون اقتناع فاضاف احمد " ليست انانية كما تعتقد .. رغم حاجتي المتفاقمة لوجود مرام في حياتي بشكل رسمي .. لكن ارتباطي بها سيكون ورقة ضغطي على سهام ايضا.."

لم يفهم كريم ما يقصد وبان ذلك على ملامح وجهه فاوضح احمد مفسرا " اذا كنت لااستطيع جعل سهام تحمل لقب مطلقة دون ان اخسر ابني فانا قادر على جعلها اخذ مرتبة الزوجة الاولى المهجورة .. وهي لن تتحمل ذلك ..."

صدم كريم فقال في ذهول " اصبحت قاسيا جدا احمد ..لم اعهدك بكل هذه القدرة على التجريح .." انفعل احمد فرد بعينين تحترقان " قاسٍ ؟!! القسوة هي عنوان لحياتي .. والجفاف علامتي الفارقة !! القسوة تعلمتها على يد خبيرة عندما ارى ابني يعاني الأمرين مع ام مجنونة ولااستطيع فعل شيء له ... القسوة ان تهان كرامتي فتكبلني الابوة لاثأر لنفسي .. القسوة ان اشعر بجفاف روحي كأنسان وكرجل وعندما اجد فتاة كمرام تحبني لذاتي الجميع يحاربني ويحارب ارتباطي بها ويتهمني بالانانية ... "

حاول كريم تهدأته وهو يقول بحنو " لاتقل هذا احمد ... انا ساكون سعيدا لاي سعادة تجدها مع مرام .. لكني اخشى عليها من احتياجك العنيف هذا ... اخشى ان تنساها كانسانة وتفكر فيها كتعويض فقط ...."

فرد احمد باستهجان شديد " لماذا تصر على جعل الامر هكذا ؟!! انا اهيم بها .. تهفو روحي اليها وتشتاق نفسي لسماع صوتها ... "

درسه كريم بعناية ثم قال بجدية " هل ستسعدها يا احمد ؟ هل ستمنحها ما تريده هي كما تمنحك ما تحتاجه انت ؟" رد احمد بـتأكيد " بل اكثر مما تريد ..."

نقر على زجاج النافذة جعل الرجلين يجفلان بينما اطل وجه سهام المبتسم بتصنع وهي تقول " اسفة لمقاطعتكما " ثم نظرت نحو احمد لتقول بنظرات ناعمة " عزيزي.. ايمن استيقظ وهو يريدك ان تنام

بجانبه حتى يغفو مرة اخرى ... اسفة حاولت تهدأته ولكن انت تعرف مضت فترة لم يرني فيها والاطفال ينسون بسرعة حتى امهاتهم !!"

هزّ احمد رأسه ثم نظر نحو كريم وقال " اجل .. الاطفال ينسون حتى امهاتهم ... الى اللقاء كريم .. سنتفق على التفاصيل بعد يوم او يومين .."

وترجل احمد من السيارة ولوح لكريم مودعا بينما كريم لم يستطع الا ان يشعر بقلقه يتفاقم بدلا ان يهدأ !!.....

ما زال وجهها متوهجا وعيناها لامعتين بالغبطة .. مضت ساعتان على عودتها للبيت .. رحلة العودة التي رافقها بها احمد وهو يسير خلفها بسيارته ويودعها بعينيه من بعيد وهي تدخل بسيارتها لمرآب بيتها ...

ابتسمت وهي تستعيد احداث الليلة بينما قلبها يعلو وجيبه فتحاوط نفسها بذراعيها باحساس غريب .... جارف لذيذ منعش .... يعزلها عن محيطها ... عن عالمها كله .. لتعيش في عالم واحد .. عالم معه هو ... هو حلمها الذي تحقق ..

غرقت في الخجل وهي تتذكر رقصتهما في الظلمة الناعمة .. همساته .. اشواقه .. مشاعره التي فاضت فاغرقتها ... همس اخيرا في اذنها ان تعود قبله للقاعة وهكذا فعلت دون ان تجد ما تقوله له !! كانت تشعر فقط بحاجتها للاستسلام .. اجل الاستسلام لتلك المشاعر التي اختزنتها طوال

سنوات .. هذه المشاعر وجدت طريقها لقلبه لتتحرر ... لتتدفق ... لتتنفس اخيرا وتعيش بين حنايا المحبوب ..

اغمضت عينيها وعضت شفتها السفلى وهي تتذكر نبضات قلبه المتسارعة تحت لمسة يديها المرتبكة ...انفاسه التي لفحت وجهها دون ان تجرؤ على التطلع لوجهه ... كان يمسكها وكأنه لن يفلتها ابدا وعندما همس لها ان تسبقه في العودة للقاعة تلكأ وهو يدعها تنسحب منه ... لكنه فعليا لم يدعها ابدا ... !! اينما ادارت وجهها في القاعة كانت تراه حولها ... يبتسم لها وكأنه لايرى غيرها ... الضباب الذي كان يلفهما ويعزلهما ازداد وسط الناس بدل ان يخف ...لم يبتعد عنها اكثر من بضعة امتار بينما عيناه لاتكفان عن ارسال رسائل شوق ملتهب

... لقد منحها ما جعلها لاتشعر حتى بوجود زو ...... هزّت رأسها ترفض حتى التفكير فيها كما رفضت الاعتراف بوجودها في الحفل ... لماذا تتعس نفسها واحمد يريد اسعادها ... وهي ايضا تريد ... اجل انها تريد حبه وعشقه ... غيرته عليها وتملكه لها ... تريد ان تنتمي اليه لتسعده ...

ابتسامة هائمة عادت لوجهها وهي تغرق في ذكرى اقترابه الوحيد منها خلال الحفل .. عندما فاجأتها منى وهي تسحبها من يدها وتقول بغيظ " تعالي ارقصي معي وامسحي هذه النظرة المفتونة من عينيك !!" لم تعترض ولم يهمها تقريع منى لها ... انها لاتعلم ... الغبية لاتعلم كم رائع ان نحظى بحب المحبوب ...

اخذت ترقص بنعومة وهي تبتسم بوجه محمر .. لم تحتج لتبحث عنه فعيناه لاتغفل عنها .. لكن هذه المرة عندما رفعت عينيها وجدته امامها مباشرة تكاد يداها تلمسانه .. مال قليلا لتسمعه وسط الضجة " توقفي عن الرقص .." رفعت حاجبيها في تساؤل فرأت عينيه تشتعلان وهو يقول " لاتنظري الي هكذا .. انا على وشك ارتكاب احدى الحماقتين اما ان اقبلك امام الناس واما ان احطم فك ذلك الابله الذي لم ينزل نظراته من عليك .." رفعت حاجبيها في براءة بينما تحركت عيناها بعفوية تبحثان فنهرها احمد هامسا " لاتبحثي عنه .." احمرت وهي تطرق برأسها فمال اكثر وهمس بصوت يضج بالتملك " لاتنظري لاي رجل غيري.. فقط انا يا مرامي .. " ازدادت بحة صوته وهو يضيف " احبيني يا مرامي ..."

رنة وصول رسالة نصية اخرجتها من احلام اليقظة وبدون تأخير تناولت هاتفها والابتسامة الولهانة تعلو ثغرها .... كتب لها (لااستطيع النوم !! اريد سماع صوتك وانت تقولين (احبك) ..ارجوك)

سحر العشق يحاوطها من كل جهة .. يمد اربطة ناعمة خفية بينها وبينه.. سحر يمنحها سعادة الثقة بالانتماء اليه ... انه احمد وكفى !!... لم تشعر بنفسها واناملها المرتجفة تطبع كلمة واحدة لترسلها اليه ...

بضع ثوانٍ مرت ورن هاتفها فسارعت لفتح الخط قبل ان يجذب رنينه امها او اختها الصغرى ...

همست بحرج رغم لهفتها اليه " لماذا اتصلت ؟!" رد بتنهيدة طويلة " احتاج سماعها بصوتك يا مرامي ... اقسم لن انام الليلة اذا لم اسمعها منك ... احتاج ذلك بشكل يائس .. يكفي اني ساصبّر نفسي بسماعك فقط وانت تقولينها بينما عيناي تحلمان برؤية شفتيك تنطقانها ..."

صمتت بعجز عن مجاراته فهمس بحرارة " قوليها حبيبتي .. " تحشرج صوتها وهي تتوسله " ارجوك احمد .. انا .. سأموت خجلا .." رد بعاطفة شغوفة " مرامي ... كلمة واحدة .. اربعة حروف لاغير .. لاتكوني بخيلة معي .. " صمت قليلا ليضيف بهمس " هل ستجعليني اتوسل طوال الليل ؟!! هل سيقسو قلبك عليّ يا مرامي .."

في اللحظة التالية تدفقت الدماء في شرايينه وعلت نبضات قلبه وكأنها تعانق السماء !! كله حدث في لحظة بينما صوتها الخجول ينساب في همس ناعم وهي تقول " احبك " ....

*****

جالسا على كرسي انيق نظراته هائمة عبر زجاج النافذة يتطلع لشروق الشمس ... انه لايصدق ما اقدم عليه ... لقد اغتصب زوجته فعليا ... كان كالثور الهائج وهو يمزق احلامهما معا بليلة ساحرة لتكون بداية لحياة هانئة .... تمزق كل شيء كما مزق فستان زفافها الابيض ليتحول لذكرى بشعة ...

اغمض حسين عينيه بألم شديد وهو يتذكر عجزها امام وحشيته واستسلامها الصامت اخيرا بينما دموعها تنسكب ..

بعد ان انتهى كل شيء غادرها صامتا مشمئزا بينما تقوقعت سوسن على نفسها وهي ترتعش .. ارتدى ملابسه كيفما اتفق ليغادر الفندق باكمله هائما على وجهه في شوارع المدينة باضاءاتها الخافته الحزينة لتخفت اكثر حتى انطفأت مع خيوط الفجر ...

عاد قبل ربع ساعة فقط ليخفق قلبه هلعا عندما لم يجدها في السرير ليعود قلبه لنبضاته الطبيعية تدريجيا ما ان سمع صوت الماء يجري في الحمام ...

وها هو لايعرف ان كان ينتظرها ليطمأن عليها او ليعتذر منها ام ربما ليلف اصابعه حول جيدها الناعم يخنقها كما خنقت رجولته وكرامته باعترافاتها الليلة السابقة ... ليلة عرسهما !!

يا الهي لماذا اخبرته ؟! لماذا ... كان بامكانها اخفاء الامر والمضي قدما ولكن صحوة ضميرها جعلتهما معا يدفعان الثمن ..

توقف صوت الماء فاختلج صدره بمشاعر متضاربة ..

فتحت الباب لتطل منه بروب الحمام الابيض بينما تلف شعرها بمنشفة من نفس اللون .. كانت تطاطأ رأسها بانكسار يدمي القلب وتتسند على الحائط لتمنع خطواتها المتعثرة من ان تخذلها...

تماما كما خذلها هو ... ابتلع ريقه مع اجتياح لشعور هائل بالذنب يناقضه شعور قاس بالغضب... هي ايضا خذلته ... الم تفعل ؟!! اشهر طويلة كان بامكانها اخباره .. كان بامكانها تجنب ما حصل بينهما البارحة ... كان بامكانها تجنبيه هذا الالم المبرح الذي يعانيه من جرح كرامته ورجولته و.... قلبه على حد السواء ....

غلبت قساوة جرحه على اي شعور آخر فزمّ شفتيه ليقول ببرود " تعالي واجلسي .."

لم تكن قد شعرت بوجوده فاجفلت وهي تشهق وتتراجع للخلف بينما يختض جسدها حتى اوشكت ان تسقط ارضا ... منع نفسه قهرا من الذهاب لاسنادها واكتفى بقناع البرود وهو يتطلع لعينيها المرتعبتين .. عينان فتنتاه من اول نظرة ..

اشار لها نحو السرير قائلا " اجلسي على السرير لاراك بوضوح ..." ضيق عينيه وهو يضيف بصرامة " هذه المرة اريد ان اسمع التفاصيل ... تفاصيل التفاصيل ..."

لم تتحرك من وقفتها وهي تستند بكفها على الحائط .. بدت عيناها الجميلتان غائرتين تحيطهما هالات سوداء ...

ملامحها الفاتنة رسمها هدوء حزين ويأس قاهر ... تحركت اخيرا بخطى مرهقة ... رغما عنه اعجب بمحاولاتها لتتماسك !! حتى انها استغنت عن الاستناد للحائط لتسير بخطوات يغلب عليها

الارتجاف وتبدو للناظر انها على وشك السقوط ارضا ...

تحطمت اعصابه حتى وصلت بخطواتها للسرير وجلست اليها ... كتم تنهيدة ارتياح بينما يتمسك بقناع البرود ... فاجأته بالمبادرة بالكلام وهي تقول بصوت ميت "ماذا تريد ان تعرف ؟!" لم يسيطر على قساوة تمكنت من قلبه ليقول بلهجة مشمئزة مهينة " كل شيء ... ابتداءا بمن هو .."

رفعت ذقنها قليلا وقالت بلهجة خلت من اي روح " كان استاذي في الجامعة .."

كزّ على اسنانه وقد اغاظه الموقف الذي تتخذه ... كأنها ضحية مظلومة مجنيٍ عليها .. وكأنه .. وكأنه هو ايضا شارك في ظلمها ...

قال بلا رحمة " وبعد ؟! قلت لك اريد التفاصيل .." يأسها الهادئ يقتله ويغضبه في آن واحد ... قالت بصوت مبحوح ينضح بذكرى كريهة " بدى فاتنا لكل الفتيات وليس لي فحسب .. في الثلاثينات ويجيد اطلاق سحره ... كنا مجرد فتيات مقبلات على الحياة .. تلفنا الاحلام بايجاد الفارس الساحر ..." ابتسمت بألم وهي تكمل " وللاسف من سوء حظي اختارني انا دونا عنهن ليحقق حلمي .. بطريقة مشوهة !! اختارني ليلعب لعبته القذرة عليّ ليوهمني بدخول جنة على الارض .."

كانت قبضتا حسين ترتجفان من الغضب فمارس كل ما لديه من طاقة ليكتم انفجارا موشكا ...

اما سوسن فبدت بعيدة عن انفعالات زوجها ... غارقة في احلامها التي تشوهت كما تشوهت روحها ووصمت بالخزي ...

قالت بصوت حالم حزين " لااعرف كيف اصف ما حدث !! فجأة وجدتني بمنتهى الضعف وارضخ لطلبه بزواج سرّي بعد بضع اشهر فقط .." لم تشعر بدموعها التي اخذت بالهطول وهي تكمل بصوت متحشرج " اقنعني انه رجل من اصل ريفي وانه لايؤمن بعلاقة حب دون رابط شرعيّ .." رمشت قليلا ونظراتها هائمة في نقطة وهمية على الحائط بينما حسين يراقبها بمشاعر مختلطة ...

ابتسمت بشجن وقالت بسخرية واضحة " اخبرني ان كل غرضه هو لنتقارب (فكريا) دون ... ان .. نتجاوز الحدود .."

لم يحتمل حسين وهو يضرب على ذراع الكرسي ويقول بغضب " ولماذا رضيتِ بذلك ؟!! ما مشكلته ؟ لم لم يتزوجك بشكل طبيعي ؟ "

طأطأت رأسها لتهمس بصوت جريح " قال ... قال ان لديه مشاكل مع عائلته التي تريد تزويجه من ابنة عمه الجاهلة رغما عنه ..."

شتم حسين بافظع الشتائم وهي لم تتجرأ على رفع راسها حتى ... قال بعدها بلهجة صارمة " اكملي .."

كان اهتزاز كتفيها الناعم يفضح بكاءها.. قالت من بين شهقاتها المكتومة " بعد ان كتبنا العقد باسبوعين ...تغير... اصبح... اصبح .." هدر صوته مقاطعا بلهجة لاذعة " اكثر تطلبا ؟!! لم يعد يكتفي باللمس والقبلات البريئة ؟!!"

رفعت وجهها الباكي نحوه وقالت بعنفوان " قل ما شئت عني ... فكر بي بأسوأ ما يمكنك ... لكني قاومت ... رفضت ... وفي المقابل هو اذلني واهانني ... ضغط عليّ بكل وسيلة... تارة كان يتوسل الحب مني وبحاجته لي ... كان يدمي قلبي الغبي بتوسلاته ... ثم اصبح يتهمني اني باردة وغير عاطفية واخيرا اخذ يلمح انه يعيد النظر في ارتباطنا من الاساس .."

اشفاق انساني بحت تغلب عليه .. لقد مر عليه شخصيات كاستاذها الحقير هذا ... وهو يعرف هذا الاسلوب جيدا ويدركه ...

التطلع لوجهها الباكي الذي حمل كل انواع الألم كان عذابا صرفا لجانبه العاشق لها ...

تعلقت عيناه بشفتيها الشاحبتين المرتجفتين وهي تقول بألم متزايد " لقد مارس علي كل صنوف التعذيب النفسي حتى انه .. لمح لي باحتمال زواجه من ابنة عمه لانه .. رجل .. وله احتياجاته !!" غيرته وغضبه اخذتا بالتفاقم فصرخ بها رغما عنه قائلا " وانت بغباء استسلمتِ واعطيته ما اراد لمجرد انه يحتاج لامرأة في سريره !! " زمّت شفتيها وهي تتلقى اهانة جديدة منه لتفاجأه بقولها

الحانق " انت تعرف انه لم يحصل على ما اراد ... وقد تكفلت بنفسك لتتأكد اني لم اكن بهذا الغباء ... "

اطبق فكيه بقوة وتقلصت معدته حتى اوشك ان يتقيأ وهو يتذكر ما فعله بها ... لكن لحظة عنفوانها تراجعت سريعا ليعود القهر والاذلال سيدا وحاكما لروحها ...

قالت بتحشرج " ولكن انت محق ... انا كنت غبية .. غبية ورخيصة !... وحقيقة انه لم يحصل على ما يريد مني لم يكن لذكائي دور فيه!!" ثم نظرت اليه لتضيف بهوان "ببساطة لم اكن من اوقف الامر .."

كانا يحدقان ببعض والمشاعر المشحونة تحوم حولهما ...

قالت بذل شديد " بعد ان ياس من اقناعي تركني لشهر كامل بلا اي وسيلة اتصال ... جعلني اشحد حتى صوته .. اصبت بهستيريا وانا ابحث عنه ولااجده ... التاع من شوقي اليه وخوف مرضي لفقدانه .." ضحكت بهستيرية لتقول " واخيرا ... وفي التوقيت المناسب ....اتصل ..."

هتف حسين " الحقير !!" عيناها تألقتا بالكره وهي تقول " نعم ... كان استاذا في الحقارة ..."

استندت بكلتي يديها على حافة السرير واطرقت برأسها لتنحل المنشفة البيضاء التي تلف شعرها دون ان تهتم باعادتها فسقطت على السرير وظهر شعرها اللامع الرطب ...

لكنها كانت في وادٍ آخر بعيدا عن هيئتها... تعاني من ذكرى ضعفها امام رجل اجاد شبك الخيوط حولها كالعنكبوت ...

قالت وهي تعتصر اناملها على حافة السرير " كلمة واحدة منه وكنت عنده .. في شقته... اطلب العفو والسماح ..." انحنى كتفاها اكثر ليتحول صوتها لهمس متشنج وهي تقول " لازلت اذكر تلك اللمعة المقرفة في عينيه .. كان يشعر بالانتصار .. بدى كالحيوان الذي يوشك ان يلتهم الفريسة .." شهقت بعبرة خنقت صدرها ثم اكملت" لكن (الحيوان) لم يحسب حساب فريسة اخرى كانت قد اختارت نفس التوقيت لتعلن استسلامها ..."

عقد حسين حاجبيه وقال وهو يقاوم ما يشعر به " ماذا تعنين ؟!!"

رفعت راسها وقالت بخذلان " دخلت علينا فتاة ... ورأتنا .. كانت من سني ... فتاة جامعية كما عرفت لاحقا .. ولكن من جامعة اخرى .. كان قد اعطاها مفتاح الشقة لتحضر متى شعرت بالاستعداد لمبادلته الحب كناضجة !!"

اتسعت عينا حسين وهو يهتف " يا الهي !!"

ارتجفت سوسن للذكرى وهي تكمل مأساتها " لااذكر كيف خرجت راكضة من تلك الشقة الموبوءة ... لااذكر كيف وصلت البيت وانا منهارة لاسقط مغمى عليّ ما ان رأيت وجه امي ..."
وضعت يدها على فمها وهي تشهق بالبكاء وتقول

" ما ان استفقت حتى انهرت واخبرت امي بكل شيء.."

سأل حسين وقد بدأ يشعر بالقرف من كل ما يسمع " وماذا فعلت امك ؟!" مسحت دموعها وقالت بهمس " اتصلت بعمي .." لم يستطع حسين الا ان يسأل " هل والدك .." قاطعته بحدة قائلة " لا ... لايعلم .. كان الامر سيقتله كما قتل روحي ..."

ابعد نظراته عنها وقال " ماذا فعل عمك ؟" ردت وهي تعود لانكسارها " اخذني اليه وواجهه .. هو حاول الانكار لكنه لم يصمد طويلا ... كم بدى ضعيفا خسيسا !!.." صمتت قليلا لتضيف " احضر عمي شاهدا يثق بكتمانه وطلب رمي يمين الطلاق عليّ .. وهكذا طلقني ومزقنا ورقتي عقد الزواج السريّ .."

لايعرف لمَ تفاقم غضبه هكذا في النهاية ... لايعرف لمَ شعر برغبة جامحة لعقابها .. لايعلم هل هو عقاب لما فعلته بنفسها او لما فعلته به ...

قال بسخرية حانقة " وهكذا عدتِ الانسة سوسن المصون التي لم تمس !! لتخدعوا الناس بتلك الاكذوبة ..." لم تجرؤ على مواجهته وهو يكمل بنفس الحنق والغضب " الان فهمت امورا كثيرا كانت تثير تساؤلي .. تعامل امك البارد معك.. اسلوبك العاطفي في منحي نفسك ..." صمت ليضيف بقسوة " ترى هل كنت تخافين ان اتهمك بالبرود وتفشل صفقة زواج علني ؟!!"

ناشدته بصوت مجروح " لاتفعل هذا يا حسين ... انا احببتك وكنت اخاف خسارتك .."

صرخ بها وهو يهب واقفا على قدميه " لاتحاولي تبرير خداعك وخداع اهلك ... ولا تتشبثي بكلمات الحب ... انت وافقتِ على الزواج مني قبل ان تدخل العاطفة في حساباتك ..." حاولت الدفاع عن نفسها قائلة " لن .. انكر .. هذا .. انا .."

اقترب منها وهو يقول من بين اسنانه " انت ماذا سوسن .. ؟" ضربت على ساقيها بيأس وهي تقول " انا كأي فتاة .. تريد ان تتزوج وتحب وتعيش حياة طبيعية ... " نظرت في عينيه مباشرة فبدت كظبية جريحة وهي تتوسل قائلة " اليس هذا من حقي ؟!!"

لكن حسين كان مجروحا ايضا فرد ساخرا بعنف " حقك ؟!! نعم من حقك... كما من حقي ان اعرف تاريخ زوجتي الحافل !! من احبت .. من تزوجت في السر .. من قبلها ومن لمسها ومن ومن ... " توقف وهو ينهت من الانفعال ليضيف بقساوة اشد تفجرت في داخله كالطوفان " بل اني افكر الان كيف لي ان اطمئن ان قصتك هي الحقيقة البحتة ... كيف يمكن ان اثق انك تزوجته اصلا ؟!! ربما ما حصل مجرد غلطة وتم اصلاحها ... فاليوم كل شيء مباح وقابل للاصلاح حتى عذرية الفتيات "

شحوبها الان اضعاف شحوبها ليلة الامس .. لقد كان يدرك انه تجاوز في قساوته كل الحدود ... لكن الشك والألم قهراه وحجبا انسانيته .... شعر بنفسه

يفقد حتى قدرته العقلية للحكم على الامور بروية ... الامر يفوق احتماله ...

استدار ليوليها ظهره وهو يقول بصوت خشن " نامي سوسن ... فلم يبقَ الا بضع ساعات على سفرنا .."

الصدمة في صوتها كانت واضحة وهي تهمس " هل .. هل س.." رد وهو يتحرك نحو الحمام " نعم يا عروسي .. التمثيلية ستستمر ..من اجل عائلتي فقط " ثم اضاف ما ان وضع يده على مقبض باب الحمام " حتى انهيها في الوقت المناسب ..." ...

الفصل الثاني عشر

يا مالكاً قلبي .. اغنية لعبد الحليم

وقفت امام مرآتها الطويلة تتطلع لنفسها في احباط !! تشد ملابسها لتضيقها على جسدها عسى ان ترضيها قليلا معالم انوثتها الشحيحة !! تنهدت باحباط شديد ... لاتعلم كيف يحسدنها الفتيات في المدرسة على رشاقة جسدها بينما هي لاتراه الا صبيانيا !!

اصوات قادمة من جهة شباك غرفتها جعلتها تهرع نحوه ... قلبها يخفق وهي تنظر عبر الزجاج الشفاف تتطلع لوجهه المبتسم مستقبلا ترحاب امها ... تخضبت وجنتيها وهي تهمس باسمه " فراس .." بينما تشرأب بعنقها لتلاحق هيئته التي توارت وهو يرافق امها ليدخل معها البيت ...

اذناها تطنان وهي تعود بخطوات راكضة نحو المرآة تتطلع لنفسها مرة اخرى .. عبست وهي تلامس خصلات شعرها القصيرة لتهمس لنفسها " يا غبية !! كيف يمكن ان يراك كفتاة جميلة بشعرك السخيف هذا ؟!! "

غيرة نهشت قلبها الفتيّ وهي تتذكر نظراته اللامعة وهي تنساب على شعر اختها ...

كزّت على اسنانها وقالت بطفولية " ساجعله هائما بي انا ... هو الان لايدرك حقيقة مشاعري وربما ما زال مجروحا من اختي المجنونة لكني ساعوضه .."

اخذت نفسا تحاول استعادة ثقتها بنفسها ثم قالت " اجل رهف .. كوني ذكية .. كوني ذكية .." اغمضت عينيها وهي تردد نفس الجملة باصرار وتصميم !!!

" تفضل بنيَ .. اجلس من فضلك .." ابتسم فراس وهو يتطلع لوجه من كانت ستصبح حماته !!

لقد تصالح مع نفسه .. اخيرا استطاع ايجاد فسحة يلجأ اليها بعيدا عن سخطه .. لقد احتاج للشعور بأنه سامح مرام على استخدامه في حربها ضد مشاعرها واحتاج ايضا لمسامحة نفسه لغضبه منها لانه في داخله كان يدرك انها تستخدمه وهو رضي بذلك ... !

الان .. عليه ان يتصرف بما يمليه عليه ضميره .. ما زال يشعر بالمسؤولية نحو مرام ..

" عزيزي .. بماذا سرحت ؟!" اعاد انتباهه للخالة بشرى .. تلك المرأة الرائعة التي حازت على احترامه واعجابه دوما .. هذه المرأة المكافحة ايضا لديها حق عليه ..

ابتسم بلطف وهو يقول " كنت افكر ببعض الامور خالتي .." اشفق على اشفاقها عليه !! اجل فتلك النظرات المشفقة نحوه اثارت حميّته .. فهذه المرأة لاتدرك ان ابنتها من تحتاج لشفقتها وليس هو ! بل وتحتاج دعمها الكامل ..

قال بهدوء " خالتي هل مرام مستيقظة ؟" لاح بعض الحرج على وجه بشرى فقال بتفهم " احببت

ان اسلم عليها فقط فهي ستبقى قريبتي حتى لو فشل ارتباطنا .." تنهدت وهي ترد " انها .. ما زالت نائمة .. ليلة الامس كان عرس حسين .. انت تعرفه .. اخو منى .."

تصلب تمكن منه رغما عنه .. فذهابها لعرس حسين تعني حتميا لقاؤها باحمد ... طوّق سريعا احساسا بالغضب حاول ان يتسلل اليه ليتمكن من ضبط نفسه .. تكلم في سره قائلا " عليك ان تكون حكيما فراس .. فمصلحة مرام هي الاهم الان .."

تطلع اليها بوجه يتصنع البشاشة وهو يقول " هل تزوج حسين اخيرا ؟ مبارك له .. "

وضعت بشرى يدها على يده لتقول بعينين تنضحان شعورا بالذنب " كنت اتمنى يا ولدي ان افرح بعرسكما انت ومرام ايضا .." ارتجفت ابتسامته وهو يقول " خالتي الزواج قسمة ونصيب ... لاتقلقي عليّ .. انا بخير حقا .. اعترف اني تضايقت قليلا من الامر لكن لايجب ان نلوم مرام ... انها شابة حساسة وصادقة لانها لم تكمل معي وهي لاتكن لي العاطفة الصحيحة .."

امتعضت بشرى وهي تقول " اي عاطفة صحيحة يا فراس ؟!! انها تعيش في احلام المراهقات !! اقسم ان رهف اكثر اتزانا منها في مسألة العواطف هذه .." ضحك فراس بخفة وهو يقول " رهف فتاة حلوة وذكية .. ستصبح شابة رائعة .." ابتسمت بشرى وهي تطأطأ رأسها ....

رفقاً بقلبي

بقلم كاردينيا٧٣

كلمات .. بضع كلمات قالها فراس بعفوية ومزاح كان لها تاثيرا هائلا وهي تنساب في اذني فتاة تسترق السمع عبر الباب ... همست شفتا رهف " قال عني حلوة !!"

نداء امها اجفلها " رهف !!" شحبت اولا ثم احمرت تدريجيا وهي تتراجع خطوتين للوراء وقد هالها ان تتخيل بأن الباب المغلق لم يكن ساترا كفاية لتصنتها ..

نادت امها مرة اخرى " رهف ... اين انت ؟!" همست وهي تبتلع ريقها " ننعم ... امي ..." لكنها اكتشفت ان صوتها يكاد لايصل لاذنيها هي فكيف بأمها ؟!!

تنحنحت وهي تقول بصوت مسموع وسيطرة هشة على الذات " نعم ... امي .." ردت الام " احضري عصيرا عزيزتي وبعدها اذهبي وايقظي اختك ..." تراجعت رهف اكثر وهي تقول بحنق وعبوس شديد " حسنا .. ساوقظها ..!" لكن امها لاحقتها بالقول " احضري العصير اولا .." رددت بتذمر " حاضر حاضر .." ...

عندما عادت بالعصير وجدت باب غرفة الضيوف مفتوحا فأخذت عدة انفاس لتهدأ قبل ان تعبر الباب ، اهتزت الصينية في يدها قليلا بينما تطالع وجه فراس المبتسم في رقة وهو يقول " مرحبا صغيرتي .. " .. تلعثمت رغما عنها وهي ترد " مر.. مرحبا .. اين .. امي .."

تطلع نحوها بحنان واشفق على خجلها الذي يفرضه عليها عمرها الصغير ... قال ببشاشة وهو يمد يده ليأخذ منها كأس العصير " والدتك قررت ان توقظ مرام بنفسها ... متى ستبدأ مدرستك عزيزتي ؟ "

ردت ويداها محتارتان كيف تمسكان بالصينية دون ان تقع منها " ستبدأ .. بعد . اقل من شهر .." قال بابتسامة متسعة " انا احسدك !! لااجمل من عمر الثانية عشرة لنعيشه .." رفعت رأسها بقوة وكأنها تلقت صفعة !! قالت بحدة واضحة " انا في الخامسة عشرة !!"

عنف ردها جعله ييتأس من اجلها فقال بلطف و رقة " آسف صغيرتي .. اختلط علي الامر .. " ثم ابتسم وهو يضيف " كما انك تبدين اصغر من سنك .."

ان كان تصور انه يرفع معنوياتها بكلامه فمؤكد انه فاشل كبير !! فرهف نظرت اليه بغضب ساطع ثم التفتت بحدة لتتركه فاغر الفم عاجزا عن احتواء غضبها ... ضحك بخفة وهو يهمس لنفسه " كم انت غبي يا فراس ... لقد جرحت مشاعرها بكل كلمة القيتها على مسامعها .." ..

في غرفة مرام

" امي انا لااريد مقابلة فراس !! لماذا تريدين اجباري على ذلك ؟!!"

كانت مرام تلقي بكلماتها هذه وهي تتحرك باضطراب ذهابا وايابا امام نظرات امها القلقة !! اجل فبشرى تعيش في حالة قلق وترقب لاي تصريح صاعق منتظر من ابنتها وفي اي لحظة ... لقد عجزت عن جعلها تعترف بظروف ذلك الشاب الغامض الذي تعلقت به !.. كانت تشعر بارهاق شديد وحاجتها لمن يسندها تتضاعف .. ابعدت عنها صورة زوجها الراحل فلا فائدة من اللجوء للاشباح !! انها الان تواجه مشكلة حقيقية مع ابنتها الكبرى وتشعر بطريقة ما ان الامر اكثر صعوبة مما تخيلت في البداية ... فقد تصورت ان الشاب بحالة مادية سيئة وانه مسؤول عن اخوته مثلا .. بل حتى خطر ببالها ان الشاب لايملك مؤهل علمي مناسب وفي احيان اخرى تخيلت ان الشاب من عائلة تفرض عليه الزواج بابنة عمه او ما شابه وبذلك هم غير موافقين على زواجه من مرام ...

لكنها الان بدأت تشعر بغرابة غير مريحة وهي تتطلع لنظرة الثقة والتمرد في عيني ابنتها ... نظرة لم تتملكها سابقا .. نظرة لاتبشر بالخير !!

قالت الام بهدوء " ابنتي فراس لايحاول ان يعيدك اليه كما تظنين .. انا ايضا لن ادفعه ليرتبط بك وقلبك معلق بآخر .. انا احترمه واحبه كأبن لي ولايرضيني الا ان يتزوج فتاة تعرف قيمته حقا .."

بان الضيق الشديد على ملامح مرام فقالت متذمرة " امي ارجوك .. لاتحاولي اشعاري بالذنب .. " عبست الام قليلا ثم قالت " ماذا يحصل لك ؟!! اراك غريبة الاطوار !!"

تحاشت مرام النظر لامها ثم قالت بصوت منخفض " ليس بي شيء .." لكن امها قالت بحزم " اذن تصرفي بما يليق بسنك وانزلي لترحبي بضيف عزيز علينا وقريب لوالدك رحمه الله .."

مررت مرام يدها في شعرها بارتباك واضح ثم قالت " لااستطيع امي .. " عبست الام بشدة وهي تسأل " لماذا لاتستطيعين ؟! انا لاافهم .." ردت مرام وما زالت تتحاشى مواجهة امها بعينيها " فقط لااستطيع .. اتوسل اليك لاتضغطي علي اكثر .."

لدقيقة كاملة تطلعت الام نحو رأس ابنتها المنكس تحاول فهم ما يدور في خلدها .. تحاول تفسير ردود افعالها الجديدة هذه ...

قالت اخيرا " هل حصل تغيير في ظروف الشاب الذي تعلقت به ؟" بتردد شديد هزّت مرام رأسها بنعم .. فاضافت الام " هل سيأتي لخطبتك ؟!"

همست مرام " ننعم .. ربما ..ال... الخميس .. المقبل.."

تلكؤها مقلق ككل شيء يحدث لها!! شيء ما يقبض صدرها ولا تفهم سببه .. تطلعت نحو ابنتها لتقول باستدراك " هل منعك ان تكلمي فراس ؟!"

احمر وجه ابنتها بشدة فتأكدت من صحة توقعاتها .. فقالت وهي تستدير لتتوجه نحو باب غرفة النوم " حسنا يا ابنتي ... سأتقبل الى - حد ما -غيرة من (فضلت) على فراس .. انا استطيع ان اتفهم مشاعره .. لكني احذرك .. احذرك من الاستسلام لرغباته هكذا ..." فتحت باب الغرفة فقالت قبل ان تغادر " يفترض ان يتصل بي شخصيا ليحدد موعد اللقاء .. هو او امه ..الامر لم يعد مقبولا بشكله الحالي .."

لم تتجرأ مرام على قول شيء سوى كلمة واحدة " سيفعل ...."

" صباح الخير .." تحية لم تلقَ منه الا تمتمة غير مفهومة بينما يصب اهتمامه على ربط حذاء ابنه ..

تحاملت سهام على نفسها لتقول بتصنع " يبدو انكما ستخرجان .."

رد احمد دون ان ينظر اليها " سنذهب لبيت نجاة .." كزّت على اسنانها بغيظ وهي تقول " وماذا عني أنا ؟ هل سابقى حبيسة البيت بينما تتسكع مع ابنك في بيت اختك الغالية التي تكرهني ؟!!"

رد احمد ببرود وهو يقف على قدميه حاملا ابنه " انت قلتها (تكرهك) واعتقد انك تبادلينها بكره اكبر .. اما بالنسبة لكونك (حبيسة) فلا تلعبي هذا

الدور الدرامي !! فما هي الا دقائق بعد خروجنا وستجدين اكثر من مكان تتسكعين فيه .."

ضيقت سهام عينيها وهي تقول بكره واضح " اصبحت لاتهتم اين (اتسكع) ؟!! لاافهم هذا التطور في علاقتنا الزوجية المميزة .."

قال احمد بابتسامة مستفزة " فعلا لااهتم .. اما من ناحية التطور في علاقتنا فأنت لم تري شيئا بعد .."

قال كلماته الاخيرة بلامبالاة وهو يتحرك نحو باب البيت فلاحقته سهام بكلمات الاستنكار وهي تقول " لاتخرج الان وتتركني معلقة مع كلماتك هذه ... ماذا حدث لك في هذه الفترة التي قضيتها مع اختك ؟!! من حقي ان اعرف ... كنت جيدا معي وانت تبحث عن بيت جديد لنا .. فما الذي حصل ؟؟ ما الذي فعلته او قالته نجاة لتجعلك تتصرف نحوي بنفور شديد هكذا ؟!! "

التفت نحوها ليصعقها بنظراته الحادة لكنه سيطر على نبرة صوته حتى لايفزع ايمن وهو يقول " اياك ان تتحدثي عن نجاة بهذا الاسلوب .. اما (نفوري الشديد) فهو موجود منذ فترة طويلة وانت تعرفين هذا جيدا ورضيتِ به .. وانا في المقابل اتمم ما رضيت انا به وبحثت عن بيت يناسب ذوقك كجزء من العلاقة التافهة المقرفة التي تربطنا ... "

تشوهت سحنة سهام بتعابير كريهة لتقول بصوت كالفحيح " اخبرني ماذا حدث لك .. لاتراوغ معي بالكلام ..."

تطلع اليها ببرود شديد وقال " ما حدث اني وجدت ما احتاجه وافتقده الى درجة اليأس !! ما حدث اني استطعت اخيرا ان اعود الى ركب الحياة الطبيعية بعد ان عايشت لخمس سنوات حياة اشبه بالجحيم الذي يحرق روحي وكياني ببطيء !! "

قالت سهام بصوت كالصقيع " ماذا تقصد بالضبط ؟! كن واضحا اكثر ولا داعي لهذه الجمل الدرامية .."

تشنجت عضلة في وجهه وهو يقول من بين اسنانه " كم تختبرين صبري يا سهام ؟!! وكم تستغلين طفلا بريئا لتحتمي خلفه من انفجارِ لاتحمد عقباه انفجار اسجنه في صدري من سنوات .."

التفت نحو ابنه يبتسم اليه يطمأنه بعد ان لاحظ ارتباك حركاته وهو يربت على خد والده بقلق انعكس في عينيه الجميلتين ...

قال احمد موجها كلماته لسهام بينما عيناه ما زالتا على وجه ابنه " ببساطة يا زوجتي وبدون جمل درامية ..قريبا .. وقريبا جدا .. انا ... " صمت للحظة ثم التفت نحوها ليكمل " ساتزوج .. " ..

وباحساس من رضا لايضاهى تركها في صدمة تقبل اعترافه الناري وغادر المنزل وقلبه يرفرف من الاثارة .. اثارة الاقتراب اكثر واكثر من حلمه .. حلمه المتجسد بمرام .... لكنه لم يدرك ان سهام استعادت رباطة جأشها سريعا لتذهب مباشرة نحو الهاتف ... فهناك من ينتظر اتصالها !...

ما ان جاءها صوت امها عبر الهاتف حتى قالت بانفعال " امي .. الامر اكبر مما توقعنا ... قال لي صراحة انه سيتزوجها .." ردت الام بصوت بارد " بهذه السرعة ؟!! حسنا ... اهدأي واسمعيني .. لن اتمكن من الحضور قبل عشرة ايام لذلك كوني هادئة خلال هذه الفترة وانتظريني ..." ..

انه الاتصال الرابع منه وهي لاترد !! شيء في داخلها يحثها على هذا التمرد ويحيطها بنوع من البرود والهدوء ...

هدأ هاتفها وهي ما زالت تشعر بهذا البرود يغلف مشاعرها .. لم تعد منى تحاول تفسير ما يعتريها .. انها تشعر بانفصال تدريجي عن مصطفى ... لم تنم ليلة الامس وصورة مرام الخاضعة تقض مضجعها وتصيبها بنوع من النفور بل حتى الاشمئزاز !!

في المقابل لاحقتها كلمات مصطفى وتأنيبه الهادئ لها ليلة الامس .. انها لم تعد تستطيع الضغط على نفسها اكثر .. لافائدة من محاولة تغيير طبيعتها .. انها هكذا .. تأبى الانصياع لمشاعر تعتبرها ثانوية .. انها لاتعترف بالحب الا كعاطفة تهذب من طريقة التعامل المتبادل بين الزوجين .. عاطفة تمنح نوعا من التآلف المقبول ليبني الاثنان حياة مستقرة ...

مصطفى يرى الموضوع بطريقة مختلفة تماما ويولي الحب اهمية اساسية لايقوم زواج بدونه ... لكن حب كهذا يتحول لاستعباد .. لمجموعة من

التنازلات المستمرة التي تنتهي بالتنازل عن كرامة الانسان نفسه وهو يتلقى طعنات شريك حياته بنوع من الرضا المهين والتسامح الاحمق !!

طرق على باب غرفتها تبعه صوت امها وهي تقول " منى ... هيا انزلي لتشاركينا طعام الافطار فعلينا اللحاق باخيك حسين قبل سفره مع عروسه .."

لم تكلف منى نفسها عناء الرد بينما تسمع خطوات امها المتعجلة تبتعد ...

في الصالة الكبيرة للفندق الفخم كانت سوسن تقف مطأطأة الرأس .. محدقة عبر زجاج نافذة كبيرة تطل على حديقة صغيرة داخلية تم تنسيقها باتقان ... لكنها لم تكن غافلة عن تململ حسين بجانبها رغم محاولته اخفاء هذا ...

قال بضيق " عليك ان تكوني مبتسمة .. اياك ان تجعلي امي تلاحظ شيئا غير طبيعي بيننا .." هزّت سوسن رأسها بينما همست " لاداعي لتوصيني مرة اخرى .. فأمي ايضا ستحضر وأنا لن جعلها تتنبه لحالتنا .. يكفيها ما عانت معي .. يكفيها .. ما تعانيه من ارهاق في .. مراعاة والدي .."

نظر اليها حسين بطرف عينه ليقول بصوت بارد " هل كلمت والدك صباحا ؟" ..

ردت وهي ترفع رأسها بنظرات شاردة حزينة " اجل .. كان... سعيدا .. سعيدا جدا .. من اجلي .."

اجفلها حسين وهو يضع يده على خصرها ثم مال نحو اذنها ليهمس " انسي اباك الان .. ارى امي قادمة مع والدي واختي .. ابتسمي واظهري نفسك كما يستوجب ان تكون العروس السعيدة .."

بأنفة وكبرياء لم يرهما سابقا لديها رفعت وجهها ومالت بجسدها نحوه وهي تتطلع اليه بابتسامة واسعة ينقصها الدفء لتصبح فاتنة! ثم قالت " ارى امي ايضا حضرت .. اهلا بك على مسرح الحياة ...عزيزي .. انا محترفة في تمثيل دور السعيدة فتعلم من خبيرة !!"

بعد أيام ....

همس بالحاح " اريد رؤيتك اليوم .." ردت مرام بوجه متوهج ولهجة ذائبة " لااستطيع احمد .. امي تحاصرني، منذ اتصال الخالة نجاة بها لتحدد يوم الخميس موعدا معها وهي تحاصرني باسئلتها وتضيق علي فتمنعني من الخروج تقريبا !!.. لااعرف كيف سيكون تصرفها او ردة فعلها غدا .."

قال احمد بهدوء " هل انت قلقة ؟!" ردت وهي تتنهد " انا قلقة جدا وامي اشد قلقا مني ...! البيت كله في جو غير عادي ... حتى رهف الصغيرة اصبحت اكثر انطواءا منذ حضور فرا...."

ما نطقته من احرف الاسم كان كافيا ليعرفه احمد فقال في غضب بارد " فراس ؟!! هل حضر فراس لبيتكم ؟" لم يصله ردها فقط انفاسها المتعثرة

تعطيه جوابا لايريده !! شعر بغضبه يتفاقم فقال في حدة " ردي مرام ... هل حضر ومتى بالضبط ؟ "

تلعثمت وهي تقول " يو.. يوم الجمعة .." هتف بقوة " كل هذه الايام ولم تخبريني ؟! " لم تستطع قول شيء ايضا ليسأل بشراسة " هل كلمك وكلمته ؟ " فسارعت لتنفي بقوة " لا ... اقسم لك لم افعل .. انا لم اقابله حتى .."

لكن احمد كان يعيش جحيمه الخاص ... لم تكن مرام تدرك ابعاد الافكار السوداء التي تزاحمت في رأسه ... قال لها ببرود شديد " لماذا لم تخبريني ؟! " ردت بهمس " خشيت ان تغضب مني .." فقال بنفس اللهجة الباردة وقد لاحت عليها سمات الاتهام وبعض السخرية " لو كنت لم ترتكبي خطأ فلماذا الخوف ؟!"

اتسعت عينا مرام وهي تمسك هاتفها بتشنج ثم قالت بعدم تصديق " هل تقصد اني ارتكبت خطأ ما ؟"

صمت للحظة ليرد بما صدمها " لااعلم .. اخبريني انت ... لولا زلة لسانك لما علمت بحضوره لبيتكم .. ما يدريني انك لم تجالسيه وتضاحكينه مثلا وربما.." همست بذهول" احمد !!.." ليضيف بلهجة جعلتها ترتعش " اكره الاعيب النساء هذه .."

شعور خانق برغبة بالبكاء سيطر عليها بينما همست بادراك بطيء لاتهاماته وشكوكه " اية

الاعيب ...؟!! انا لم اكذب عليك .." ثم انهارت لتقول بصوت متحشرج بالبكاء الذي غلبها " لقد عانيت الامرين مع امي وانا ارفض النزول من غرفتي حتى وهو غادر بهدوء بعد خمس دقائق فقط من رفضي لمقابلته ... " صوت شهقاتها الناعمة رققت قلبه فتنهد وهي يقول بعتب " لماذا اذن لم تخبريني ؟! انا اكلمك يوميا .." ردت من بين شهقاتها " لاني.. لم ارد.. ازعاجك .." صمتت لتضيف بألم " انا لا احتمل ان اسبب لك ولو بضيق بسيط .." رد بانفعال عاطفي " ضيق ؟!! بل قولي احساسا مشتعلا قد يدفعني لاتصرف بدون تعقل .." رددت برقة " احمد .. اسفة.. اسفة .." قال بصوت مبحوح " لاتتاسفي يا مرامي ... ولاتبكي حبيبتي ... انا الذي يفقد اعصابه سريعا واصبح كالثور ! " ضحكت بخفة وما زالت شهقة البكاء تخنقها ... شعر برغبة ملحة لضمها لصدره .. للاعتذار منها على تصرفه الاحمق وشكوكه السخيفة ...

قال بنعومة شديدة " اريد رؤيتك اليوم .. الان .. حالا.. لااطيق صبرا لرؤية وجهك .." ردت مرام بارتباك وهي تمسح وجهها بظاهر يدها " لااستطيع.. ارجوك افهمني .. " تنهد باحباط فاضافت تسترضيه " ستراني غدا .. ألن تأتي مع الخالة نجاة ؟" قال بعاطفة " مؤكد سآتي .." ثم اضاف برقة " اما زالت امك تجهل من هو قريب نجاة المحظوظ الذي يريد الزواج بك؟!" عاد القلق لصوتها وهي تقول " لم استطع .. مواجهتها .. لم اجد الشجاعة لاخبرها .."

هذه المرة القلق استبد به هو ووجد نوعا آخر من الهواجس تتملكه !! فقال بتوجس " اذا .. رفضت امك وهذا متوقع في البداية على الاقل فهل ... ستتراجعين يا مرام ؟!! هل ستفتقدين الشجاعة لتقولي لامك صراحة انك تريديني انا دون غيري زوجا لك ؟؟"

ذاب قلبه لنعومة صوتها وهي تقول بخجل " أنا .. لااستطيع العيش بدونك .. هل يكفيك هذا ردا ؟!" فابتسم من قلبه وقال بعاطفة جياشة " وانا اموت كل يوم بعيدا عنك ..." ...

تطلع مصطفى لقامة منى القصيرة في بنطالها الجينز وبلوزتها القطنية البسيطة ثم قال بهدوء " مرحبا.." تحركت منى لتدخل غرفة الضيوف حيث يجلس مصطفى بانتظارها منذ ربع ساعة ثم قالت وهي تجلس على احد الكراسي بعيدا عنه " مرحبا مصطفى .. " وما ان استقرت في جلستها حتى نظرت اليه بهدوء وقالت " امي اخبرتني انك تريد مكالمتي على انفراد "

حدق فيها بتعابير غامضة للحظات طويلة ثم قال اخيرا " لقد تكلمت مع والديك قبل ان اطلب مكالمتك .." رفعت منى حاجبيها باستهانة وهي تقول " هل شكوتني اليهما ؟ الهذا تكلمني امي بحدة بينما ابي يمطرني بوابل من نظرات الخيبة !! "

رد مصطفى بهدوء شديد " اعتذر اذا كان الامر مزعجا لك .." عقدت منى حاجبيها وقد بدات تفقد احساسها المخادع بالهدوء وضبط النفس ثم قالت ببعض التهكم الحانق" ماذا هناك مصطفى ؟! هل ستعاقبني بطريقة جديدة هذه المرة لاني لاارد على اتصالاتك ؟" صمتت لتضيف بحدة هذه المرة " الا يحق لي بفسحة افكر فيها مع نفسي بعيدا عنك ؟"

كان وجهها محمرا وهي تدرك انها بدأت تتجاوز الحدود بينما يقابلها هذا الهدوء الغامض المستفز من جانب مصطفى ... قال مصطفى وقد صبغ هدوءه بعض الزجر " لك كل (الفسحة الغالية) التي تنشدينها ... وللوقت الذي تريدينه .. فلم اعد معنيَ بالامر .."

قلبها خارج نطاق سيطرتها .. لكنها كانت لاهية بتفسير كلمات مصطفى عن محاولاتها الدائمة للسيطرة على انفعالات قلبها ..

سألت بتحشرج " ماذا تقصد ؟" بعينين غير مصدقتين ولا مستوعبتين رأته كيف يمد يده اليسرى نحو اليمنى ليخلع خاتم الخطوبة بتمهل شديد مستفز .. ودون ان ينظر اليها انحنى قليلا ليضعه على طاولة صغيرة امامه ثم قال بوجه متشنج " انا انهي ارتباطنا منى .. "

ابتسم بشجن ليضيف وهو يتطلع لوجهها " الاصح ان اقول .. احررك منه ....ومني .. "

لاتعرف كيف خرجت تلك الكلمات المختنقة من فمها " لماذا تفعل هذا ؟!"

اكمل بهدوء متجاهلا سؤالها " بامكانك ان تقولي للجميع انك انت من طلبتِ انهاءه .."

هبّت منى لتقف على قدميها وهي تقول بانفعال " انا اسألك لماذا تفعل هذا ولا اسألك ماذا ساقول للناس .."

وهنا افلت الغضب من تحكم مصطفى وهي يهب واقفا على قدميه ليهدر على غير عادته " يكفي قلة نضوج واستهتار بمشاعر الاخرين يا منى !! "

نظرت منى نحوه بعينين متسعتين وهي تردد " قلة نضوج ؟!! استهتار !!"

لكن مصطفى كان قد انفجر تماما ليراعي مشاعرها فقال بغضب متفاقم طال حبسه في صدره " لقد تحملت الكثير من تصرفاتك وكلماتك رغم انها كانت تصيبني في صميم كبريائي كرجل .. "

صدره كان يعلو ويهبط بقوة وهو يكمل انفجاره " تحاملت على نفسي كثيرا وقلت ستتعلم يوما كيف تفهمك .. كيف تدرك شخصك .. كيف تحترم فكرك .. " كان يحدق في عينيها المصدومتين دون ان تؤثر به كفاية ليتوقف !! فقال وهو يلوح بيده بقوة " قلت ستتعلم كيف تسعى اليك دون سخافات الاستقلالية !! كيف تحبك دون ان يمرضها هذا الشعور ويصيبها بالغثيان ! .."

هنا جاء دور منى لتخرج من صدمتها وتنفجر هي الاخرى قائلة " انك تجعلني ابدو تافهة ومريعة !!.."

فرد مصطفى بألم لم يستطع اخفاءه " وانت جعلتني ابدو كأبله يستجديك الاقتراب .. جعلتني اشعر ان وجودي تحصيل حاصل ولاداعي لتبذلي اي مجهود للتمسك بي .. هذا كله خطأي !!" لم يبالِ بشهقتها المستنكرة وهو يواجهها بالمزيد من الحقائق " خطأي اني احببتك واغدقت عليك بهذا الحب حتى نفرت منه ومني !!" صمت ليرفه رأسه بكبرياء ثم قال بلهجة لاتراجع فيها " لكن لا يا منى .. انا افضل اقتلاع قلبي من صدري على ان اعيش بشعور مماثل ... "

ترقرقت دمعة في عين منى لكنها ابت ان تفلتها بينما نظر اليها مصطفى باشفاق وتأثر بعد ان هدأت ثورته ليقول بشجن " في النهاية نحن نحب ليس لاجل الحب بحد ذاته وانما لنشعر بالسعادة ونحن نؤسس عائلتنا الخاصة .. " سكن الحزن وخيبة الامل ملامحه وهو يضيف " انا لااسعى لرومانسية سخيفة فلست مراهقا كي اعيش عليها .. لقد سعيت لاعبر عن شعوري نحوك .. سعيت لارضاء انوثتك كما يستوجب ان يفعل الرجل مع من يريدها زوجة وحبيبة له .. لكنك لم تفهمي هذا ؟! بل ربما فهمته بشكل مشوه .. لااعرف بالضبط اين يكمن الخلل .. لكني لااستطيع ان استمر اكثر من هذا.. "

اطرق هاربا من تلك الدمعة التي كسرت مقاومة منى لتهطل على خدها ثم قال بهمس " ربما ستجعلنا دروب الحياة نلتقي احيانا فلا املك الا ان اقول .. اراك بخير ..."

وهكذا خرج مصطفى من غرفة الضيوف بهدوء يناسب شخصه ... شخصه الذي لم تدرك منى عمقه! لتعيش حالة تخبط اكبر من تخبطها عندما كانت مرتبطة به ...

في الحديقة

جلست نجاة على كرسي مجاور لكرسي زوجها وهي تقول بحنق " تلك الغبية .. " تنهد كريم وهو يقول " هل ما زالت تغلق على نفسها الباب ؟"

ردت نجاة بنفس الحنق " نعم .. حاولت كثيرا معها دون جدوى .." وضع كريم فنجان قهوته امامه على الطاولة ليقول " انا ايضا حاولت .. لكنها اصرت على القول بصوت غريب انها بخير .."

قالت نجاة بغضب " تستحق هذا الدرس القاسي من مصطفى .. يجب ان تعرف ان الطيبة والرقة لاتعنيان الضعف .. يجب ان تتعلم بان تنزل من عليائها وتحترم زوجها ..."

نظر كريم بطارف عينه لزوجته وهو يقول بتفكير " هل ما زلت مقتنعة انهما سيعودان لبعض ؟!"

ردت نجاة بثقة وكانها قضية مسّلم بها " مؤكد !" ثم اضافت بغيظ " مصطفى يحبها جدا وابنتك المجنونة ايضا تحبه في قرارة نفسها لكنها عنيدة ولديها اكثر فكر ملتوٍ رأيته في حياتي ! لاافهم من غرس فيها هذه الافكار المرعبة عن الحب ؟! لقد

بت افكر انها ربما لاتحترمني لاني احبك واغار عليك كمجنونة وانا في عمري هذا !! فربما تعتبرني ايضا شخصية تافهة وبلا عقل ..."

افلتت ضحكة مجلجلة من كريم ثم مال نحو زوجته يداعب خدها ويقول برقة " هل تغارين عليّ لحد الان جميلتي ؟!" عبست نجاة وهي تقول بصراحة شديدة " لااطيق سكرتيرتك .."

عاد ليضحك من قلبه بينما قالت نجاة بتوعد " اضحك كما تشاء ولكني احذرك ساتفرغ لها قريبا عندما انهي موضوع احمد بعدها ساتفرغ لابنتك المجنونة لارى هل تعلمت الدرس ام لا .."

اختفت البشاشة من وجه كريم تدريجيا ليبتعد بنظراته عن نجاة وهو ينحني ليأخذ فنجان قهوته ...

قالت نجاة بصراحتها المعتادة " ارى تعابير البؤس ارتسمت على وجهك ما ان ذكرت موضوع احمد .." لم يرد كريم مباشرة فارتشف من قهوته ليقول بعدها بهدوء حذر " انا غير مطمئن لردة فعل والدة مرام .."

صمت قليلا ليضيف بتفكير " كما ان صمت سهام ورضوخها مقلقين .." ابتسامة علت وجه نجاة جعلت قلقه يتزايد !! قال في توجس " ما معنى هذه الابتسامة ؟!"

هزّت كتفيها وهي تقول ببساطة " لقد تلقت (الزوجة المختلة) زيارة مني فوضعنا الامور في نصابها ..."

عبس كريم وهو يسأل بحزم " ماذا فعلت نجاة ؟!" ردت بثقة " لقد اخبرتها عن حديث السيدة زينب " اتسعت عينا كريم وهو يقول " لااصدق ! " لكن نجاة قالت بنفس الثقة " بلا فعلت ... بل وكشفت لها كل الحقائق .."

وضع كريم فنجانه مرة اخرى على الطاولة ليقول بحدة " لماذا فعلتِ هذا ؟! هل اردتِ اذلالها ؟"

ردت وهي تغمز بمرح " اعترف اني استمتعت بهذا الاحساس لكنه لم يكن هدفي .."

حدجها بنظرة محذرة لتكمل كلامها فقالت بجدية " ببساطة لقد جعلتها تصمت .. "

اسند كريم جبينه على اصبعي السبابة والوسطى من يده اليسرى التي تستند على ذراع الكرسي ثم قال باستدراك " لهذا هي تترك احمد بحاله ؟!"

هزت رأسها وهي تقول " نعم .." قال كريم بتساؤل " لكني لم افهم بالضبط كيف جعلتها تصمت ؟"

ردت نجاة بلا اي شعور بالذنب " لقد هددتها .." اجفل كريم وهو يستعدل في جلسته ويقول " هددتها ؟!" قالت نجاة مؤكدة " نعم ... قلت لها سأخبر احمد بما قالته للسيدة زينب وعندها سيجن جنونه وسيفضحها في المحاكم بعد ان

يطلقها .. وسيفعل كل ما يخطر ولا يخطر في بالها لاستعادة ايمن في احضانه .."

قال كريم بعد لحظات تفكير " هل تتوقعين ان احمد يمكن ان يفعل هذا اذا علم بما قالته سهام عنه ؟"

ردت نجاة بتنهد " لا .. احمد لن يفعلها ! انا اعرفه ... لن يضع نقاطا سوداء في تاريخ ابنه ... لكنها غبية ولم تعرف احمد كأنسان ... انها لا تفكر به حتى كزوج او على الاقل ليس بالمفهوم الطبيعي والمعتاد للزوج ... كل ما تفكر به كيف تمتص منه كل ما تستطيع وكأنها طفيلية !... ليس المال فحسب بل الاسم والمكانة لتتفاخر امام امثالها من التافهات ..."

فقال كريم باستدراك " لكن احمد لايعلم اليس كذلك ؟ اقصد لايعلم بزيارتك لها .. البارحة فقط كان يحدثني عن استغرابه من هدوئها البارد معه .."

قالت نجاة وهي تمد يديها لتمسكان بذراع زوجها " لاتخبره كريم ... ليس الوقت المناسب .. اريده ان يفكر بارتباطه بمرام فقط ... اريده ان يشعر بالسعادة .." شابت نظراتها تلك الحالمية التي يحبها كريم لتضيف " اريده ان يغرس شجرة جديدة في حياته .. يسقيها لتكبر وتنمو فتطرح الثمار .."

ربّت كريم بيده الاخرى على ظاهر يديها اللتين تتمسكان بذراعه ثم قال بلطف " المهم ان يغرسها بشكل صحيح يا نجاة .."

ابتسمت نجاة لتقول بمنطقية خاصة تذهله دوما " كن متفائلا عزيزي .. الاخطاء واردة دوما لكن ما دام القلب عامرا بالنية الصافية والرغبة بالحياة فالغرس سيقاوم ويعيش .."

تطلع لوجهها الجميل وهو يقول بنعومة " لااعرف كيف تملكين كل هذه الطاقة الايجابية والقناعة التي لاتتزعزع ..!! "

ضحكت برقة وهو تميل لتطبع قبلة على خده ...

لقد مرت في حياتها بالكثير من المواقف الصعبة لكنها كانت بمنتهى القوة وهي تواجهها ... " هل شختِ يا بشرى ولم تعودي قادرة على مواجهة المزيد من المصائب ؟!!" هذا ما حدثت به نفسها ..

لم تكن تريد ان تصدق !! اجل .. رغم احساسها الذي لايخطأ ما ان وقعت عيناها على نجاة واخيها وهي تستقبلهما في بيتها الا انها عاندت احساسها هذا !! ربما لان حقيقة عشق ابنتها لرجل متزوج اكبر من احتمالها !!

وها هي تواجه احمد .. خال منى المتزوج .. بينما اخته تطلب منها وبكل بساطة يد ابنتها مرام لتكون زوجة ثانية له !!!

الفصل الثالث عشر

بأمر الحب ... اغنية لعبد الحليم

ارتعش صوت بشرى وهي تقول " هل تدركين ما تطلبين يا نجاة ؟!! " ردت نجاة بهدوء " نعم ادرك ... كما ادرك صعوبة تقبلك له .. اقسم لك اني اشعر بمخاوفك وادرك ابعادها .."

همست بنوع من الصدمة المتأخرة " تدركين ؟!! حقا تدركين ؟؟؟ " ثم نظرت الى احمد الصامت وقد لاح على وجهه هدوء يماثل هدوء اخته لتكمل قائلة " وانت يا سيد احمد .. هل تدرك انك تقحم شابة صغيرة حساسة كمرام في تجربة اكبر منها ؟؟"

ارادت نجاة ان تتكلم ولكن احمد سبقها ليقول " لحظة نجاة ... يجب ان اكلم السيدة .."

ثم توجه بكلامه نحو من يسعى لتكون حماته (الثانية) وقال " اعلم ان مرام صغيرة وعاطفية وحساسة جدا ... واعلم انك - وان لم تقولينها علنا - تتهميني بالانانية لاني اقحمها في تعقيدات حياتي .. لكن انا ساعطيك سببا وجيها لتفكري في الموافقة على زواجها مني ..."

صمت قليلا ليدرس ملامح السيدة بشرى فوجدها تحاول التماسك لتنصت له فاكمل " انا اعدك بشرفي اني ساسعدها اكثر من اي رجل تتمنينه ليرتبط بها ... سأحميها بكل ما لدي ولن اجعلها

تعاني من شيء .. اليس هذا ما تطمحين اليه كأم ؟؟"

خرجت بشرى من صمتها وهي تقول ببعض الانفعال " كلامك وان صدقت نيتك لاتستطيع ضمانه لي .. فالحياة علمتني اننا احيانا نكون جادين وصادقين فعلا في تنفيذ وعودنا لكن الظروف تحكمنا .. انت لاتستطيع ضمان القادم "

رد احمد " ولا احد يستطيع !! هل تستطيعين ضمان حياة مرام مع اي رجل ؟! كلامك سيدتي عن عدم وجود ضمانة يشمل الجميع "

لكن بشرى اجابت " نعم هذا صحيح ... الغيب لايعلمه الا الله وقد يتقدم لها شاب مناسب بدون اي تعقيدات في حياته ثم تفشل تجربة الزواج بينهما .. لكن هذا لايعني شيئا !! والا كنا سنزوج بناتنا لايّاً كان دون تحكيم لعقولنا ونقول نحن لانعلم القادم فقد ينجح الزواج !! هذا خطأ .. فالانسان في كل امور حياته يسعى جاهدا للافضل له ويترك الباقي على الله ... "

قال احمد بتروٍ " سيدتي ... هل نستطيع مناقشة وضعي الشخصي الذي يجعلني مرفوضا من قبلك ؟ لنحدد النقاط التي تزعجك اولا .."

ردت بشرى وهي تعدد على اصابعها " انت متزوج من امرأة اخرى ... لديك طفل .." ثم صمتت للحظات لتقول بوجل وكأنها تستدرك حقائق اخرى " يا الهي ... هل تستطيع ان تتصور كيف سينظر الناس لابنتي ؟!! سينظرون اليها انها سرقت

رجل من بيته !! سيهينونها مع كل نظرة وهمسة .. بل هناك من سيقولها في وجهها مباشرة .. هل تستطيع تخيل شعور فتاة رقيقة كمرام عندما تسمع كلاما كهذا ؟!!"

قال احمد " فقط دعينا نتكلم عن وضعي اولا .. " اخذ نفسا قبل ان يكمل " انا مضطر ان اكشف لك بعض الامور .. امورا لم تكشفها لك نجاة الا بشكل موارب .."

اتسمت نظرات بشرى ببعض التوجس بينما استمر احمد قائلا " اعتذر لما سأقوله لكني كما قلت مضطر .... زوجتي يا سيدتي ليست انسانة سوية .. لديها عقد نفسية لم استطع حلها بالاضافة لاخلاق سيئة لم استطع تهذيبها.. " توقف لينظر لوجه ام مرام وقد لاح الحرج عليه لكنه لم يوقفه ليقول بصراحة شديدة " زوجتي هي زوجة ناشز !!"

تمتمت بشرى بضيق وحرج متزايد " لايحق لي سماع ذلك .."

لكن احمد اصر قائلا " لا بل يجب ان تعرفي لتدركي حجم مأساتي ...!! تقولين اني لدي طفل .. حسنا هذا الطفل هو الشيء الوحيد الذي يبقيني معها ولو حصلت على حضانته لكنت طلقتها من فوري حتى بعدم وجود مرام في حياتي ...سهام ليس لديها عاطفة امومة حتى .. انها انسانة مادية وصولية .. تستغل نقطة ضعفي تجاه ابني ايمن لتتمسك بي كزوج لها امام الناس ... زوج تعتبره مصدر مالي بحت .. ! بعد كل هذا الا يحق لي ان

ابحث عن السعادة مع فتاة رائعة كمرام ؟؟ الا يحق لي ان احظى بالتعامل كانسان وكرجل ؟! تقولين الناس ستتكلم .. حسنا انهم يتكلمون دائما وسيأخذون وقتا وينسون امرنا ليجدوا اخرين تلوكهم السلنتهم ..."

تماسكت بشرى وهي تنظر بتركيز لاحمد لاتنكر انها تشفق عليه لكن هذا لايعني ان ترمي بابنتها هكذا !! قالت " انا اعتذر منك ... مع تعاطفي معك الا اني لست بقادرة على ان اوافقك لادخال مرام في هذه الدوامة ... ساظلمها ان فعلت .. انها شابة في مقتبل العمر وتستحق الافضل ... لن تتحمل هذا الوضع .. انا اعرفها .. "

تدخلت نجاة لتقول " ارجوك يا بشرى .. اعطِ احمد فرصته ليعيش حياة سعيدة طبيعية مع مرام ... سهام سينفصل عنها في اقرب فرصة وعلاقتهما حاليا منعدمة .. لايمكن ان تعتبري احمد رجلا متزوجا لترفضيه !!"

ردت بشرى وهي تقف على قدميها وكأنها تنهي الموضوع " بل هو رجل متزوج يا نجاة وابنه اكبر دليل على هذا ....." ....

قالت بمرام باختناق شديد ودموعها لاتتوقف " امي .. لماذا فعلتِ هذا ؟!!" نظرت بشرى نحو رهف لتأمرها قائلة " رهف اتركيني لوحدي مع اختك .."

تحركت رهف لتترك غرفة الجلوس لامها واختها الكبرى بينما شعور بالارتباك والقلق يشوش ذهنها ...

تطلعت بشرى لملامح ابنتها مرام .. لم تتفاجئ كثيرا بتعابير التمرد التي اصبحت اكثر وضوحا وقوة .... في داخلها كانت بشرى تشعر بالانهيار لكنها كالعادة تتمسك بواجهة من الصلابة ...

جاءها صوت مرام مشبعا باللوم وهي تقول " لماذا رفضته ولم تقدري ظروفه ...؟!! اذا كنت لاتستطيعين فعل ذلك .. انا استطيع !! انا متفهمة وراضية .. واعتقد اني ناضجة كفاية لاقرر ..."

قالت الام بعد لحظات صمت " لقد اثبتِ للتو انك غير ناضجة على الاطلاق!!هل تسمعين حقا ما تقولينه ؟؟ هل تعقلينه ؟؟؟"

ازدات غزارة دموعها وهي تقول بألم " امي اتوسل اليك .. انا احبه ... لن اتزوج غيره " نظرت الام اليها بحنان لتقول " هذا كلام قالته قبلك كثير من الفتيات وضحكن عليه فيما بعد عندما وجدن الرجل المناسب "

لكن مرام ردت بانهيار " انت لاتفهمين !! لقد حاولت ... اقسم بالله حاولت جهدي مع فراس ولم انجح .."

تشنج وجه الام قليلا وهي تقول " هل حقا حاولتِ ولم تنجحي ؟! ام ان احمد هاجمك بضراوة ليمنعك من المثابرة في المحاولة !!"

علمت بشرى انها اصابت الهدف ! تلك النظرة التي مرت في عيني ابنتها اخبرتها بالكثير ...

قالت بشرى بحسرة " لو كنت اعلم ... لو انك اخبرتني لكنت ساعدتك بنسيانه وبدأ حياة جديدة مع فراس .."

اخذت مرام تفرك جبينها باضطراب وهي تقول " امي احمد ليس كما تظنين .." ردت الام بحزم " انا اعرف ما يكفي .. لقد رأيته كيف ينظر اليك .. انه يعتبرك تنتمين له فعليا !!وكأنه آت ليستعيدك ! لا ليطلب اخذك !!"

نظرت مرام لامها وقالت محبطة وتائهة " ألهذا طلبت مني ترك الجلسة ؟ "

كظمت الام غيظها لتقول بعقلانية " اجل انا فعلت هذا لانك كنت تشوشين عليّ... ان تأثيره رهيب عليك !! ماذا جرى لك يا مرام ؟!! صحيح انك عاطفية لكنك فتاتي المتعقلة التي ربيتها على يدي .. افيقي مرام ..."

مسحت مرام دموعها بقوة وهي تقول بجدية " انا اعشقه .. لن اتزوج غيره مهما حصل .. لن استطيع .. بل اني ساموت ان فقدته .."

قالت الام بتمهل " لااحد يموت من الحب صغيرتي .." لكن مرام اصرت قائلة " انا ساموت !! سأموت روحيا ...ألم اقل لك انك لاتفهمين ... احمد ليس

مجرد رجل احببته ... انا مرتبطة به بكل وسيلة وطريقة .. انتمي اليه لدرجة اشعر فيها اني اعرفه طوال حياتي .. "

رعب اخذ يفرض سيطرته على بشرى وهي تتطلع لاصرار وعناد ابنتها غير المألوفين ... ! دوما كانت رقيقة محبوبة مشرقة بالحياة .. سهلة الارضاء قليلة المطالب ...

قالت بشرى في محاولة اخيرة لتسيطر على الوضع " كوني متعقلة مرام ... انت تأخذك العاطفة وهذا طبيعي لسنك وشخصيتك المرهفة .. لكن تماسكي بنيتي ... كوني قوية وحكمي عقلك ... ستكونين الزوجة الثانية التي تخطف رجلا من بيته وعندما يحصل الطلاق وهذا اذا حصل اصلا ! عندها ستكونين مخربة بيوت !"

هتفت مرام " لست اول من تتزوج من رجل متزوج ... انه لا.." صرخت امها مقاطعة اياها " يكفي !!"

تشنجت مرام وهي تواجه امها بينما اكملت الام تأمرها بغضب وهي تمد كفها " اعطني هاتفك .." فهمست مرام " امي !!" لكن بشرى احتدت اكثر وهي تقول " حالا .."

مدت مرام يدها لجيبها اخرجت هاتفها ووضعته في يد امها الممدودة وهي تقول بجزع " انك تحطمين قلبي امي .." فردت الام بنبرة لاتراجع فيها " افضل من ان اسمح لك بتحطيم حياتك !!"

زجرتها امها قائلة بغضب بارد " ايتها الغبية .. هل كان يجب ان تخبري زينب هذه بكل تلك التفاهات ؟!" ردت سهام وهي تكاد تتوسل الصفح بعينيها " آسفة امي .. ولكنها كانت تشك بشيء غير طبيعي وهي امرأة فضولية .. خفت ان تصل لاي استنتاج او ان يتكلم احمد بشيء امام زوجها ..." صرّت الام على اسنانه وهي تقول " وانت بغبائك المعتاد قلتِ (اسبق احمد واعكس الادوار .. !) حقا غبية !" تخاذل رأس سهام فطأطأته صاغرة بينما اضافت الام بلهجة حاقدة " الان اخته نجاة تهددك يا غبية وبسبب غباءك هذا لن نستطيع التصرف بشكل علني والا قد تحدث فضيحة امام الناس ... انت لاتعرفين معنى ان تهيني رجلا كأحمد في رجولته وامام الغرباء ! " ازداد اضطراب سهام بينما يداها تلجأ احداهما للاخرى طلبا للدعم المعنوي !

فرغم انها امرأة تقترب من الثلاثين الا انها وبحضور امها لم تخرج يوما عن دائرة الاحساس بأنها طفلة في السابعة يتم تقريعها بقساوة وقد تعاقب بشدة لاتفه تصرف ! عاد صوت امها يجلدها بسياط الاهانة " مغفلة ولاتجيدين فعل شيء .. عقلك هذا فارغ تماما ولافائدة من حشوه مهما حاولت ! "

ارتجف صوت سهام وهي تتوسل دون ان تحاول النظر لعيني امها " امي ارجوك .. سامحيني .." لكن امها امعنت في اذلالها قائلة " لقد اورثتك

جمالي وعلمتك ما لم تعلم به ام ابنتها من قبل ثم زوجتك من رجل تحسدك عليه النساء وارشدتك لنقاط ضعفه حتى تستطيعين الامساك به والسيطرة عليه .. فالرجال على اختلاف طباعهم يصبحون امام رغباتهم كطفل يسيل لعابه امام قطعة حلوى .."

اغمضت سهام عينيها لتمنع صور استسلامها الكئيب لاحمد من اقتحام مخيلتها ثم تمتمت " لقد فعلت كل ما طلبته مني .. حاولت ان .." نهرتها امها " اصمتي يا غبية .. انت لم تحاولي كفاية .. فأمرأة جميلة مثلك كانت ستقدر على جذب رجلها متى ما ارادت ولكنك اثرت اشمئزازه بدلا من ذلك !!" بررت سهام وهي تجازف برفع عينيها لوجه امها الغاضب " ماذا بيدي ؟! منذ ان سمع مكالمتنا سوية وهو انسحب تماما .."

زمّت امها فمها قبل ان تقول بقساوة " وماذا لو فعل ابتها البلهاء ... كل امرأة تستطيع انتزاع المغفرة من زوجها اذا ارادت ... " عبست بشدة وهي تكمل " هل حاولت جذبه ؟ اغراءه ؟ كم مرة قلت لك عليك بذل جهود اكبر .. " حاولت ان تفتح سهام فمها لترد لكنها لم تستطع ! لم تستطع ان تقول انها شعرت بسلام داخلي اخيرا عندما ابتعد عنها زوجها معفيا اياها من معاشرته !!

قالت الام بحزم " الان اسمعيني قبل ان يعود من بيت اخته .. اولا يجب ان نشتري لك بعض الملابس .. فأحمد ببساطة يحتاج لامرأة في سريره وعلينا

كسب الوقت قبل ان يتم هذا الزواج .. ثانيا يجب ان تتصرفي برقة معه فهو عاطفي ويحب التدليل ... " عضت سهام على شفتها السفلى حتى ادمتها بينما قالت الام وبصريح الكلام " عليك اغراؤه بكل وسيلة ممكنة .." همست سهام بكآبة " أنا ..لا .. اشعر .." صرخت بها امها قائلة " لايهمني شعورك ! ستنفذين ما اقوله لك .." صمتت قليلا وهي تنهت من شدة غضبها ثم اضافت بصرامة " الحياة تضطرنا لنفعل الكثير حتى نحصل على ما نريد ... انا فعلتها قبلك وانت ستفعلين بالمثل "

ارتعش جسد سهام تحت انظار امها لكن الام لم تترفق بها فاكملت ببساطة " هذه هي خطتنا الاولى ولكن اذا تم الزواج سنلجأ عندها لاسلوب آخر ... فهمتِ؟؟" هزّت سهام رأسها بنعم بينما

قالت لها امها ببرود " اذهبي لابنك فقد اثار الفوضى وهو يأكل بمفرده على طاولة الطعام ..."

بابتعاد خطوات امها عنها رفعت رأسها تدريجيا .... نظرها لم يلتقط ولدها وهو يثير فوضى حقيقية بينما يناضل ليأكل بمفرده فعقلها تشتت .. ما بين مستقبل مجهول المعالم وحاضر مقلق وماضٍ ..مؤلم ومربك لكينونتها!!

عادت تلك الذكريات المقيتة لتضحك من ضعفها وهي تثير سواد روحها المتمكن منها .. طفلة لا تتعدى السادسة تلعب مع اخيها الاكبر لعبة الاختباء .. لسوء حظها تختار خزانة والدتها لتختبئ فيها .. لم تكن تعرف ان لعبة الاختباء هذه ستجعلها تكتشف مبكرا واقعا مقرفا ويثير الغثيان

.. جعلها تكتشف بشاعة الحياة التي تنتظرها ... فما هي الا انثى كأي انثى اخرى .. وسيلة للترفيه عن الرجل ..! اغمضت سهام عينيها في شعور مختلط للصور التي انطبعت في رأسها منذ ذلك السن الصغير ... صور اجادت عيناها التقاط ادق تفاصيلها عبر باب الخزانة الموارب ... فبدلا من ان يظهر اخاها ليجد مخبأها تناهت لمسامعها صوت والدها وهو ينعت امها بالفاظ لم تفهمها بوقتها ولكن فيما بعد وبمرور السنين ادركت انها الفاظ لاتقال الا لفتيات البغاء ! ربما لم تكتشف بوقتها مدى سوء وضحالة تلك المسميات التي اطلقها على امها لانه كان يرددها بصوت غريب .. قبيح في بحته .. مقرف في نبرته .. حتى وهي طفلة استشعرت نوعا من الخطأ ! لكن ... هذا لايساوي شيئا امام مشاعرها وقد لاحت لها صورة والديها قرب سريرهما .. لا لم تكن صورة بل صور ! لقد كانت هناك تنظر اليهما عبر باب الخزانة الذي لم تغلقه جيدا تنظر لافعال والدها المقرفة مع والدتها .. في البداية كانت تتصور انه يؤذيها لكن صمت امها الخانع جعل علامات الاستفهام الطفولي تتراكم في رأسها الصغير مع شعور بألم مبرح يصارع جوفها دون ان تدرك كنهه !

في لحظة ارتجفت عندما ابتعد والدها عن امها المستسلمة ليتركها دون ان يقول شيئا ودون حتى ان ينظر نحوها !

عينا الطفلة التي لم تعد طفلة منذ تلك الحادثة كانتا تحطان على وجه امها البائس .. لا .. لم يكن بائسا .. بل كان مشمئزا كارها نافرا ...

وجه امها هذا فرض نفسه على ذكريات سنين حياتها .. لم يفارقها وهي تفسر كل حركة وهمسة وكلمة بين والديها ... اصبحت اكثر تيقظا وهي تلتقط تلك الاشارات عندما ينظر والدها لامها بعينيه الحادتين ويحرك رأسه وكأنه يقول (هيا بنا) ليختفيا بعيدا في غرفتهما بينما لا يعلمان ان ابنتهما الصغيرة تركض لتتقيأ في الحمام ! كان هذا في البداية فقط .. بعدها اعتادت الامر فاصبحت اكثر سيطرة على تقلبات الاشمئزاز في جسدها الصغير .. هذا الاشمئزاز تعايشت معه يائسة من اقتلاعه من اعماقها ... اعتادت عليه واعتاد عليها

... ولم تكد تبلغ الرابعة عشرة حتى توفي والدها في حادث سيارة .. لم ترَ امها سعيدة هكذا من قبل !! ملامح وجهها استكانت لتعابير الراحة والنصر ! اجل فقد انتصرت بعد سنوات من استبداد زوجها الذي لايجيد الكلمات في العلن بينما يدخر كلماته الفاسقة عندما يختلي بزوجته ! ذلك الزوج والوالد الغامض المرعب .. لاتتذكر سهام انه احتضنها يوما او حتى وجه اليها جملة واحدة كاملة .. لم يكن يخصها بشيء واقتصرت علاقته بها على بضع كلمات يقولها بتمتمة غير مفهومة ... كان يغيب لايام ويعود ليبقى معهم لايام ايضا ... عمله في التجارة استدعى ذلك او .. هذا ما كان يقوله !! ولم يطل الامر كثيرا بعد وفاته عندما واجهتها امها ببعض الحقائق .. واولاها كانت علاقات والدها

النسائية ! وماذا يهم ما دام لم يتزوجهن !! كانت شديدة القسوة معها وهي تعطيها الدروس للمستقبل .. فهي صبرت وتغاضت لانها تحصل على الكثير من المال في المقابل وها هو قد مات وهي ورثته !

لم تعلم امها بأن ابنتها كانت شاهدا على كل الثمن الذي كانت تدفعه ... ! وقد شاركتها ابنتها فيه ... سنين من استبداد الام واستسلام الابنة ... والسواد ينتشر بينهما في رابط يزداد قوة ومتانة ... لاتعلم حقيقة هل هي تحب امها ام تكرهها ؟!! كل ما تعرفه انها تنقاد اليها باستسلام غريب بينما في داخلها نوع من المشاعر المتطرفة التي تستعذب هذا الاستسلام !!!!!

" ماما ..." صوت ايمن جذبها لتنظر اليه ببعض الدهشة وتتساءل للمرة الالف " لماذا لاتستطيع ان تشعر بارتباطها به كأم ؟! لماذا يداهما شعور غريب بالنفور احيانا كلما سمعت كلمة ماما منه ؟!! نفور وغضب ! اجل .. غضب .. غضب يتفاقم ليتجسد في صورة احمد .. احمد الذي تتغير ملامحه في احلامها لتكتسي بملامح والدها ...

" ماما .." هذه المرة استجابت لرغبة في الانتقام وهي تتحرك نحو ابنها لتنظر اليه بغضب متأصل في اعماقها وصرخت فيه " ايها الطفل الغبي ... انظر ماذا فعلت بطعامك ؟! " وبلهاث من يستمتع بأمر سحبت يده الصغيرة واخذت تضربه على ظاهرها بعنف غير مبرر ولم يرق قلبها لشهقات بكائه !

مرر احمد يده في شعره باضطراب وهو يقول " لم يكن ينقصني الا وصول ام سهام فجر اليوم ! لم اطق المكوث فخرجت قبل حتى ان يستيقظ ايمن.. نظرت اليه نجاة باشفاق ثم قالت " ألم تستطع مكالمة مرام ؟" تنهد من اعماقه وهو يقول " هاتفها مغلق طوال الوقت ... سأجن ! "

صوت كريم تسلّل لجلسة زوجته واخيها في المطبخ وهو يقول بهدوء من عند الباب " هل ستجن قلقا عليها ام قلقا من تراجعها ؟" تدخلت نجاة قائلة بعتب " كريم ارجوك توقف ! ليس هذا الوقت المناسب " لكن كريم لم يلتفت لزوجته ووجه كلامه لاحمد قائلا " ومتى الوقت المناسب برأيك يا احمد ؟؟ " هتف احمد قائلا بقلة صبر " يا الهي ... الا يمكنك ان تشعر بي ولو قليلا ؟!"

رد كريم بنفس الهدوء وهو يقترب بضع خطوات " انا اشعر بك كثيرا .. ولذلك اسألك .."

انفجر احمد ليقول باحباط وخيبة امل " هل تظنني حيوانا لافكر بنفسي فقط ؟!! هل انا حقير هكذا ولايهمني سوى زواجي منها لارضي نفسي ؟؟ اليس هذا ما تقصده من سؤالك ؟؟ "

قال كريم بحزم " لو كنت حقيرا لكان لي تصرف اخر معك وانت تعرف .. "

استقام احمد واقفا على قدميه لتتبعه نجاة وقد استبد بها القلق ثم قال لزوج اخته باستهجان " اذن ماذا الان ؟! لماذا تشكك دوما بنواياي نحو

مرام ؟ لماذا تجعلني ابدو انانيا ولاافكر فيها ؟؟ " رد كريم وقد لاح عليه بعض الغضب الذي يوشك ان ينفلت " اجبني انت .. لقد ربيتك منذ كنت صغيرا واعرفك كما اعرف حسين ومنى فلماذا اشعر ان هناك خطأ ما ؟! "

صمت احمد للحظات وهو يتطلع لعيني زوج اخته ثم قال وهو يسبل اهدابه " انت تشعر بهذا لانك تراني متسرع في ارتباطي بها .." كتّف كريم ذراعيه امام صدره ليقول " نعم اراك هكذا .. وهذا جزء من قلقي ... يفترض ان تتأنى وتحل مشاكلك مع سهام اولا .. خصوصا مع حضور امها الان "

لوّح احمد بيده وهو يقول " لقد تحدثنا بهذا من قبل .." رد كريم بينما يكبت غضبه الذي لم تغفل عنه زوجته " اجل وانا لم اقتنع تماما بوجهة نظرك .. ومجيء امها الان يقلقني اكثر .."

قال احمد وهو يضع يديه في جيبي بنطاله " لن تفعلا الا الاعيب نسائية اعرفها جيدا .."

رفع كريم احدى حاجبيه وهو يقول ببطئ " وهل تعرفها مرام ايضا ؟ وماذا عن امها واختها وكل عائلتها وهم يواجهون هذه (الالاعيب النسائية) "؟

سبقت نجاة بالكلام وهي تقول " كريم .. ارجوك .. المشاكل واردة دوما ومرام مؤكد تدرك ان عليها تحمل القادم مع احمد .." التفت كريم نحو

زوجته ثم قال " هل حقا تدرك ؟! ارى اخاك يقحمها دون رحمة في حياته.. دون ان يعطيها اي فرصة لتدرك ابعاد حياتها الزوجية معه بعيدا عن سحر العاطفة ... "

اوشك ان يرد احمد عندما جاءت منى لتقول بصوت كئيب " امي .. تكلمت مع حسين قبل قليل .. سيعودان بعد ثلاثة ايام .."

تقدمت نجاة من ابنتها وهي تقول بحاجبين معقودين " متى اتصل ؟ لم اسمع صوت الهاتف يرن ..! ثم لماذا لم تناديني لاكلمه بنفسي ..؟؟"

قالت منى بملل " انا كلمته من هاتفي النقال .." استدارات منى لتغادر فعاجلها احمد مناديا " منى ؟ .." رفعت يدها لتوقفه وهي تقول بتعب " ارجوك خالي .. لاتقحمني في موضوعك مع مرام ..."

لكن احمد قال ببعض الاستغراب " تستطيعين فقط الاتصال بها على هاتف البيت للاطمئنان عليها .. لماذا ترفضين امرا بسيطا كهذا ؟!! انها صديقتك !"

بسطت منى ذراعيها وهي تقول بنوع من الحنق " لاني اخجل من امها .. اخجل ان تعتبرني السبب لما يحصل لابنتها ..." هتفت نجاة بحنق " منى !"

فهزّت منى راسها باحباط لتقول بتخاذل " ارجوكم اتركوني لحالي .."

وغادرتهم مبتعدة لتتسلق درجات السلم قاصدة غرفتها حيث تقضي اغلب اوقاتها

تنهد كريم وهو يسأل احمد " كيف هو مصطفى ؟!" قال احمد " مكتئب مثلها .. لايتكلم ابدا خلال العمل .. زميلته في المكتب ابدت قلقها عليه ايضا لانه لاينطق ولا حتى بكلمة .." لم يتنبه احدهم لصوت الخطوات التي توقفت على احدى الدرجات بينما تهمس منى " زميلته ؟؟ " ...

(تلاقت نظراتهما بشكل عفوي عبر المرآة .. ابتسم لها لكنها لم ترد ابتسامته فقط اشاحت بنظراتها اللامبالية الى احدى الكريمات المتراصة امامها بينما تراقبه بالخفاء .. مدت يدها لتلتقط احدى الزجاجات لتفتحها ثم وضعت قليلا من السائل الابيض على راحة يدها بحرفية بعدها انهمكت تماما في تدليك ساعديها الاسمرين الجذابين ... كان احمد يراقب حركاتها باعجاب رجولي بحت فسهام تعلم جيدا انها جذابة جدا ومغرية للغاية .. سمعت تنهده الناعم فتذكرت كيف فاجأته بعناقها الحار له امام جارتهم السيدة زينب فعندما عاد من عمله وجدها تجلس معها ولم تتوانى سهام عن طبع تلك القبلة العاطفية على خده مما جعل رغبته كرجل تتحرك نحوها بعد طول جفاء ... وها هي ترى نتيجة مسرحيتها امام جارتها الفضولية وقد شجعت زوجها ليرسم هذه الابتسامة على وجهه وهو يتقدم نحوها .. لم ترفع نظراتها اليه بوضوح لكنها لاحظت كيف ضيق

عينيه قليلا بتوجس مؤكد يتساءل لماذا تتجاهله ؟!!

وقف خلف ظهرها مباشرة يتطلع لوجهها عبر المرآة ... قاومت شعورها المألوف بالنفور وهو يرفع كفيه لتلامسا بنعومة كتفيها النحيلين ولكنها لم تظهر اي ردة فعل مما يعتمل في داخلها .. مرر يديه على كتفيها فوق قماش روبها الحريري القاتم وهو يقول برقة " اشتقت اليكِ .."... قابلته بالصمت .. صمت وتره فناداها بتشنج وقد اصبحت حركاتها وهي تدلك ذراعيها بالكريم تستفزه .." سهام ... ما بك ؟!"

عندها فقط ردت ببرود " لاشيء .. فقط متعبة .." ثم رفعت اليه عينيها النرجسيتين الباردتين كالصقيع وقالت بلهجة تعكس نظراتها " الا تفكر اني اهلك طوال النهار مع طفل صغير كثير الحركة ؟! "

ابعد يديه عنها وهو يعقد حاجبيه بقوة ويقول بحدة " اولا ايمن ولد هادئ ولايثير المتاعب كما تدعين وثانيا انا ايضا اتعب طوال النهار فأنا لااذهب للعملي كي استجم او ألهو ... ومع ذلك عندما اعود احاول مساعدتك في امور البيت وفي الاعتناء بأيمن .. "

تأففت وهي تقف على قدميها وتبتعد عنه وتقول " انت لاتساعد ابدا .. انت فقط تريد حاجتك كرجل مني ... كما الان بالضبط ... لاتتوقف عن طلب ذلك !! "

راقبت باستمتاع خفي كيف تقبضّت يدا احمد بغضب مألوف وزم شفتيه كأنه يلجم كلماته.. تجرأت لتقول بصوت ساخر " انت تشبه ايمن لحوح ومزعج !!رغم احتياجاتكما المختلفة .." طفح الكيل ... ادركت ذلك واحمد يهدر بغضب مشتعل " انك بلا حياء .. بل انك مختلة !! ... لقد بذلت كل جهدي معك لكني لم اعد استطيع ... لم اعد احتمل المزيد من الترهات ..."

ثم تحرك نحو السرير المزدوج الكبير ليأخذ وسادته واحد الاغطية ويتحرك نحو باب الغرفة ....) "هذا يتكرر الان !!!" هذا ما قالته سهام في نفسها وهي تستعيد ذكرى احدى مواقفها مع احمد بينما تنظر اليه الان وقد دخل ما يفترض انها غرفتهما دون ان يقرع الباب ودون ان ينظر نحوها !... فقط توجه ناحية احدى الخزانات ليخرج وسادة واغطية ثم استدار عائدا نحو الباب ليخرج لكنها استعادت تركيزها لتناديه بسرعة قائلة " احمد لحظة ..."

توقف احمد ثم استدار نحوها بهدوء .. كان تعول على تأثير قميص نومها المغري ليثيره كما خططت امها لكن الصقيع فقط ما سكن عيني زوجها وهو يتطلع لوجهها بهدوء قائلا " ماذا تريدين ؟! "

ابتلعت ريقها ثم تصنعت كارهة ابتسامة مغرية لتقترب منه اكثر وهي تقول " لماذا لاتنام هنا الليلة ؟؟ امي ستنام بجانب ايمن .. فقد اشتاقت له .. فأين ستنام انت ؟؟"

ابتسم احمد ابتسامة كرهتها ثم قال " ما اجمل هذه اللعبة الجديدة... امك تشتاق لحفيدها وتطلب ان تنام بجواره والزوج يعود لاحضان زوجته التي ترتدي له ملابس كفتيات الشارع !!"

اهتز فكها بينما تسحق اسنانها مع بعض .. قال احمد وهو يستدير مرة اخرى مبتعدا عنها " امك تنام في الغرفة الشاغرة ... لم تكن تعلم ايهما غرفة ايمن وانا تكفلت بتجهيز الغرفة المناسبة لها .."

وهكذا تركها ما بين شعور بالراحة لخلاصها وما بين شعور خانق بقرب العقاب !!

قالت بشرى وهي تحاول السيطرة على شعور القلق الذي يستبد بها " ألم تأكل ايضا ؟!" هزّت رهف رأسها ب(لا) والدموع تلتمع في عينيها ثم قالت بألم متوسلة " امي .. دعيها تتزوج بمن تحب .. اتوسل اليك انها تتألم بشدة ..." ابتلعت الام ريقها لكنها قالت ببعض الحدة " رهف لاتتدخلي .. انت ما زلت صغيرة .."

لكن رهف وضعت صينية الطعام التي لم تمس على اقرب طاولة ثم اقتربت من امها قائلة بدموع منسابة " ارجوك امي .. انها تبكي طوال الليل .. ستموت اذا استمرت هكذا .. انها لم تضع لقمة واحدة في جوفها منذ الامس .."

ادارت الام وجهها جانبا وهي تشعر بالعجز البالغ !! لم تفلح كل محاولاتها لاقناع مرام بالعدول عن

رغبتها في الزواج من احمد ... بينما تشاهد ابنتها تذوي امامها كل يوم وتفقد رغبتها في كل شيء ..

همست رهف بصوت يخنقه البكاء " امي اتوسل اليك .. انها تحبه جدا .." قالت بشرى باشفاق " يا ابنتي الصغيرة ... الحب ليس كل شيء .. " تقدمت رهف من امها لتقول " لكن امي .." صوت ارتطام قوي جاء من الطابق العلوي جعل كلتيهما تجفلان بينما همست رهف برعب متجمد " ما هذا الصوت ؟!"

لم تنتظر الام لتركض مسرعة تتسلق درجات السلم ... وما هي الا دقائق حتى كانت تصرخ باكية عبر الهاتف " فراس !! انجدني ... وجدت مرام مغمى عليها في الحمام والدم يسيل منها ..."

الفصل الرابع عشر

بتلومني ليه .. اغنية لعبد الحليم

صوته يناديها بحنان يشوبه القلق " حبيبتي ... اسف .. اسف لانك تمرين بكل هذا .. انا السبب .. انا ..اتوسل اليك ...استيقظي .. كلميني بالله عليك لاصدق كلام قريبك الذي اوشك ان اضربه .. "

هل هذه لمسة ما تشعر بها على خدها ام ان الغيوم البيضاء التي تحاوطها تنسج لعقلها الخيالات ؟؟؟.. همسه يبهجها ويكاد يجعلها تبتسم " هذا الوجه المحبوب اصبح شاحبا .. ماذا افعل لاعيد اليه نضارته ؟! كيف اجعله يحمر مرة اخرى كما يحدث كلما نظرت اليه ... استيقظي يا مرامي واخبريني ... يا الهي ..عندما انظر اليك الان لااملك الا ان اتساءل! هل كنت انانيا فعلا وانا احملك فوق طاقتك لتواجهي معي العالم .. ؟ هل كان يجب ان ابتعد عنك ؟؟ ليته كان بيدي ! لكني لااستطيع تركك ... ليس بيدي يا مرامي ... " انفاسه تداعب بشرتها وهو يقول بحرارة " كل ما اردته واريده ان تكوني لي لاسعدك ...ردي عليّ مرامي .. الست تريدين ان تكوني لي ايضا ؟؟"

لم تعرف هل همسها مسموع ام لا " احمد .." تنهداته وانفاسه الدافئة غمرتها وهو يقول " ألن تكفي عن تعذيبي بمناداتك لي ؟!!... ولكن لا .. لن اعترض على الاقل اعرف اني معك حتى وانت غائبة

عمّا حولك ... بل انت مقاتلة حبيبتي .. فمناداتك لي جعلت امك تطلبني لاجلك .." ....

" احمد ...." ..... همسه اصبح مبحوحا وهو يقول " توقفي مرام .. لاتعرفين كم هي مغرية هاتين الشفتين وهما تنطقان بأسمي .. وانا وعدت امك بالتزام الحدود لتدعني ابقى معك بمفردي .."

" آآآه ...رأ... أسي .." ... صوته تخلل سحابات الألم السوداء التي بدأت تتكاثف لتتمركز حول رأسها " مرام ... حبيبتي ... هل انت بخير ..."

اخذت تحاول فتح عينيها بصعوبة وكلما فعلت تماوجت الرؤيا لتثقل اجفانها ... تأوهت مرة اخرى فجاءها صوته القلق المتلهف بينما شعرت به يمسك بيدها قائلا " اهدأي حبيبتي .. افتحي عينيك ببطئ .. فرا.. اقصد الطبيب قال ستشعرين ببعض الألم .. خذي نفسا عميقا واسترخي .."

فعلت مثلما قال لتفتح عينيها مرة اخرى وهي تقاوم الصداع الذي يهاجمها .. طالعتها صورة وجهه التي اخذت تتضح تدريجيا لتقول بصعوبة " احمد ؟!! ما... ماذا ..حد...ث ؟"

ابتسم بحنان متدفق وهو يرفع يدها لشفتيه يطبع قبلة حارة على ظاهرها وهو يقول " الحمد لله استفقتِ ... لاتقلقي حبيبتي انت بخير الان ... ليلة الامس اغمي عليك في الحمام فارتطم رأسك على ما يبدو بحافة الحوض .. كنت قد نزفتِ قبل ان تحضر سيارة الاسعاف التي طلبتها امك .."

همست ببعض الهلع " يا الهي .. تذكرت ... لقد خارت قواي فجأة .. لكن اين امي ؟" رد برقة وهو يعاود تقبيل يدها " انها تستريح قليلا في غرفة الطبيب .. لقد كانت ليلة منهكة لها .."

كانت تقاوم ألم راسها بينما امواج الفرح تغمرها لرؤيته مع ذلك لم تملك الا ان تقول بارتباك " هل رأتك امي ؟" هزّ رأسه بابتسامة ناعمة سعيدة " نعم ..بل هي من اتصلت بي .."

اتسعت عينا مرام قليلا فاضاف غامزا " قالت انك لم تتوقفي عن مناداتي .."

عضت شفتها السفلى بينما وجهها يحمر فضحك وهو يقول " لاتزال مرامي كما هي ... يالِ هذين الخدين الفاتنين .."

قالت برقة وهي تتطلع لوجهه " اشتقت اليك .." تنهد وهو يقول بعينين لامعتين " وانا كنت كالمعتوه احوم حول بيتك عسى ان المح طيفك فقط .." عادت لتتأوه من الألم وقد بدا يشتد عليها فسارع ليقول وهو يترك يدها " حبيبتي انا سانادي الممرضة من جهاز الاستدعاء لتعطيكِ مسكنا وربما ستنادي الطبيب اما انا ساذهب لاجد والدتك ... "

....

في رواق المستشفى وتحديدا امام باب الغرفة التي خصصت لمرام كانت تجلس بشرى على احد الكراسي ورهف تجلس بجانبها بينما على بعد

خطوات كان احمد يقف قرب احدى النوافذ يتطلع بشرود ...

كانوا بانتظار خروج فراس ليطمأنهم بشكل نهائي عن حالة مرام ... تطلعت بشرى نحو هذا الرجل الشاب الذي توشك ان تمنحه الحق بتقرير مستقبل ابنتها ... لم يعد هناك ما يقال اكثر ... لقد استخارت الله ولم يعد بامكانها فعل المزيد !!

استقامت بشرى لتقف على قدميها وهي تشير لرهف ان تظل جالسة .. ثم تحركت نحو احمد الذي بدى عليه ادراك اقترابها منه وهو يلتفت نحوها ببعض التوجس ....

نظرت اليه بشرى بهدوء لتقول ببساطة " انا موافقة على زواجك من مرام ..."

وقبل ان يرد احمد بشيء فتح باب غرفة مرام ليطل منه فراس ... ابتسم بلطف وهو يوجه كلامه لبشرى " انها بخير خالتي ولكن دعيها تبقى للغد حتى ترتاح وتلقى العناية ... "

ترقرقت الدموع في عيني بشرى فاطرقت وهي تتمتم بحشرجة " الحمد لله ... الحمد لله .." ثم رفعت وجهها مرة اخرى نحو فراس لتقول بحنان " شكرا لك بني .. " ابتسم فراس ثم تحرك ليبتعد ودون تردد تطلع نحو احمد ليهز رأسه بتحية ثم اكمل طريقه مبتعدا بعد ان منح رهف ابتسامة واسعة ....

لم تصدق انها وجدته اخيرا يسير وحده فهرولت نحوه دون ابطاء وهي تناديه بانفاس متقطعة " فراس ... فراس ..." التفت نحوه ليبتسم برقة وهو يقول " مرحبا صغيرتي .." احمرت بشدة وتلعثمت وهي لاتعرف ما تبدأ به حديثها فقالت اول ما خطر ببالها " كيف.. كيف هي .. مرام .. هل .. حقا انها بخير ..."

نظر اليها بحنان وهو يقول " مؤكد عزيزتي انها بخير .. لاتقلقي.. ستخرج غدا ان شاء الله فقط تحتاج ان تستعيد قوتها ..." ثم نظر لساعته وهو يقول " اسف صغيرتي يجب ان اذهب لجولتي اليومية .."

نادته بلهفة ما ان استدار " فراا.. اس .. " فعاد والتفت اليها قائلا " نعم عزيزتي..."

كاد قلبها يشق صدرها وهي تقول بصعوبة " هل .. تراني صغيرة .. جدا .." للحظة تطلع اليها ببعض الاستغراب لكنه ابتسم بلطف وهو يعتذر قائلا " انت فتاة رائعة عزيزتي .. اعتذر منك اذا ازعجتك سابقا بتعليقي على سنك .. كنت مشوشا قليلا بوقتها .." ازداد ارتباك رهف وهي تقول باضطراب " هل .. اقصد .. هل .. انت ..." لم تستطع اكمال جملتها بينما تتطلع اليه بعينين واسعتين تمتلآن بعاطفة غير مفهومة !! او ربما فراس يرفض ان يفهمها !!! ارتفع حاجباه قليلا وهو يحاول التعامل مع القلق الذي تسببه تفسيرات يرسلها اليه عقله بينما عيناه تلتقطان كل الاشارات المنبعثة من

هذه الصغيرة ... ليست فقط عيناها ما تنطقان بل كل شيء فيها ... ارتجاف شفتيها .. حمرة خديها ... انفاسها المتسارعة بينما النبض الخافق اعلى رقبتها يكاد يصرخ !!

اجفل عندما رن جهازه الخاص للاستدعاء فقال وهو يسبل اهدابه في هدوء " اسف صغيرتي هذا نداء لحالة مستعجلة .."

وهكذا تركها وابتعد بينما الصغيرة تحاول التماسك وهي تهمس لنفسها بعدم اقتناع حقيقي " قال عني فتاة رائعة .. اجل .. لقد كان مشوشا بوقتها .. الان حتى نظراته نحوي اختلفت ... لم يعد ينظر الي كطفلة !!"

عند العصر ...

في حديقة المستشفى

قال احمد وهو يسند مرام لتتحرك عبر الحديقة "كيف تشعرين الان يا مرامي ؟" ردت بابتسامة اضاءت وجهها " انا بخير ..ولكني اشعر ببعض الدوار " ثم اشارت للرابط الذي يحيط براسها " اكره هذا الرابط يجعلني اشعر اني ابدو مريعة !" نظرت نحوه وهي تسأل باحباط " ابدو مريعة اليس كذلك ؟ مع وجهي الشاحب هذا ابدو على وشك الاغماء مرة اخرى !!" همس احمد " كم اتمنى ان يغمى عليك الان لاجد سببا مقنعا لحملك وضمك لصدري .." ضحكت من قلبها وهو يجلسها على كرسي قريب ويهمس بشغف قرب

اذنها " دامت لي هذه الضحكة .." جلس بجانبها وعيناه تسرحان بعيدا لتعود اليها وهو يقول " امك تراقبنا من شباك غرفتك .." اطرقت براسها وهي تبتسم وتقول " اعلم هذا .. " فرد احمد محبطا " على الاقل تسمح لي بالاقتراب منك هكذا .." نظرت نحوه بعشق وهي تقول براحة " لقد قالت للممرضة انك خطيبي !!.." حرّك حاجبيه صعودا ونزولا قائلا بمرح " ألم تعرفي ؟؟ سنتزوج خلال اقل من شهر .." شهقت بنعومة وهي تقول " هل امي وافقت على هذا حقا ؟ لااصدق !"

قال بشغف وهي يمعن النظر بتفاصيل وجهها " نعم ..صدقي .. بعد شهر ان شاء الله ستكونين زوجتي ..." حلقت السعادة على وجهها للحظات فقط لتعاود غيوم القلق فتلقي بظلالها القاتمة عليها ... عقد احمد حاجبيه وهو يتساءل " ما بك ؟ لقد بدوتِ سعيدة للحظات فقط ثم اكتسى وجهك بهذه التعابير !! " تهربت من عينيه وهي تقول بتلكؤ " ماذا عن .. عن .. زو..." عضت شفتها ولم تستطع ان تنطقها فقال احمد بحزم " لاتفكري بها .. لااريدها ان تخطر في بالك حتى ..." ثم مد يديه لتحاوطان يديها وهو يقول بعاطفة " انا كلي لك انت وحدك .. " ارتبكت وهي تحاول سحب يديها منه وهي تقول همسا " اترك يدي احمد .. امي قد تراك ... " تنهد وهو يسحب يديه بعيدا ثم قال بصفاء بال " حسنا يا مرامي... لن يطول الوقت لاخذ حقي فيك !.." ....

طرق فراس الباب ليسمع صوت خالته بشرى تقول " تفضل .." دخل ليجدها بمفردها تقف عند

النافذة .. ابتسم وهو يقول " مساء الخير .." قالت بهدوء حزين " مساء الخير بني .." تقدم نحوها وهي يقول " هل مرام تتمشى بالحديقة ؟" ادارت رأسها مرة اخرى نحو النافذة لتقول بهدوء " نعم .. انها معه .." وقف بجانبها يتطلع هو الآخر لمرام وهي تضحك بحبور بينما احمد يحدق فيها بسعادة .. قال فراس بهدوء وهو يكتف ذراعيه امام صدره " هل حقا ستزوجينها له ؟" ردت بشرى " نعم ... لقد كدت أفقدها لاني تمسكت برأيي ورفضته .. ماذا لو حصل لها شيء ؟!! كنت سأموت بعدها ..." نظر اليها باشفاق حقيقي وهو يقول " خالتي من حقك ان تتخوفي من وضعه .. من حقك ان تحمي ابنتك .. لو كانت اختي لما وافقت ايضا فلاتلومي نفسك .." همست بشرى بتحشرج " بل الومها ... كان يجب ان احميها من البداية ... ان اكون اكثر حرصا في مراقبتها .. فربما ما كانت ستعشق رجل متزوج .." اطرق فراس وهو عاجز عن دعمها ومواساتها فقالت له بحنان " اسفة بني .. اعذر هذري بالكلام ! يجب ان اراعي مشاعرك اكثر .."

رفع رأسه نحوها ليبتسم قائلا " لاتقلقي عليّ ... انا حقا بخير .. المهم هو مرام ... كنت اود لو استطعت ان .. اقصد .." تنهدت وهي تقاطعه قائلة " لاداعي فراس .. انا اعرف انك تود الوقوف بجانبها ولكن موقفك محرج .."

حوّل نظراته لينظر عبر النافذة مرة اخرى ثم تساءل " هل ستكون سعيدة معه ؟؟" شاركته

بشرى النظر لابنتها وهي تقول بأمل " اتمنى هذا من كل قلبي .."

كالعادة تجلس هناك في الركن المنعزل من صالة الفندق تراقب غروب الشمس عبر النافذة الكبيرة المطلة على البحر ...وهو.. يراقبها هي !! يراقب غروب الشمس عندما ينعكس على شعرها ليتوهج بحمرته ... كيف تلتمع على خدها تلك الدمعة الوحيدة كوحدة صاحبتها ... يراقب فتنتها الحزينة ونظراتها الشاكية وهي تتطلع للسماء ... كل هذا يراقبه من طرف خفي .. يعاند رغبته الملحة للاقتراب منها مكتفيا بهذه المراقبة المتباعدة فساعة يصبح مفتونا بها ككل نادل يحوم حولها يتمنى لو تطلب شيئا منه .. واحيانا يستيقظ غضبه النائم ليغلبه فيمعن في التباعد عنها عندما يلتقيان آخر الليل في جناحهما ...

البارحة كانت تبكي في نومها وهي تنادي والدها .. لم يتجرأ على الاقتراب منها وهو يقف عند باب غرفة النوم هاجرا سريره المفترض على الاريكة .. من يراها كيف كانت تبكي كطفلة ضعيفة لايصدق انها نفسها من تواجهه ببرود خلال النهار ... تعامله بكبرياء وانفة بينما ترد على اسئلته المقتضبة باقتضاب اكبر !!

تنبه لشاب يقترب منها وقد لاح في نظراته الاعجاب ... قاوم حسين غيرته التي تفاقمت وبدلا من ذلك تقدم نحوها يسابق خطوات الشاب قبل

ان يصل اليها ، وحصل ما توقعه فما ان رآى الشاب حسين وهو يلقي التحية عليها متصنعا الابتسام حتى غير اتجاه سيره متجنبا النظر نحوهما ...

رفعت سوسن راسها نحو حسين لتقول بصوت مبحوح ردا على تحيته " مساء الخير .." فقال ببروده الذي عودها عليه " سنعود بعد غد .. لقد اتصلت بمنى واخبرتها .."

انه يجيد ارتداء الاقنعة ! اجل .. والا كيف استطاع المحافظة على بروده السخيف هذا بينما هي تحدجه بنظرات تفتت الصخر ! وخلف قناع البرود كان قلبه يتفتت بينما كبرياؤه تزجره كالعادة فيرتدع القلب ويلملم فتاته المبعثر فينزوي بعيدا ومنكسرا ......

ترجل من سيارته وهو يستشعر اكثر هذا الاحساس الذي كان يراوده سابقا دون ان يطيل الاستغراق به ... الشعور بأنه مراقب !! خيال يتحرك ينبؤه به حدسه دون ان يجرؤ على رفع عينيه ليستكشفه !!

استقبلته بشرى بالترحاب وهي تتقدم نحوه " مرحبا بنيَ ... تفضل ادخل .." رد فراس ببعض الحرج " لااعتقد خالتي انه من المناسب دخولي .. "

عبست بشرى بشدة وهي تقول " اعلم ان الوضع حساس مع مرام واحمد ولكن هذا بيتك ولن

اسمح لك بأن تبتعد عنّا .. يجب ان يعتاد الجميع على الوضع الجديد .."

هزّ رأسه مبتسما ثم مستسلما لخطواته التي تتبع خطوات الخالة بشرى وهو يلحق بها ليدخل البيت .. حدسه عاد يؤرقه بذلك الخيال المتواري خلف الستائر .. رغما عنه سأل " اين رهف ..؟؟" ردت بشرى وهي تفتح باب البيت " انها في غرفتها ..لاتمل النظر من الشباك !! هذه الفتاة بدأت تثير جنوني ..."

احساسه بالقلق تضاعف ... وكل حدسه اخذ يتجلى بواقع ملموس .. لايمكن ان يخطئ فهم نظرات وتصرفات واضحة من تلك الصغيرة ... يا الهي !! ما هذه الكارثة ؟!! كيف حصل وتوجهت مشاعرها الفتية نحوه .. ؟؟ انها لاتعدو كونها طفلة .. على الاقل في نظره هو .. انه حتى لايستطيع النظر اليها كمراهقة .. انها الطفلة الجميلة المبتسمة دوما والكثيرة الحركة والمشاغبة ... هكذا يراها ... هل يا ترى افتقادها للاب جعلها تتوجه بمشاعرها نحوه ؟؟

اجفل على صوت الخالة بشرى وهي تسأله بارتياب " ما بك فراس ؟!! تبدو كمن يحمل اخبارا سيئة ! "

كان على وشك ايجاد الرد عندما شحب وجه بشرى وهي تقول بوجه ممتقع " هل هناك شيء سيء في حالة مرام ؟؟ هل الضربة على رأسها فيها مضاعفات من اي نوع ؟؟" رد فراس بسرعة وهو

يهدأها " خالتي اطمئني ... مرام بألف خير .. الموضوع لا علاقة له بمرام ... لكن لاترتعبي ارجوك ... انا كنت فقط مستغرقا بالتفكير ... التفكير بمستقبلي المهني لااكثر .."

تنفست بشرى الصعداء وهي تدعوه للجلوس على احدى الارائك وهي تقول بحنان " اسفة بنيّ .. ما زال منظر مرام وهي ملقاة على ارضية الحمام غارقة بالدماء يثقل كاهلي ويحل ضيفا مرعبا على احلامي ليحولها الى كوابيس !!"

ابتسم فراس بلطف ليقول " حسنا .. كيف حال مرام ؟" ردت متنهدة وقد لاحت ابتسامة مترددة على وجهها " انها سعيدة ! بل غارقة في السعادة .." ذابت نظراته حنانا وهو يقول " انا سعيد من اجلها .."

ربتت بشرى على يده وهي تقول بعاطفة امومية " اتمنى ان اراك سعيدا مثلها قريبا جدا ان شاء الله .." اطرق فراس برأسه وهو يقول " حاليا لاافكر الا في مستقبلي المهني .. هناك فرصة جيدة لي لاكمل دراساتي العليا .."

قالت بشرى بفرح " اذن هذا ما يشغل بالك ؟!! لماذا التردد بنيّ .. توكل على الله واكمل .. " ثم غمزت قائلة بمرح " وربما ستحظى بزميلة جميلة تأسرك .." ضحك فراس بخفة ثم قال وهو ينظر للخالة بشرى مطمئنا " لاتقلقي علي خالتي ولا

داعي لشعورك بالذنب نحوي ... ساجد نصفي الآخر عندما يحين الوقت الذي قدره الله لي ..."

ابتسمت بشرى ولم تستطع قول شيء غير الدعاء له بالموفقية .. ثم قالت متسائلة " لكن لم تقل لي لماذا يقلقك موضوع دراستك ؟؟ هل هناك عراقيل لاسمح الله ؟؟" رد فراس " العراقيل الوحيدة هي امي !! " تنهد وهو يكمل موضحا " الفرصة خارج البلد خالتي وقد تستغرق بضع سنين !!"

صوت تكسر زجاج جعل الاثنين يهبان ليركضا نحو مصدره ....

لن ينسى فراس ابدا وجهها الطفولي المتألم وعيناها الغارقتان بالدموع تنظران اليه هو تحديدا وقد فاضت بالحزن وعدم التصديق ... همس في سره عاجزا " هذه الطفلة المسكينة ! "

كان يراقبها بعجز متزايد كيف تتطلع اليه دون ان تحاول الرد على امها المتسائلة لتنهي المأساة راكضة نحو السلم تجر اذيال الخيبة !!

تمتمت بشرى وهي تجمع بحذر قطع الزجاج المتناثر " لااعرف ما بها ؟!! منذ ايام وهي تبدو مرتبكة قليلة التركيز !"

قال فراس وهو يمرر يده في شعره " انها .. مراهقة خالتي ... ربما ما حصل مع مرام شوش ذهنها .." تنهدت بشرى وهي ترفع الصينية بعد ان جمعت فيها ما تستطيع من قطع الاقداح المتكسرة ثم قالت " لاالومها ! انا نفسي مشوشة ..."

رن هاتف فراس فاخرجه من جيبه ليجد ان المكالمة من والده .. اعتذر من الخالة بشرى ليفتح الخط قائلا " مرحبا ابي ..." ....

قالت بشرى بتأثر " ألن نراك مرة اخرى قبل سفرك ؟" رد فراس بمواربة " كنت اتمنى ان افعل هذا ولكن لااعتقد .. لدي الكثير لافعله قبل السفر ويجب ان استغل موافقة امي اخيرا قبل ان تغير رأيها ... والدي ايضا نصحني بالاستعجال .."

ردت بشرى ببعض الحزن " سافتقدك بني .. اتمنى ان تراسنا لنطمئن عليك .. كنت اتمنى ان تحضر عرس مرام ايضا .."

قال فراس بلطف " حتى لو كنت بقيت لوقت العرس فليس من المناسب حضوري .."

لم تقل بشرى شيء فاضاف فراس حتى لايحرجها اكثر " حسنا خالتي سارحل الان ... اراك بخير وكنت اتمنى لو استطعت رؤية مرام لابارك لها واسلم عليها .."

ردت بشرى " انها عند الخياطة لتجرب ثوب الزفاف ... ساذهب اليها بعد قليل ... لم استطع تركها تقود السيارة .. خفت عليها فقد تصاب بدوار او ما شابه ..." ابتسم فراس وهو يقول " حسنا خالتي خيرا فعلت ... هي ما زالت ضعيفة ...لكن لماذا لم ترافقها رهف ؟!" ردت بتذمر " هذه الفتاة تثير جنوني ...!! في البداية كانت

متحمسة للذهاب معها ولكن ما ان قلت لمرام اني ساعود للبيت لاني اتوقع زيارتك حتى انقلبت 180 درجة واصرت انها لاتريد ان تقضي وقتها في محل خياطة ممل ! " تنهدت وهي تقول " ساناديها لتسلم عليك .. فهي تحبك كثيرا كأخ اكبر لها ..."

اوشك فراس على الاختناق حقا فقال على عجالى " لاداعي خالتي يبدو ان رهف تمر بفترة مزعجة من المراهقة وربما ما زالت منزعجة لانها اوقعت اقداح العصير امامي فلا تزيدي احراجها ارجوك ....
بلغيها سلامي فقط "

ودون ان يترك مجالا للرفض سارع للمغادرة بينما رافقته بشرى ببعض الدهشة !!

عندما استقل سيارته بعد وداعه الحار للخالة شغل المحرك دون ان يلتفت لأي اتجاه فقد كان يشعر بها .. تقف هناك في شباك غرفتها ...

همس وهو ينطلق بسيارته " الى اللقاء فتاة الشباك .. اتمنى ان القاك وقد تجاوزتِ مشاعرك الطفولية نحوي ..."

قالت له بحقد اعمى وكره متفاقم " لاحق لك بأخذ ابني مني لاسبوعين ! ما معنى ان تذهب انت في شهر عسلك المقيت وابني يقضي الوقت في بيت اختك المصون .." رد احمد ببرود " لو كنت اماً امينة على ابنها لكنت ابقيته معك .. لكن بعد ان وصل بك الحال لتضربيه على يده بتلك القسوة

حتى علّمت اثارك عليه لثلاثة ايام فهنا وصلنا لمرحلة اخرى .." تشوهت سحنتها اكثر وهي تقول باستهانة " ماذا ان ضربته ! انه ابني واؤدبه ... بدلا من ان يكون متميعا مدللا ! " كزّ على اسنانه قبل ان يقول " اقسم بالله يا سهام لولا اني ما زلت احتفظ باحترامي لنفسي لكنت ضربتك مثلما ضربته لتجربي طعم ما اذقته له .." ضحكت ساخرة منه ثم قالت " وكأن صراخك بوقتها لم يكن كافيا ؟!! لقد اوشكت طبلتا اذني ان تتمزقا !" اقترب بوجهه منها وعيناه تنطقان بحيرة حقيقية تفوق حتى غضبه منها ثم قال بحدة " من اية طينة خلقتِ ؟!!! انا لاافهمك ابدا ... انه ولدك يا امرأة !! الا تشعرين بشيء نحوه ؟ اكاد اقسم احيانا انك تكرهينه .." حدجته بنظرات قاسية

وقالت بلهجة منتقمة " ربما اكرهه لاني اكره والده .. والده الذي ما ان حرمته من حقوقه المقرفة حتى اخذ يلهث خلف اي فتاة لتشبع غرائزه ..." هزّ راسه بيأس وهو يبتعد عنها قائلا " انت مريضة سهام ! مريضة ومختلة تماما .. " ردت عليه بعنف " وماذا انت ؟! مجرد رجل لايفكر بالزوجة الا مرتعا يفرغ فيه احتياجاته " عقد حاجبيه وهو يسالها بجدية " هل عاملتك هكذا سهام ؟ هل حقا كنت لاافكر الا بنفسي ؟!! واجهي نفسك سهام وواجهي شذوذ تفكيرك .." اوشكت عيناها ان تخرجان من محجريهما وهي تقول بنفعال متزايد " انا ؟! انا شاذة التفكير ؟!!" رد ببعض الاشفاق " اجل ... فليس طبيعيا ان لاتنظري للعلاقة الزوجية الا من منظارين ...

مصدر مادي تلهثين وراءه ومصدر متعة للرجل تنفرين منه !" صرخت به قائلة " أليست هذه هي الحقيقة ؟!!" قال بهدوء " لا ... ليست هي ... الزواج الفة ومحبة .. ترابط قوي قد يصبح احيانا اقوى حتى من رابطة الدم ..." ضحكت بقوة لتقول بعدها " اضحكتني حقا ... الفة ومحبة ؟!! هل هذا ما كنت تطلبه مني يا احمد ؟!ألفة ؟ محبة ؟!!!" رد ببساطة وهو يدخل يديه في جيبي بنطاله " نعم ... كنت اطلبه .. انت لم تبخلي علي بجانب واحد بل بخلت بكل شيء !! لم تسأليني يوما عن احوالي .. عمّا اشعر به .. لم تشاركيني افكاري رغم اني اهتممت بك وبمشاعرك وحاولت جاهدا ان اشاركك افكارك على سخافتها وتفاهتها ..." زمّت شفتيها قبل ان تقول بحدة " تتهمني بالسخافة وتفاهة الافكار .. وماذا انت ؟!! لست سوى رجل تدعي البحث عن المشاعر السامية بينما في داخلك لاتفكر الا باتجاه واحد .. حالك كحال كل الرجال الذين حتى لايكتفون باستسلام زوجاتهم لهم ليبحثوا عن استسلام جديد في نساء اخريات .." كانت تريد اغضابه لكنها اثارت فيها نوعا من التعاطف وهو يقول لها " اشفق عليك حقا !! هل تظنين هذا كل ما يربط الزوجين ؟!! علاقة حيوانية بحتة !! الرجل الذي ينهش والمرأة التي تستسلم لتقبض الثمن ؟!! " تشنجت عضلات وجهها بينما تقبضت يداها ليضيف احمد " انت غبية سهام ولااعرف بالضبط من زرع فيك هذه الافكار المظلمة التعيسة .. لكني ساقول لك شيئا .. انا رجل طبيعي .. لم اخالف شرع الله ولا الفطرة

السليمة التي فطر البشرية عليها .. كل ما اردته ان اجد شريكة العمر التي اقضي معها حياتي ... الشريكة التي لو قسم الله لي ان اشيخ معها فاريدها شيخوخة كلها رحمة والفة ... ام انك ستقولين ان رجلا عجوزا يبحث عن غرائزه الحيوانية ايضا عندما يهتم بزوجته التي تقاربه عجزاً ! هل رأيت يوما منظرا كهذا ؟! زوجان عجوزان يتوكأ احدهما على الآخر وهما يبتسمان لبعض ؟! لم اكن اريد اكثر من ذلك ..." ردت وهي تدير وجهها جانبا " هذه المحاورات اصبحت تثير قرفي بطريقة لاتحتمل ..." تنهد يائسا لتعود بوجهها البارد اليه وتقول " ما زلت غير موافقة على ذهاب ايمن عند نجاة .." استعاد احمد بروده ايضا وهو يقول بحزم " لاتملكين الخيار ... ايمن حاليا عند اختي حيث اطمئن عليه فأنت انسانة لاتؤتمن حتى على نفسها !" ثم رفع حاجبا واحدا ليقول ببعض السخرية " كما اني اعتقد بأنك اكثر من سعيدة للتخلص من ازعاجه لتتفرغي مع امك التي تتصنت علينا حاليا لتعدا الخطط القادمة بعد ان فشلت خطة اغرائي لاثارة (غرائزي الحيوانية) كما يحلو لك تسميتها .."

ثم التفت ببساطة تاركا اياها تتميز غيظا ....

حفل العرس

تحاشته كثيرا لكنها تعترف ان خطاها تقودها رغما عنها نحوه ... مع ذلك تصنعت انها لم تره قريبا منها حتى القى عليها التحية قائلا " مرحبا ..."

التفتت نحوه بابتسامة مدروسة لتقول " اهلا مصطفى .." عيناه مرتا على وجهها والشوق يتقافز بهما ثم قال بنبرته الغامضة " كيف حالك ؟" هزّت كتفيها وهي تقول بلامبالاة " بخير ..." تقدم خطوة اخرى منها لتسمعه وسط الضجيج وهو يقول " مبارك زواج خالك ومرام .. اتمنى ان يسعدا " ردت منى بغير اقتناع " وانا ايضا اتمنى ان تخيب ظنوني ويحظيا بالسعادة .." التقت عيناهما فاحمرت رغما عنها ليهمس برقة " تبدين .. جميلة .. " سارعت لتقول بارتباك " شكرا .." ابتسامة صغيرة ارتسمت على فمه اغاظتها حقا !! لكنه فاجأها بالقول " هل .. تخططين لتحظي بوظيفة ما ؟" ردت وهي تعدل من فستانها الليلكي " ربما ساعمل في صيدلية ما ... لااعرف .. ما زلت بحاجة لفترة استريح فيها من تعب الدراسة الجامعية ..." ضحك بخفة وهو يقول " ستظلين دوما هكذا ! تعشقين التكاسل والاسترخاء .." التفتت نحو لتسأل بعفوية " كيف تعرف عني هذا ؟!" حرك كتفيه ليقول ببساطة " انا اعرف عنك كل شيء .." ابتلعت ريقها لتقول ما خطر ببالها " هل .. انت سعيد بعملك مع ... خالي .." رد بابتسامة " نعم ... جدا .." سألته بتهور " هل انت مرتاح تماما هناك ... اقصد اجواء العمل وزملاءك فيه .." رفع حاجبيه عاليا واتسعت ابتسامة مغيظة على شفتيه ليقول بعدها " لو قلت لك لااطيق صبرا ليطلع النهار كي اذهب هناك هل يرد على سؤالك ؟"

لم تشعر في حياتها بغضب كالذي شعرت به الان .. غضب فضحته نظراتها وجعلته يسألها برقة

وبراءة متصنعة " لماذا تنظرين الي هكذا ؟!" عبست بشدة وهي تسأله " كيف هكذا ؟!!" قال بصراحة مرحة " وكأنك على وشك صفعي !" ازداد عبوسها وحنقها وهي تقول " لااعرف لماذا تراودك هذه الخيالات ؟!!" رد بنفس الابتسامة المغيظة " ربما لاني استشعر غيرتك ..." شهقت بنعومة ثم قالت بتحدي سافر " اي غيرة ؟!! انا لاتهمني زميلتك الرائعة ولايهمني تدليلها لك .. فلتفعل ما تشاء ..بل بامكانك الذهاب اليها الان فهي تبدو مستعدة لتدليلك هنا ايضا ..."

للحظات طويلة ظل يرمقها بهذه النظرات الغامضة بينما ابتسامته الصغيرة لاتفارق فمه ... قال اخيرا " امممممممممم ... انا لم اقصد انك تغارين من (زميلتي) !!انا قصدت انك تغارين لاني اعمل في شيء احبه بينما انت لاتفعلين ..." ثم اضاف جملتها التي سبق وقالتها له " لااعرف كيف تراودك هذه الخيالات ؟؟!!!"

اشتغل غضبها اكثر وهي تضرب بقدمها على الارض ثم استدارت بحدة لتتحرك مبتعدة تاركة اياه وهو يضحك بنعومة ونظراته يلتمع فيها الحب و.. الحزن !

حملها بين ذراعيه وهي ترتعش .. همس قرب اذنها " انا ايضا ارتعش يا مرامي .. فرفقاً بي وبك .."

عبر بها باب الجناح وهي تغمر وجهها في صدره ... توجه بها نحو غرفة النوم لينزلها على الارضية

ببطئ قائلا بصوت مبحوح " اريد ان افعل الكثير .. الكثير ... لكني ساصبر .. "

نظرت اليه بعدم فهم بينما خداها يتخضبان .. قال مسحورا بها " ساعديني يا مرامي ولاتنظري الي هكذا .." ابتسمت دون ان تفهم شيئا !! فقال متنهدا " انظري... هناك يوجد حمام خاص بغرفة صغيرة ملحقة لتغيير الملابس .. اذهبي اليها واغلقي الباب عليك بالمفتاح حتى لااتهور ثم افتحي الخزانة الوسطية ستجدين قميص نوم ذهبي .. ارتديه من اجلي .."

ابتلعت ريقها وهي تهرب من نظراته المشتعلة لتقول بصوت هامس " لكن .. خالتي نجاة .. اشترت .." قاطعها وهو يغمر خدها بيده ليطبع قبلة حارة على خدها الاخر ثم قال بهمس " اتركي خالتك نجاة وافعلي ما اطلبه منك .. اتوسل اليك " ردت وهي تأخذ عدة انفاس " حسنا ..."

تحركت وهي تتعثر بفستان زفافها بينما نظرات احمد تزيد من ارتباكها ...

بعد عشر دقائق تجرأت وفتحت الباب .. تضم ذراعيها حول جسدها تستر ما تعتبره عريّا كاملا بفستان النوم هذا .. لاتنكر انها بدت متوهجة بلونه الذهبي الشاحب لكنها لم تعتد ان ترتدي شيئا مكشوفا وقصيرا ومغريا كهذا !!

توارى خداها بحمرتهما خلف خصل شعرها الكثيفة بينما عيناها بحثتا على استحياء عن حبيبها الاوحد ...

همست باسمه " احمد .." ليأتيها صوته من جانب باب الغرفة " انا هنا ..." .. اجل انه هنا لايرتدي الا بنطال كحلي حريري للنوم .. اشاحت بوجهها بعيدا وقد زاد ارتعاشها ..

كانت تشعر بخطواته بل حتى تسمع انفاسه وهي تزداد وضوحا مع اقترابه منها ... دون ان تنظر اليه شعرت بيديه تلامسان ذراعيها بنعومة وهو يهمس " هل تعرفين كيف اشعر ؟؟ " صمت قليلا ليكمل " اشعر بالألم ! اخاف ان تكوني حلما لم يتحقق بعد .. مجرد حلم قد استيقظ منه ولا اجدك ..." ضحك بخفة وهو يقول " ربما اشعر هكذا بسبب والدتك التي جعلتني اعاني طوال الفترة السابقة وهي تمنعنا من الخروج معا بمفردنا وحتى منعتنا من الاختلاء ببعض عندما آتي لزيارتكم .. " تنهد وهو يرفع يده ليلامس شفتيها بانامله ويقول متأوها " آآآه كم عانيت الاشتياق لهما ..."

انتقلت انامله لتلامس خصلات شعرها خلف اذنها مستمتعا بكل لحظة وهو يقضيها مستكشفا اياها بينما هي تقف هكذا عاجزة مرتعشة ناعمة مشتاقة ومستسلمة !... همس وهو يمرر يده على بشرتها " اخبريني ... ماذا تعرفين عن الحب يا مرامي ؟؟" هزّت رأسها برقة فقال ضاحكا بخفوت " قولي يا غرامي .." دمعت عيناها تأثرا وهي ترفعهما نحو عينيه لتهمس " انا لااعرف الحب ! لااعرف الا انت .." اشتعلت عيناه بعاطفة لم ترها فيهما سابقا ليقول بصوت اجش " وانا اريد تعليمك الحب .." انحدرت يداه لتصلان ذراعيها المتشابكين ... و برقة بالغة اخذ يفك تشابكهما

ليضع كفيها المرتعشين على صدره .. قال بحشرجة " عندما نحب يجب ان نحب ببطئ ونستلذ بكل لحظة تعذيب فيه ونتلقاها بصدر رحب وكأننا عشنا حياتنا كلها سعيا لجحيمه!! .. انت كالحب نفسه يا مرام .. تحتاجين للبطئ !! بطئ في النظر اليك وبطئ في تجريدك من اسلحتك الواهية ... بطئ في لمسك حتى تتحول اللمسة لوحشية ... لاقتحام لايرحم يسعى نحو قلبك مباشرة .. خلف اسوار اضلعك لاصل اليه وامسكه بيدي فأملكه واحكمه !!"

على حين غرة كان يضمها لصدره غارقا اياها في عاطفته ليلهث بعدها وهو يبتعد عنها قليلا ويقول بانفاس متقطعة " كل هذا يجب ان يكون بطيئا .. بطيئا جدا ..." وبهذا البطئ الذي يعنيه كان ينزل حمالات قميص نومها بينما هي تهمس باعتراض وخجل " احمد ...لا" ...

اخذ يتحرك ذهابا وايابا والقلق ينهش افكاره ...

مضت نصف ساعة وهي في الحمام .. وما زاد في قلقه هذا الهدوء التام !! اوشك اكثر من مرة ان يذهب اليها ليطرق الباب لكنه ابى ان يتنازل ويظهر قلقه ... طيلة الحفل كانت شاحبة ولكنه فسر الامر انها ربما شعرت بالغيرة وهو يضاحك احدى صديقات اخته منى .. يعترف انه بالغ .. بالغ جدا حتى والدته عنّفته بشدة بينما والده اكتفى بأن قال في اذنه " عندما تتخاصم مع

زوجتك لاتثر غيرتها بل دللها يا غبي فتأتيك طائعة!!" ..

اخذ نفسا عميقا وقد قرر اخيرا ان يذهب اليها وليكن ما يكون ... رفع يده وقبل ان تهبط على سطح الباب سمع صوت بكائها المكتوم !!

هذه المرة لم يتردد وهو يطرق الباب بقوة وهو يقول " سوسن ما بك ؟!! افتحي الباب لو سمحت " ..

لكن نشيج بكائها اخذ يرتفع لترتفع معه خفقات قلبه !! قال باسلوب ارق هذه المرة " سوسن ارجوك افتحي الباب ..."

مضت الدقائق والنشيج لايتوقف حتى اوشك ان يتهور ويحطم الباب ولكنها اختارت ان تفتح الباب اخيرا ...

كان قد ارتدى قناعا من التماسك حتى لايظهر لهفته وقلقه ولكنه لم يحتمل وهو يرى انهيارها الواضح على وجهها ... ليست دموعها الغزيرة ما حطمت مقاومته ولكن تلك التعابير التي جسدت خوفها هلعها احساسها بالضياع والوحدة ... لم يفهم ما بها بالضبط ثم اخذ ينهشه الشعور بالذنب فربما سخافاته الليلة مع صديقة منى هو ما تسبب لها بذلك ... ابتلع ريقه وهو يقول " ما بك سوسن ؟!"

صدمته بل واذهلته بينما ترمي نفسها على صدره لتعاود البكاء وهي تتمسك بقميصه !! لم يشعر كيف لف ذراعيه حولها يضمها بقوة يقبل راسها ويهدهدها برقة مستفسرا منها عما يجري لها ...

كلماتها بدت مشوشة لكنها رغم ذلك وصلته واضحة وهي تقول بين شهقاتها التي تدمي القلب " ماذا ..سافعل ...وانت.. ستتركني .. ماذا سافعل وانا ..الان ...حا..مل ..."

الفصل الخامس عشر

كامل الاوصاف .. عبد الحليم

تمتم بذهول " حامل ؟!!" لتخرجه من ذهوله هستيريتها الكلامية التي تضيع على صدره وهي تغمر نفسها بارتجاف فيه " ماذا ... سأفعل .. حسين ؟!! لماذا .. يحدث لي .. ذلك .. انا .. لم افعل .. شيئا .. انا لم اخطأ .. لم اؤذي احدا ... كيف ساعيش .. انا ... حامل .. وانت ستتركني ... انا اكره نفسي ... اريد .. ان ارتاح .. يا الهي ساعدني .."

واستمرت تشهق بالبكاء وتردد نفس الكلمات ... صوتها وهي تطلب المساعدة من الله قطّع نياط قلبه .. جعله لايريد الا ان يخفف عنها هذا الألم .. هذا الخوف والشعور بالضياع والوحدة ...

زاد من احتضانها لها ثم اخذ يهمس بعاطفة حانية " اهدأي حبيبتي .. اهدأي ..." ثم اخذ يطبع قبلات متتالية على راسها ووجهها وهو يردد " لاتخافي .. انا معك ... فقط اهدأي .."

لايعرف ان كانت تعي شيئا مما يقوله لها لكن سرعان ما تحولت كلماتها لتمتمات اخذت تخفت تدريجيا مع شهقاتها ليشعر بجسدها اخيرا يوشك ان ينساب من بين ذراعيه فادرك انها تغيب عن الوعي ... حملها سريعا وهو يهتف باسمها بقلق وعاطفة " سوسن .. حبيبتي ..." لكنها كانت قد اغمي عليها فعلا فتحرك بها بخطوات مسرعة وانفاس لاهثة ليضعها على الفراش بينما هي في عالم آخر لجأت اليه بعيدا عن كل شيء!!....

تركها ممددة على السرير ليهرول عائدا نحو منضدة الزينة ،أحضر عطرا ما ثم عاد اليها واخذ يشممه لها وهو يحثها بقلب ملتاع " افيقي حبيبتي ... افيقي ..." لم يشعر بانفاسه المحتبسة حتى اطلقها اخيرا وهو يراها ترمش بعينيها لتفيق ببطئ ...

وضع زجاجة العطر جانبا وانحنى نحوها يرفع جسدها المستسلم الضعيف اليه يضمه لصدره ويتمتم بحمد لله ثم سأل بقلق " هل انت بخير الان ؟" هزّة رأسها الرقيقة مست شغاف قلبه فلم يتمالك نفسه ليحني رأسه اليها يقبل وجنتيها الناعمتين وهو يهمس " مِتُّ قلقا عليك ... "

لم تقل شيئا بينما ترخي جفنيها ويدها تستريح على صدره ... شهقات البكاء الناعمة ما زالت تثقل انفاسها فشدّد من احتضانها اكثر ثم قال برقة متناهية " نامي الان .. ولاتقلقي من شيء .. ساظل معك ..."

لم يلقَ ردا ايضا ... يده تحركت بلطف لتحرر شعرها من الدبابيس التي كانت ترفعه للاعلى و رمى الدبابيس بعيدا ثم حرك قدميه ليتخلص من حذائه وانحنى للخلف معها على السرير ليسند ظهره بينما تستكين سوسن الى صدره بلا حول ولا قوة !

خلعت نجاة قرطيها لتضعهما في العلبة المخملية الحمراء .. كانت يسود وجهها معالم القلق .. قلق قرأه كريم على محياها الجميل وادهشه ! ولم يلاحظه الان فقط بل منذ نهاية حفل زفاف احمد ومرام .. بوقتها تصور انها قلقة من حصول اي حادث قد يعكر صفو العرس .. كظهور غير متوقع لسهام مثلا .. لكن الحفل انتهى على خير ما يرام والعروسان بديا في حالة هائمة لدرجة اشفق عليهما ودعا لهما ان يجدا السعادة والترابط الحقيقيين ..

عاد كريم لوجه زوجته الذي استكان مع استكانة حركتها امام منضدة الزينة ... عقد حاجبيه ثم تقدم نحوها وهو يرمي سترته الرسمية على السرير ليقول بلطف " ما بك حبيبتي ؟"

رفعت وجهها لتواجه نظرات زوجها المتسائلة عبر المرآة ثم استرخت عضلاتها المتشجنة تلقائيا ما ان وضع كفيه على ساعديها وهو يقف بقامته الطويلة خلف قامتها المتضائلة امامه فتتضاءل معها اكبر همومها! ... همس قرب اذنها برقة " ألن تخبري حبيبك بما يضايقك جميلتي ؟!"

ابتسمت بحنان وهي ترد برقة " اشعر كأني ابنة التاسعة عشرة كلما ناديتني جميلتي .." ادارها لتواجهه ثم رفع كفيه ليغمر خديها ويقول بحب صاف " واذا دوماً اشعر بنفس الشعور عندما تبتعدين عن ناظريّ ..." ثم اخذ يردد

وتَظلَّ وحيداً كالأصداف وتظلَّ حزيناً كالصفصاف

مقدوركَ أن تمضي أبداً.. في بحرِ الحُبِّ بغيرِ قُلوع

وتُحبّ ملايينَ المَرَّاتِ...وترجعُ كالملكِ المخلوع..

التمعت عيناها بالفرح وانتشى قلبها بحبه الراسخ ثم غامت عيناها وهي تقول بحيرة " لماذا لايجد الآخرون ما وجدناه نحن ؟!!هل هو صعب هكذا ؟؟!! ولماذا اراه أنا سهلا ؟! هل العيب فيّ أنا ؟؟ "

عبس قليلا وهو يتسائل " ما الذي جعلك تفكرين هكذا ؟!" ردت بحيرة اكبر وقد شاب نظراتها بعض الخيبة " ألم ترَ حسين وسوسن الليلة ؟! هل بديا لك كعروسين هائمين ببعضهما ؟ عندما كنا مثلهما لم تكن تستطيع مفارقة لمسي بينما كنتُ ألهث وانا اسابق الفتيات لامنعهن من الاقتراب منك !"

ضحك كريم ملئ فمه ثم داعب خدها وهو يقول ببشاشة " جميلتي ان كان ابننا قد تخاصم مع عروسه فلا يعني هذا انهما يفتقدان للحب الحقيقي .."

هزّت نجاة راسها يمينا وشمالا في احباط لتقول " هناك شيء آخر اعمق من الخصام .. لااعرف ما هو ! لكني استشعرته رغم محاولاتهما لاخفائه .. حتى تأكدت وانا ألمح نظرة انكسار افلتت من سوسن وهي تتطلع لحسين الذي يدعي التغافل عنها .. "

ضيّق كريم عينيه قليلا ثم سأل بهدوء " هل انت متأكدة نجاة ؟ انا لم الاحظ عليهما غير خصام عادي .." ردت بثقة " قلبي لايخطأ كريم .. كما

لاتخطئ عيناي عندما تقرآن نظرة عذاب بدلا من نظرة عتاب !"

صمت كريم مفكرا للحظات ثم قال " لاتقلقي عزيزتي ... سأكلمه بنفسي لافهم حقيقة الامر ... هما ما زالا في مقتبل العمر وقد يحتاجان لبعض التوجيه ..."

قالت نجاة بتنهيدة وهي تميل براسها تتوسد صدره " لم نحتج انا وانت لذلك !! حتى منى لايعجبني حالها .. لماذا ترفض حب رجل رائع كمصطفى ؟! ماالذي ينقصه ليكون ملائما لها ؟ هل رأيتها اليوم كيف احرقتها الغيرة وهي تنظر لمصطفى يكلم تلك الفتاة المدعوة رولى ؟ اذن ؟! لماذا ؟؟ "

اخذ كريم يمسد على رأسها وهو يقول بلطف " نجاة لايمكنك جعل الاخرين نسخا عنك في ردود افعالهم واختياراتهم لشريك العمر .. " ثم ابتعد قليلا ليرفع رأسها اليه وقال بجدية " رغم انهم يخسرون لتعقيد حياتهم بالتمرد والترفع عن مشاعرهم خصوصا عندما تكون في الطريق الصحيح لكنهم في النهاية سيجدون طريقهم بطريقتهم .."

عادت لتتنهد ثم قالت " فقط احمد من جعلني اشعر بالفخر لانه سعى بقوة ليحظى بمرام وها هو يبدأ حياته معها رغم كل العوائق التي وقفت في وجهيهما ..."

اكتسى الغموض ملامح كريم وهو يقول " آمل ان يكون تفاؤلك في محله .." عبست نجاة وهي تسأله بضيق وتعجب " هل ما زلت تعتقد ان ارتباطهما خطأ ؟!! " اسبل اهدابه وهو يرد " ارتباطهما سيواجه الكثير يا نجاة لاتقللي من قدر سهام وامها .. كما اني .." ازداد عبوس نجاة عندما صمت كريم ولم يتم كلامه فحثته قائلة " اكمل كريم .. ستقتلني يوما بهدوئك هذا !"

رفع عينيه نحوها ليقول بصراحة شديدة " انا لااعتقد ان احمد يحبها فعلا .." اتسعت عينا نجاة في استهجان لتقول بعدم تصديق وهي تبتعد عنه " لابد انك اصبت بضعف البصر لكي لاترى هيامه بها .." رفع كفيه للاعلى يحاول تهدأتها قائلا " مهلا مهلا يا نجاة .. انا اعلم جيدا انه هائم بها ولديه تعلق غير اعتيادي نحوها لكن ... هل هذا هو الحب ؟؟" سألت بدهشة " وماذا يكون برأيك ؟!!" قال بوجوم " انه الاحتياج يا نجاة .. احتياج قد يتحول لحب حقيقي وقد يستيقظ يوما ليجد ان لهفته نحوها خمدت !"

هزّت راسها وهي تستهجن ما يقوله اكثر ثم قالت بتصميم وصدق نابع من اعماقها " الاحتياج لرجل مثل احمد تعني العشق ... العشق المطلق .. بل اني اخاف على مرام من قوة عاطفته نحوها لانه سيطالبها بكل شيء وقد يخنقها هذا .. "

امعن كريم النظر في ملامح زوجته المنفعلة ليقول " قد تقولين ان احتياجه هو منبع عشقه لمرام لكنه لم يعترف بذلك صراحة وكأنه يخشاه ! العشق قد

يسبب التعاسة يا نجاة ان لم يحظى بالثقة .. واحمد بحكم تاريخه مع النساء في حياته ينقصه الثقة بهن ... ومرام – على الاقل في البداية – ليست استثناءا " زمّت نجاة شفتيها وقالت بحنق " هل تعلم يا كريم انت لاتظلم احمد فقط ولكنك تظلم مرام ايضا .. انها فتاة رائعة بمعنى الكلمة وقادرة على الاستحواذ على مشاعر احمد بقليل من الجهد .."

فتح كريم فمه ليقول شيئا لكنها سبقته لتقول وهي تتحرك نحو باب غرفتهما " ساذهب لاطمئن على ايمن .." وهكذا تركته وابتعدت بينما هو ينظر اليها ويلوم نفسه على تعكير مزاجها اكثر ...

منذ ربع ساعة يتطلع اليها وهي نائمة متدثرة به .. سعيدة و.. مرهقة ! ابتسامة علقت على شفتيها وتنهدات ناعمة تفلت من صدرها .... ابتسم احمد بشغف وهو يتطلع لتلك الملامح التي خطتها السعادة لتشرق بشكل فريد ... انحنى ليطبع قبلة ناعمة على شفتيها ثم همس " هل انت سعيدة يا مرامي ؟ هل تشعرين بما اشعر انا ؟؟ " صمت قليلا ليتطلع بعدها نحو مكان قلبها الخافق اعلى صدرها فانحنى ليطبع قبلة هناك خفيفة كالريش وهو يقول بشغف آسر " ما اروع ان امسك قلبك بيدي يا مرام فيتردد صدى نبضاته في صدري .. رباااه ... هل هناك شيء يعادل هذا الامتلاك البطيء المتأني العذب لهذا القلب ؟! ام هل ساشعر يوما باحساس يماثل احساسي باستسلامك

التام وانت تشرعين كل الابواب لي وتقفين هناك بانتظاري ؟!! "

تحركت نظراته الى خصل شعرها المتناثرة على الوسادة .. التمعت عيناه بشدة وخنقته مشاعره .. بيد مرتعشة سعت لهدف صاحبها اخذ يرفع بضع خصل ثم يتركها تنساب بنعومة من بين اصابعه لتستريح على خدها النائم .. اخذ نفسا عميقا واطلقه وكأنه يتحرر !! لم يعرف ما هية الشيء الذي يتحرر منه لكنه شعور مفعم بالسعادة التي لم يذقها يوما في حياته ... ماجت روحه بالمشاعر فانحنى نحوها يقبل جيدها برقة .. تململ سباتها بين يديه وكأن روحها المشتاقة لروحه توقظ جسدها بعتب ناعم ...

رفرفت برمشيها وهي تستيقظ اخيرا ليغزوها الاحمرار تدريجيا ما ان شعرت به جنبها .. تحشرج صوتها والارتباك خانها وهي تقول " صصبا... صباح.. الخير .." ضحك بسخرية رقيقة وهو يرفع وجهه نحوها ويقول " متى ستكفين عن الارتباك امامي ؟!!"

اسبلت اهدابها خفرا بينما تراجعت ضحكته لتتعلق ابتسامة شغوفة على شفتيه وهو يلامس خدها الحار بسبابته .. همس بعاطفة " ما اجمل ايقاظك من النوم يا مرامي .. "

ابتسمت دون ان تجرؤ على التطلع نحوه ... لامس ذقنها ليقول بصوت ناعم ابح " صباحك كنعومة

وجهك وكروعة دفئك الذي يلفحني من الداخل والخارج وكنقاء روحك التي سكنت روحي ..."

تنهدت بسعادة وهي ترفع نظراتها على استحياء نحوه .. قالت بصوت هامس وعيون هائمة " لااصدق اني معك! .." ذابت نظراته رقة فهمس " الا حدود لما تعطينه لي ؟! الا تدركين حقا اني انا من لايصدق وجودك معي !... "

ارتجفت شفتاها وفاضت عيناها بالمشاعر وهي تغرق في عينيه .. تأوه وهو يدفن راسه في شعرها الكث ثم قال بصوت اجش " لم اكن اتصور ان فتاة جذبتني بشعرها الاسود ستمنحني اكثر ما احتاج اليه ..." ضحكت بخفة تداري خجلها من وجودها هكذا بين ذراعيه ثم قالت " هل تحب الشعر الاسود ..؟"

لاتعرف ما حصل ! لحظة فقط شعرت به يتشنج !! اصابها الارتباك وهي تناديه همسا " احمد!" شعرت بالغرابة دون ان تدرك كنهها .. ثم فجأة اشتدت ذراعيه حولها وهمس قرب اذنها " انا احب شعرك انت .." لمسته غيّبتها لتجد نفسها تضمه اليها بتردد خجول وهي تقول بحشرجة " وانا احببتك بكل ما فيك منذ رأيتك لاول مرة وانا في الثامنة عشرة .."

هذه المرة استرعت انتباهه تماما فرفع وجهه ليقول بدهشة محببة " هل تتكلمين جدياً ؟!" وكأن سؤاله جرحها ! ترقرقت عيناها بالدموع وهي

تحدق في عينيه وتهمس " لم انسَ عينيك يوما كيف بدتا وانت تتطلع اليّ وكأنك لاتراني !لم انسَ صوتك وانت تلقي الي بتمتمات غير مفهومة ولكنها بدت ثمينة لانها كلماتك الاولى اليّ .. لم انسَ لمستك العرضية لي عندما ارتطمت بك فجعلتني اشعر بانتماء اليك .. انتماء غير مفهوم او مبرر حتى لنفسي !"

اختنق بعاطفته وهو ينظر لوجهها المتألم فأدرك انها تعيش احساس فتاة في الثامنة عشرة أحبت رجلا لايراها ! اكملت بشجن " لملمت روحي على عشقك وحفظت سري لاعيش حالة من العزلة لم يدركها احد .. حتى اقرب المقربين لي !"

همس بتحشرج " مرام ! هل احببتني حقا طوال هذه السنوات ؟!!" بانفاس متقطعة ودمعات سائبة على الخدين هزّت راسها بنعم ... رفع انامله يمسح دمعاتها ثم قال بعاطفة متدفقة " اقسم بالله ما زلت لااصدق وجودك في حياتي ! " ليغمرها بعد ذلك بدفق هذه العاطفة التي تسيطر عليه اكثر واكثر ...

تطلعت بشرى لابنتها الصغيرة وهي تنام في سريرها تحتضن دميتها القطنية .. سكن ملامحها الحنان وبعض الحزن من اجلها ... فرهف الصغيرة قضت ساعتين من ليلة الامس تبكي باسهاب وهي تدعي بسبب فراق اختها الكبرى بينما في الحقيقة

بشرى تدرك انها اتخذت من انفعالها العاطفي لزواج مرام متنفسا لتخرج كل ما في صدرها من ألم ولوعة ... لامست بشرى خد ابنتها الناعم وهي تدعو الله ان يساعدها لتمر بأزمة المراهقة التي تمر بها هذه الصغيرة .. كما دعت الله من اجل فراس ... هذا الشاب الرائع الذي لم يستطع الرحيل قبل ان يخبرها بسر رهف .... تنهدت بشرى وهي تهمس بعجب " وايّ سر ؟!!" لم تكن لتصدق ان فتاتها التي تطرق ابواب المراهقة تكن مشاعر لخطيب اختها ..

انحنت بشرى لتطبع قبلة خفيفة على وجه ابنتها حتى لاتوقظها وهمست لنفسها قبل ان يكون لها " لن اخطأ مرة اخرى ... ساحميك صغيرتي وساكون سندا لك حتى تقفي على قدميكِ لتدركي الحياة على حقيقتها " تنهيدة من صدر ابنتها جعلتها تبتسم بينما لسان حالها يطلب القوة من الله ....

بعد اسبوعين

في كل مرة تنظر اليه لاتصدق التحول الذي حصل له !! حدقت سوسن نحو حسين وهو يبتسم لها بينما يقدم لها الافطار الخفيف في السرير ...

منذ معرفته بحملها تغير معها بشكل كليّ .. خصوصا مع زيارة والديه في اليوم التالي ليباركا لهما فور معرفتها للخبر عبر الهاتف .. والده اختلى به في الغرفة الصغيرة لساعتين بينما امه اختارت ان

تكلمها بشكل غير مباشر عن المشاكل التي يمكن ان تحدث في بداية الزواج ولتنهي حديثها بنظرة ثاقبة لم ترها يوما على وجه حماتها الرقيق بطبيعته وهي تقول بجدية " تذكري سوسن اني امك ايضا واذا شعرت يوما بحاجة للتكلم فلن تجدي اوسع من صدري ليحتويكِ .."

لاتعرف كيف وجدت نفسها تنهار في البكاء على صدرها بينما حماتها تهدهدها برقة ...

حملها ضعيف ... هذا ما قالته الطبيبة بعد اول زيارة ويجب ان ترتاح لانه مهدد بالسقوط ! حملها يشابه زواجها الى حد كبير ... ضعيف ومهدد بالسقوط ... لكن حسين ابدى تفاؤله نحو الحمل واستمراره ... غامت عينا سوسن وهي تهمس لحسين بـشكرا بينما هو كالعادة قبّل راسها بحنان كما اعتاد ان يفعل طوال هذين الاسبوعين ليتبعها باسئلته المعتادة عن صحتها وراحتها ... كان يغيظها احيانا وتوشك ان تضربه بالوسادة التي يصر على وضعها خلف ظهرها ... بعدها يتركها ما ان تصل والدتها او والدته ليذهب لعمله دون ان ينسى الاطمئنان انها لاتحتاج لشيء ..

البارحة ساعدها لتنام بلطف خانق حتى اوشكت ان تصرخ به " هل انت عملت سابقا في مجال التمريض ورعاية العاجزين ؟!" لكنها تراجعت ما ان رفع وجهه ليبتسم لها بحرارة وهو يقول " الحمد لله وجهك يبدو متوردا اليوم .." ثم اتسعت ابتسامته فادركت ان وجهها تخضب الان بحمرة الخجل !

اغمضت عينيها وهي تهمس لنفسها بعد ان خرج حسين من الغرفة " ما الذي يزعجك هكذا يا سوسن ؟!! الا يكفي انك تحضين باهتمامه ؟ لماذا يجب ان تطمعي بالمزيد ؟! " اختنقت بعبرتها وهي تقول بصوت مسموع " انه لم يقل شيئا .. لم يقل ايّ شيء !"

تحرك حسين بخطوات سارحة عبر اروقة الشركة التي يعمل بها .. وصل مكتبه الخاص ضمن سلسلة متجاورة من المكاتب الصغيرة المماثلة التي لايفصلها الا عازل ذي الثلاثة جدران ... تهالك على كرسيه ورمى اغراضه باهمال على سطح مكتبه ثم اخذ يحدق بشاشة حاسوبه الخاص دون ان تفسر عيناه ظلمة هذه الشاشة فقد كان عقله يدور في تلك الحلقات المفرغة التي باتت تلازمه ... لقد صارح والده بكل شيء فالامر بات يثقل كاهله وكان يحتاج لمن يشاركه في حمله ولن يوجد شخص انسب من والده ... وبعد دقائق صمت وترقب نصحه والده ان يعيد التفكير بنظرته لسوسن .. بوقتها لم يفهم بالضبط ما يعنيه لكن والده افحمه وهو يقول له " انت لم تعرف سوسن على حقيقتها يا بنيَ ويبدو اننا نتشارك جميعا في هذا بمن فيهم اهلها ايضا !! سوسن اخطأت هذا صحيح لكنها زوجتك الان وتحمل طفلك .. كما انها تستحق ان تأخذ فرصة للتسامح ما دامت لم ترتكب معصية .. كلنا معرضون للضعف وهي لسوء حظها كانت وحيدة وهي تواجه الضعف الذي هاجمها بلا

رحمة.. فاتقِ الله فيها ولاتنسى بأنها الان زوجتك وبمسؤوليتك .. " وانهى كلامه بان قال وهو يربت على كتفه " لاتخبر احدا بالامر .. ولا حتى والدتك .."   ...

اجفل حسين عندما جاء صوت زميله الذي يجلس على المكتب المجاور قائلا " كيف حال زوجتك ؟ " ابتسم حسين بلطف وهو يقول " اليوم افضل .. اتمنى ان يستمر تحسنها لتمر شهور الحمل بخير .." تمتم زميله ببضع دعوات بالخير والسلامة بينما سرح حسين بعيدا مرة اخرى ... بعيدا نحو تلك الفاتنة التي يملكها ولا يقربها .. يشتاق لها وينفر منها ! ليس نفورا منها بالضبط لكن كلما نظر في عينيها المغويتين دون جهد تنتقل نظراته مسلوبة الارادة تتلكأ على شفتيها المغريتين برسم خالقهما فتتوق روحه لتقبيلهما وعندها ..... تهاجمه بضع صور !.. فقط بضع صور ينسجها له عقله المتربص به .. صور تعذبه .. صور لتلك الشفتين وقد امتلكهما رجل آخر ... قبله !

ابتسم احمد بتكاسل وهو مستلقِ على السرير يلاحق مرام بنظراته بينما تتعثر امامه وهي تتحرك بين الحمام و خزانة الملابس ... اتسعت ابتسامته اكثر ليقول بمشاكسة " هل تحتاجين لمساعدة بالاستحمام ؟" هتفت به ووجهها يتحول للون القرمزي " احمد ! توقف .. كنت اعرف انك ستقول شيئا مماثلا .."

اطلق ضحكات مجلجلة ثم اضاف وهو يحرك حاجبيه مغيظا " الا ترين خجلك هذا متاخرا بعض الشيء .." اطلقت صوتا مغتاظا ثم اخذت تبحث بعينيها عن شيء ما لترميه به فلم تجد غير قطعة المناشف التي تحملها بيدها .. رمتها نحوه وسط ضحكاته لتسقط ارضا قبل ان تصله فقال لها بنظرات حارة وصوت مبحوح " هل هذه دعوة للمساعدة ؟؟"

رغما عنها اخذت تضحك من قلبها بينما هو يتطلع اليها تلامس نظراته ابتسامتها بافتتان .. قالت اخيرا وهي تقترب لتأخذ منشفتها من على الارض " لن تحصل على هذه الدعوة ابدا ..." رمقها بنظرات جريئة اصبحت تعرف معناها فتجاهلته واخذت تمشي نحو الحمام بدلال مستفز امامه ..

ارتدت الفستان الذي اختاره لها احمد وهي تشعر بالانتعاش .. كانا على وشك الخروج لاحدى المطاعم ليقضيا سهرتهما .. تلكأت عندما اخبرها احمد مبتسما " حسنا يا مرامي .. تبدين جميلة ومنتعشة كالفاكهة المغرية .. لكن ما لي اراك تريدين قول شيء والخجل يكبل كلماتك ..؟؟!! قولي حبيبتي ماذا هناك ؟" ردت وهي تعض على شفتيها " احمد .. أأ .. أحتاج .. لبعض النقود "

اختفت ابتسامته تدريجيا ليزحف الجليد لنظراته بينما اطبق الصمت .. ارتبكت مرام وحارت في تفسير ردة فعله ! لم يكن احمد بخيلا معها ابدا بل كان يسرف في تدليلها والاغداق عليها بالهدايا .. لم

تشعر بالحاجة لشيء لتطلبه منه .. لقد كانت هذه المرة الاولى التي تحتاج فيها للمال لشراء بعض الامور الخاصة وقد كانت تشعر بالاحراج بما فيه الكفاية لتطلب منه اما الان ومع نظراته الغامضة غير المريحة هذه فكلمة احراج لاتليق بما تشعر به !بل الخزي ... اجل الخزي هو الكلمة الانسب ... الدماء تدفقت لرأسها واذناها تطنان وهي تقف بعجز لاتعرف ما يجب ان تقول او تفعل .. مفردات الأسف تسابقت لفمها هي ردة فعلها الاولى بعد هذا الجمود ... قالت وهي تطرق براسها " آسفة .. اذا .. ازعجتك .. لكن .. ليس لدي .. اي نقود .. واحتاج الى .." قاطعها بصوت بارد حاد كالسكين " كم تريدين ؟" رفعت عينيها اليه ليلاقيها نفس الجليد فابتلعت ريقها وهي تقول بتحشرج وتلعثم " لا .. مشكلة .. لا .. اريد.." عاد ليقاطعها بهدوء غريب " كم تريدين ؟ كم يكفيكِ ؟ فقط قولي .." ارتعشت وهي تخبره بالرقم ... صدمتها ردة فعله الان اكثر من ردة فعله الاولى وهي تطلب المال !!!! في لحظات تدفق الدفء لعينيه واسترخت ملامح وجهه .. ابتسامة حانية رسمت شفتيه وهو يقول بلهجة مرحة مشاغبة " ماذا ستشترين بهذا المبلغ الزهيد يا طفلتي ؟! قطعة شكولاته ؟!.."

ضحكت ضحكة قصيرة غريبة متقطعة تعبر عن توترها المغادر لتقول ببشاشة حتى تستعيد الالفة بينهما " ربما المثلجات .." ضحك احمد وهو يمد يده يداعب وجنتها ثم اخذ يتطلع اليها بنظرات لاح فيهما ... الندم ! ليقول بصوت هامس "

سامحيني مرامي ..!" اتسعت عيناها وهي تشعر ان دوامة ما تسحبها لبحور لاتفهمها ووجدت نفسها تقول بحيرة " اسامحك لاي شيء ؟!" يده التي كانت تداعب وجنتها تحركت لتحتضن جانب وجهها كله ليميل بوجهه مقبّلا وجنتها الاخرى بحرارة وهو يهمس " سامحيني اذا غلبتني احيانا أشباح روحي .. "

رفع راسه يتطلع اليها برقة ثم اضاف مشفقا عليها من حيرتها " لقد عشت سنين من الغربة عن الحياة السويّة يا مرام .. فامهليني لاعتاد براءتك .."

ارتجفت ابتسامة جميلة على شفتيها وبحركة متعثرة خجولة اقتربت منه ترفع ذراعيها باعتياد وليد تلفهما حول عنقه .. استرخى جسده وصدره يطلق تنهداته ... تشجعت لتبتسم بسعادة قبل ان تلتصق به وترفع نفسها على اطراف اصابع قدميها فتقبل ذقنه وتهمس بمرح " اريد الشكولاته والمثلجات معاً .."

شهقت وهو يعتصرها بين ذراعيه مغرقا اياها في دوامة من العاطفة الخالصة ... همست بين قبلاته " كم احبك ..." ...

في صباح اليوم التالي كانت مرام في حال آخر ... تنظر بتوتر نحو احمد وهو يعتصر قبضته بينما قبضته الاخرى تكاد تحطم هاتفه النقّال وهو

يمسكه قرب اذنه ... قلبها كان يخفق بقوة توجسا مما يحدث ...

سمعت احمد يقول من بين اسنانه " ايمن ساعيده اليك بنفسي غدا عندما اعود ... لقد اتفقنا على هذا ..." صمت قليلا ليهدر بصوت متفجر " حاولي الذهاب لاخذه وسترين الثمن الذي ستدفعينه .." ودون ابطاء اغلق الهاتف ليرميه بقوة على الارض .. لحسن الحظ الارضية مكسوة بالسجاد الفاخر فلم يتحطم الهاتف ...

التزمت مرام الصمت بينما جسدها يرتعش وهي تنظر لاحمد كيف سكنه التوتر والاعياء النفسي وقد اخذ يمرر يده في شعره بحركات حادة عنيفة بينما بضع شتائم تخرج من بين شفتيه في تمتمات متوارية ... لم تعرف كيف يجب ان تتصرف ! قبل دقائق كانت تضحك من قلبها معه وهو يلاحقها في ارجاء الجناح ليمسك قدمها اخيرا عندما صعدت فوق السرير فتقع بين اغطيته الناعمة ليتمكن من سجنها ومعاقبتها بطريقته .. حتى رن هاتفه فتأفف متذمرا وهو يمد يده ليلتقطه قائلا " لابد انه مصطفى مرة اخرى ! سيثير جنوني هذا الشاب .. يختار اوقات عجيبة ليسألني عن امور في العمل !" ....

فتح الخط بعفوية دون ان ينظر لهوية المتصل لتتراجع الضحكات وتنمحي الابتسامات .... لقد كانت هي !! تلك اللحظة التي ابتعد بجسده عنها لن تنساها .. قال ببرود عبر الهاتف وهو يقف على قدميه " نعم .. لماذا تتصلين ؟!" ... وهذه كانت

البداية فقط ... كان شعورها ممزق ! هذا هو الوصف الانسب ... ممزق بطريقة غير اعتيادية .. ما بين احساسها بالنبذ غير المتعمد لغيرة حارقة كسكين مثلوم اخترق احشاءها لاشفاق من معاناة احمد وهي ترى جبينه يلتمع بحبيبات العرق واوردته نافرة من الجانبين ... كل هذا اختلط بغرابة وجودها فيه ! لتجد نفسها المغتربة تتساءل (ماذا افعل هنا ؟!!) نفضت راسها وهي تهمس في سرها " اهدأي مرام ... عليك ان تكوني قوية من اجله .. كنت تعلمين ان هذا آت لامحالة وعليك اعتياد التعامل معه .. احمد يستحق .. اجل يستحق ..."

وبزفير مسموع اطلقته رئتيها تقدمت نحوه ... وقفت امامه وهو يطرق براسه مستغرقا في افكاره المظلمة ... مدت يدها بتردد لتلامس خده بحذر وتوجس .. تشنج اولا ليطلق بعدها نفسا عميقا وهو يسبل اهدابه ...مدّ احدى ذراعيه لتحاوط خصرها جاذبة اياها نحوه بينما وضع يده الاخرى على يدها التي تعانق وجهه ... حرك خده يتحسس نعومة يدها وهو يهمس " لمستك كالبلسم الشافي يا مرامي .. فأيّ سحر تملكين ؟!"

قالت بعينين لامعتين بدموع التأثر " انه سحر عشقك .." لم يقل المزيد ليدفن نفسه واشباحه في عمق قلبها العاشق له ..

عبست سهام وهي تلتفت نحو امها ولتقول بلا مشاعر " لقد اغلق الهاتف في وجهي .." ردت الام

بابتسامة كريهة " لايهم .. مهما اغلق في وجهك الابواب والخطوط يبقى هناك ايمن يربطكما معا رغما عن الجميع .."

قالت سهام ببعض الضيق " لاافهم لمَ جعلتني اتصل به اليوم ألم نتفق على الاتصال به حال عودته مع تلك البلهاء ؟!" ردت الام بقسوة " لم اقاوم ازعاجه خصوصا انه لن يضر بخطتنا ... اسبوعين من العسل يكفيه ليفيق قليلا من هيامه .. عليه ان يعرف ان الكلمة الاخيرة لم تقال لحد الان وانها لن تكون له .. على الاقل سنحارب بضراوة لتكون لنا .."

قالت سهام وهي تحدق بوجه امها المستلذ بافكار صاحبته " هل تعتقدين حقا اننا سنستطيع التفريق بينهما ؟" ردت الام بثقة باردة " مع بلهاء صغيرة عاطفية كالمدعوة مرام سنستطيع .. فقط اطيعيني ولتعلمي ان ايمن ليس سلاحنا الوحيد ..." ودون ان تضيف المزيد التفتت لتترك ابنتها في حيرة وهي تحاول تفسير معنى كلمات امها الاخيرة ...

لم تعرف منى ما الذي جعلها تقدم على هذه الحماقة لتتبرع باحضار بضع اوراق لمكتب خالها احمد .. هل تحاول اثبات انها لاتهتم !

كانت تطرق بنزق بجانب ازار المصعد الكهربائي بعد ان اختارت احداها لتضغطه وها هو المصعد ينقلها برتابة الى الطابق المطلوب ...

انفتحت ابواب المصعد لتشعر منى برياح الرهبة تداهمها مع هبات الهواء القادمة ...

ابتلعت ريقها ولا شعوريا عدّلت هندامها المؤلف من تنورة كحلية بسيطة تصل لاسفل ركبتيها وقميص ملون اصرّت والدتها - كالعادة - ان ترتديه ....

لامست شعرها بحركات مضطربة لتكزّ على اسنانها لانها تركته مرسلا بغنج على كتفيها هكذا ! وعنّفت نفسها قائلة " يا غبية ! هل ستدعين ان امك الحالمة هي من اصرّت ايضا لتطلقي شعرك حرا ؟؟" .. عضّت شفتها السفلى بغيظ ثم اغمضت عينيها وهي تهمس " استرخي .." بعدها اخذت نفسا عميقا وقبل ان تفتح عينيها سمعت صوتا يقول لها " هل اساعدك بشيء ؟؟"

الفصل السادس عشر

تخونوه ... اغنية لعبد الحليم

التفتت منى جانبا نحو رولى لتنظر اليها ببعض الأنفة ثم قالت بلهجة متعالية نوعا ما " شكرا لك .. اعرف طريقي .."

تحركت بضع خطوات متخطية تلك الفتاة عندما سمعتها تقول بهدوء " هل تعلمين اني احفظ ملامح وجهك !"

تعثرت خطوات منى لتعجز عن التماس الاتزان الكافي لقدميها فآثرت الوقوف في مكانها ..

لاتعلم ماذا كانت تنتظر ؟ هل تريد منها تبريرا لالقائها تلك الجملة ام ربما تفسيرا عن معناها؟؟!!

تقدمت رولى منها لتقول " ألن تسأليني ؟؟" رمتها منى بنظرة جانبية وقد بدأ الاستفزاز يحل محل الارتباك ! ثم قالت منى ببرود " ماذا تريدين القول بالضبط ؟"

ردت رولى باتزان " هل تعلمين ان مصطفى يقضي اوقات فراغه يوميا برسم صور مختلفة لوجهك ؟!"

اختلج قلبها في صدرها وتكاثف شعور عجيب لاقبل لها بادراك عمقه او السيطرة على جريانه الحار في خلاياها كمجرى الدم في شراييننها ...

وكأن رولى ادركت ما تشعر به فتغاضت عن التحديق فيها لتقول بجدية " لاافهم كيف يمكنك

ان تدفعي رجلا كمصطفى بعيدا عنك ؟!! فعلا اتمنى ان اعرف السبب ! ربما العلّة فيّ انا لاني لااجد فيه عيبا واحدا... !!"

ردت منى بحدة لم تسيطر عليها وهي تنظر بغيرة لرولى " بامكانك اخذه ما دمتِ معجبة به لهذا الحد .."

ابتسمت رولى ببشاشة لم تتوقعها منى وهي تقول " شكرا للعرض سافكر فيه ! خصوصا ان مصطفى اكثر وسامة من خطيبي ولايثير حنقي مثله !" ودون ان تبالي بفم منى المفتوح تقدمتها وهي تقول ببساطة " لكن ... حذاري ... فأم مصطفى تعرض عليه الفتيات يوميا ولن تهنأ حتى تزوجه خلال اشهر على اكثر احتمال ..." ...

لم تعرف كيف وصلت منى لمكتب مصطفى والذي هو مكتب خالها في الاصل .. ولا تعرف كيف دقّت الباب لتسمع صوته الهادئ يقول " ادخل" ..

دخلت وهي تحاول تصفية ذهنها من الهلوسات التي تنسجها مشاعرها فتجعلها تتشتت وهي اكثر ما تكرهه ان تفرض مشاعرها تلك السيطرة الغير منطقية لتحكم ردود افعال امام نفسها وامام الاخرين ....

دخلت شامخة تنظر اليه وهو يجلس خلف طاولة مكتب خالها تنظر اليه ببرود وكأن معرفتها بأن ملامحها كانت اسيرة لخطوط قلمه لاتعني الكثير لها ... وبأن ذلك الاحساس المقفر بالخسارة غير موجود ! تتجاهله كما تجاهلت دوما ومنذ

المراهقة نبضها الخافق كلما لمحت مصطفى من قريب او بعيد ...

تطلع اليها مصطفى والابتسامة المقلقة لقلبها تجد طريقها لفمه ... قال وهو يميل برأسه جانبا " عجباً.. عجباً .. من أتانا زائرا اليوم ؟!!"

كزّت منى على اسنانها بقوة وقالت مغتاظة " انا لست زائرة .. لاتنسى انه مكتب خالي .."

رفع حاجبيه بدهشة ساخرة ليقول بهدوء شديد " زائرة بمزاج طفولي مشاغب !"

حدّقت فيه وعيناها تشتعلان بالغضب بينما هو ينظر اليها بغموض وتلك الابتسامة لاتفارق شفتيه ...

زفرت نفسا لتسيطر على غضبها ثم تقدمت باتجاهه ودون ان تنظر اليه وضعت الاوراق على المكتب امامه وهي تقول باسلوب عملي " هذه الاوراق التي احتجتها .. احضرتها بناءا على طلب امي رغم اني يفترض ان اذهب باكرا لاستلم عملي الجديد في شركة للادوية ..."

كانت فخورة بنفسها وهي تبرر حضورها وكأنه امر غير مرغوب فيه من قبلها وبنفس الوقت اوصلت اليه خبر عملها ..

قال مصطفى دون ان يحيد بنظراته عنها " هل حصلت على عمل اخيرا ؟!" ردت منى وهي تهز بكتفيها تدّعي اللامبالاة " نعم ... ابي توسط لي في اكثر من شركة دون ان يأخذ رأيي حتى ! لكنني في

النهاية يجب ان اعمل ففترة الراحة بعد الدراسة طالت حقا .."

نظرت منى نحوه لتتفاجئ بنظرات غريبة يلمع فيهما شيء من الاحباط وخيبة الامل ! جاءت كلماته تعبر عمّا قرأته في عينيه وهو يقول " هل ما زلت مدللة لتنتظري الاخرين يسعون بدلا منك لتحقيق امنياتك ؟!ثم تتمنّنْيَ عليهم بالرضا ؟!! "

عبست منى وهي تقول بلهجة مدافعة " انا لست مدللة ولا اتمنن على احد !! لماذا تصر على حصري في تلك الزاوية البغيضة ؟!!"

رد مصطفى وهو يكتف ذراعيه على صدره " انتِ من تعيش في تلك الزاوية برضاها ! مستمتعة باختبائك الطفولي خلف قناع من النضوج الكاذب !"

شهقت منى وهي تشعر بالاهانة من كلماته لتقول بصوت مرتجف " هل هذا ما تراه بي يا مصطفى ؟! مجرد طفلة مدللة مشاغبة ؟! لاتسعى حتى لاهدافها بل تنتظر الاخرين ليحققوه لها ؟! "

قال مصطفى دون اي تراجع " اخبريني لاي شيء سعيتِ في حياتك يا منى ؟!! انك فقط تعبرين عمّا تريدين وتنتظرين الاستجابة من الآخرين !! حتى علاقتك بصديقة عمرك تحكمها مصلحتك لايجاد شخص ترتاحين له حتى تخبرينه بما يضايقك .. انك لم تكوني قريبة منها حقا لتجعليها تطمأن لك في المقابل وتخبرك عن مشاعرها لخالك وعندما حصل

ما حصل وانكشف كل شيء اخترت الابتعاد عنها لانك لاتريدين تحمل مسؤولية شيء ! لاتريدين ان تحملي حمل احد فيكيفك حمل نفسك (العظيمة) ودوما عندك التبرير فانت منى التي تحكم عقلها دوما بينما في الحقيقة ان (منى) غير ناضجة كفاية لتجيد التوازن بين العقل والقلب ..."

اخذت دموع منى تسيل وهي تقول بصوت متقطع باكِ " هل انا ..شخصية تافهة.. وسخيفة.. وانانية لهذه الدرجة ..يا مصطفى ؟!!" بدأت شهقاتها تعلو بينما الندم وشيء آخر اعمق يزحف لملامح مصطفى وهو ينظر نحوها لكنها لم تكن في حالة تسمح لها بتمييز شيء فاستمرت تقول " لماذا اذن ترسم وجه فتاة لاقيمة لها عندك ؟!!.. انا .. انا .." لم تستطع اكمال كلامها فاستدارت لتخطو مسرعة نحو الباب وقبل ان تصل اليه التفت يده حول ساعدها لتسحبها نحوه بقوة يضمها لصدره وهو يهمس " آسف .. آسف ..لم اقصد ان اجرحك او اؤذيك "

قاومته قليلا لتستسلم خلال لحظات للبكاء على صدره بينما هو يضمها بقوة ويهمس بصوت مثخن بالعاطفة " أنا احبك ايتها الغبية .. لااملك الا ان احبك.. لااملك الا ان اشتاق اليك فأجد نفسي ارسم وجهك ... قدري ان اتعذب هكذا دون ان تشعري بي .. دون ان تمنحيني قلبك .."

تململت بين ذراعيه لكنه لم يدعها فقط يضمها بحنان ويهمس بأذنها بكلمات محببة هدّأت بكائها لكنها لم تهدأ قلبها ... وفي لحظة مفاجئة جاءهما

صوت رولى قائلا بطريقتها الثرثارة " لقد استلمت برقية من ...." توقف الصوت مع ابتعاد الاثنين عن بعضهما وبينما رولى تعتذر بحرج ركضت منى هاربة من كل شيء ... من احراجها ... من كلماته .. من احضانه .. واخيرا ... من كلمة اوشكت ان تفلت من بين شفتيها لتخبره " احبك " !

بعد شهرين

دخل احمد للبيت مع اذان الفجر .. كان مرهقا جدا ويحتاج فقط لحمام ساخن يزيل به تشنج عضلاته من اثر النوم مع ايمن في سريره الصغير .. ابتسم وهو يفكر بعدها سيجد مكانه في احضان مرام الدافئة ...

توجه نحو غرفة نومهما ليجد ذلك الضوء الخافت في انتظاره .. رآها تقف عند الشباك تطالع الليل وهو يوشك على المغادرة ... بدت مكتملة في نظره بقميص نومها الطويل وشعرها المنساب على ظهرها يخفي اغراء كتفيها المكشوفين ...

تنهد وهو يأمل ان يكون مزاجها جيدا الليلة .. فقد اصبح مزاجها صعبا هذه الايام خصوصا مع تكرار نفس الموقف ... سهام تتصل ما ان يدخل البيت عائدا من عمله لتطلب منه الحضور من اجل ايمن ... كان يدرك انها تتعمد فعل ذلك

لتؤذي مرام وهو يعترف ان مرام قاومت كثيرا شعورها بالغيرة ومع ذلك افلتت منها الامور مؤخرا ...

لقد نشبت بينهما الخلافات بضع مرات فقط ومعظمها بسبب هذا الموضوع ... لكنها تعود لتتفهم وضعه واهمية ابنه بالنسبة له ..

هذه المرة شعر بها تبتعد وقد آلمه ذلك .. لايحتمل ابتعادها عنه .. ماذا بيده ليفعله ؟!! ايمن يعاني الحمى منذ ثلاثة ايام ولايطمأن الا بوجود والده والمعضلة انه يريد امه ايضا بالجوار !!

شعر بالضيق عندما قال (مساء الخير) ولم ترد عليه مرام بل لم تتحرك من وقفته الشاردة قرب النافذة ...

تحرك نحوها ليقف خلفها .. رفع يديه لتمسكا بكتفيها وهو ينحني ليقبل رقبتها ولكن قبل ان تلمس شفتاه بشرتها كانت قد تحركت مبتعدة عنه ... لم تفعلها سابقا !! لم ترفض يوما لمسته حتى وهي متضايقة منه ... دوما كانت تذوب فتمنحه شعورا لايضاهى بالتملك نحوها ...

نظر نحوها وقد آثر ان تبدأ هي بالكلام .. قالت دون ان تنظر اليه مباشرة " اين نمت يا احمد ؟"

ضيّق عينيه قليلا وهو يقول بهدوء " انت تعرفين اني كنت مع ايمن ولن اقول اني نمت بل ساقول سهرت معه حتى نام وخفتت حرارته .."

وجهت نظراتها نحوه لتحدق فيه وتقول بانفعال و حدة " بل كنت معها .. لاتنكر انك قضيت الليلة

معها .. ولماذا تمتنع وهي تبدو بهذا الجمال و... هي .. ملكك كما انا ملكك بالضبط ..."

عبس احمد ليقول بهدوء ظاهري " نعم هي جميلة جدا ونعم هي ملكي ... شرعا ... لكنك نسيتِ شيئا بغاية الاهمية .."

رفعت ذقنها بتحدي وهي تسأل " وما هو ؟" رد ببساطة وعيناه تلتمعان " انا ملك لك انت وحدك .. " ارتجف ذقنها فحادت بنظراتها بعيدا والعبرات تخنقها ... قال بحنان " هل ستقولين لي ما الذي جعل راسك الصغير هذا يمتلأ بالافكار السوداء ؟؟"

ردت دون مراوغة وبصوت متحشرج " اتصلت بك فردت هي قائلة انك تاخذ حماما وربما ستنام عندها الليلة .."

زفر بقوة وهو يقول بحنق " تلك الحقيرة لاتكف عن افتعال المواقف !" نظر نحوها ليكمل " لا الومها لما تفعله لانها تسعى للاستحواذ على مصدر المال كله لنفسها ولكني الومك انت لتصديقك اياها... " لم تنظر نحوه فاضاف بلهجة مشتاقة " الا تفكرين لماذا اصر على العودة دوما مهما تأخر الوقت ؟ الا تدركين اني لااستطيع النوم الا بجوارك ؟" اقترب منها فابتعدت وهي ترفع كفها في الهواء لتوقفه قائلة ببحة " لا ... لاتقترب .. لن استطيع .. بل لااريد ..."

صدمه كلامها فوجد نفسه يهمس بعدم تصديق " لا تريدين ؟!!" رفعت راسها نحوه لتقول بضراوة " اجل ... لااريد ... لقد تعبت ... تعبت .. اشعر اني .. .. اني ... مجرد امرأة ترضيك ! ولكني انسانة

احمد ... انسانة تحتاج للشعور بالاستقرار والامان بدلا من الغيرة التي تقتلها وتهدد كيانها ... لقد تعبت من محاولة التغاضي عن نظرات الناس المتهمة وهمساتهم الظالمة التي تغذيها سهام وامها بنشر الاكاذيب عني .. تعبت من محاولة ارضائك دائما بينما انت تحبسني في هذا البرج العاجي رافضا حتى ان اجد نفسي في العمل .."

تراجع احمد وكسا البرود ملامحه وهو يقول " قلت لك مسألة العمل في الجامعة لا تروقني .. انا اغار عليك واعتقد ان هذا الشيء يفرح اي امرأة بدلا من ان يتعسها هكذا ..اما باقي كلامك فلا يد لي فيه وانت تعرفين ... انا اقوم بجهد مضاعف لاحافظ على ابني واحافظ عليك وعلى بيتنا انا وانت ... اصبحت اشعر بالارهاق كحالة مألوفة لدي وانا اهرول هنا وهناك ما بين العمل وبيتين ..." ردت مرام باتهام " ها انت قلت بيتين .."

شابت نبراته الغضب وهو يقول " اجل بيتين ... رغما عني وعنك هما بيتين حتى يحصل ما اريد واحظى بحضانة ايمن ... قلت لك مرارا الامر يحتاج للوقت وسياسة النفس الطويل ... سهام تلعب باعصابك وانت تسمحين لها بذلك عندما تصدقين ماتقوله لك او تستمعين لترهات اناس دستهم هي في طريقك لتضايقك .."

قالت مرام بحدة " كل هذا اعرفه.. اعرفه ... لكني لااستطيع تجاوزه دائما خصوصا مع جلوسي هكذا بالبيت دون ان اشغل فكري بعمل ما .."

عقد احمد حاجبيه وقال بصرامة " لاتحاولي الضغط عليّ مرام لاسمح لك بالعمل ... لاتتبعي هذا الاسلوب الملتوي ... قلت لك انا اغار وانتهينا .."

ردت بسخرية لاذعة " هل سنعود لذكر (الاساليب الملتوية) كما يحلو لك وصفها ؟!! متى ستعرفني حقا ؟! اني اتساءل ... ثم من قال ان الغيرة ما يجعلك ترفض ان اعمل ؟! لا ... ليست الغيرة بل عدم الثقة .."

احتدت نظرات احمد وهو يقول " عدم الثقة ؟!! " هزّت راسها بنعم وهي تقول " اجل ... انت لاتثق بي ولا بنفسك ولا بحياتنا معاً... انت تشعر ان ارتباطنا هش لدرجة تخش من اية نسمة هواء خفيفة قد تسبب بفصم هذا الارتباط ..."

تطلع نحوها والغضب يستعر بداخله .. قال بلهجة محذرة " اياك يا مرام ان تتحدثي عن اي شيء يوحي ولو من بعيد بانفصام ارتباطنا ... هشا كان ام لا ستبقين لي مهما حدث .."

تقدم نحوها في خطوات مباغتة اخذا اياها بين ذراعيه لكنها لم ترضخ له وقالت وهي تقاومه " لااريد .. قلت لك لااريد الليلة ... هل ستُكرهني على فعل ما لااريد ؟!!" ...

في لحظة واحدة ابتعد عنها بقسوة وقال من بين اسنانه " لم تخلق بعد امرأة تبتز احتياجي لها ... حتى ولو كانت انت يا مرام .." ..

وهكذا غادرها وهي ترتعش من قسوة الكلمات التي جعلتها تشعر كورقة صفراء باهتة في مهب ريح عاصفة ...

تقلّب احمد في السرير المنفرد الذي اختاره ليقضي فيه ما تبقى من هذه الليلة الطويلة ... الشمس اشرقت على استحياء وعيناه لم تجدا طريقهما للاستكانة ... الندم والغضب خلطة عجيبة متنافرة تتنازع مع بعضها في داخله .. نادم لكلماته لها وغاضب في نفس الوقت منها .. تسلّل قلق خبيث جعل معدته تنقلب " هل ملّت مرام منه ومن وضعه ؟! هل بدأ حبها له يتسرب شيئا فشيئا مع كثرة الضربات التي تتلقاها من اجله ؟! " انقلب على الجانب الآخر والهواجس تلاحقه .. لقد اصبحت مختلفة في الاونة الاخيرة .. عصبية المزاج بشكل اكثر من المعتاد ...

خفق قلبه بشدة من صوت تكة الباب ... اغمض عينيه وعطرها يتسرب لانفه يلاعب قلبه ويحيي اشتياقه ... هاله ان يسود الصمت .. هل خرجت ؟! ودون تفكير او تردد فتح عينيه وهبّ من سريره وما ان التفت حتى رآها تقف هناك عند الباب كطفلة تائهة تنظر اليه وكأنه العالم وما فيه .. هدر كهدير شرايينه التي تضج بالدم المتدفق ليصل اليها بخطوات واسعة ويسحبها نحوه يلصقها به ويحطم اضلعها بضغط يديه .. وهي ... هي الحلوة المذاق ابدا مستسلمة محبة مشتاقة .. وكأنه يلمسها للمرة الاولى ... اغلق الباب خلفها وهو يهمس بانفاس متسارعة " اياك ان تفعلي بي

ذلك مرة اخرى ... لاتطرديني يا مليكتي .. واغفري لي قلة حيلتي امام رغبتي ان اكون كل رعاياك .. ألم نتفق على هذا في تلك الليلة التي رقصت فيها معي للمرة الاولى ؟"

تعلقت به تهمس بكلمات ناعمة تعبر عن اسفها فانحنى ليحملها وهو يقول بصوت ابح " لاتأسفي فأنا الغبي الذي يتحدث احيانا قبل ان يفكر !! فقط لاتدعي اي شيء يقف بيننا يا مرامي ... لا تلك البائسة المريضة ولا كلام الناس ولا رغبتك بالعمل التي تثير جنوني وغيرتي .. " تنهدت بسعادة وهو يضمها اليه على ذلك السرير الصغير ...

كان حسين ينقر بغضب على سطح مكتبه وهو يحاول الاتصال بسوسن منذ نصف ساعة ليأتيه نفس الرد (الهاتف مغلق) ... شتم وهو يرمي الهاتف جانبا ثم اخذ يمسح وجهه بكفه محبطا يائسا من السيطرة على مخاوفه ... كلما ذهبت لتزور اهلها يشعر بقلبه ينعصر ولايهدأ حتى يتأكد انها عادت لشقتهما ...

الامر اصبح مرهقا ! هل يجب ان تتمكن منه الوساوس هكذا ؟! يا الهي وكيف يستطيع تجاوز مخاوفه انها في احدى المرات ستقول له " وداعا حسين انا لن اعود للبيت .."

اختنق ولم يستطع البقاء ساكنا هكذا فتحرك مبتعدا تحت انظار زميله المشفقة .. فهذه حال حسين منذ اجهاض زوجته قبل شهر ونصف !!

دخل حسين الحمام وتوجه نحو احدى المغاسل ففتح صنبور الماء ليغسل وجهه عسى ان يغسل راسه ايضا مما يجول فيه ....

اغلق صنبور الماء ثم مد يده لياخذ بضع مناديل بيضاء اخذ يجفف بها وجهه المبتل .. رمى المناديل ثم تطلع لنفسه في المرآة ... لم يمر يوم واحد دون ان يتذكر تلك الليلة التي جاءته فيها سوسن لغرفته توقظه وتخبره بصلابة غريبة انها ... تنزف !!

اغمض عينيه وهو يتذكر رحلتهما المريعة للمستشفى في تلك الليلة الحزينة والتي انتهت بانتهاء رابط الحمل الذي تمسك به كالقشة التي يتعلق بها الغريق ...

والده نصحه مرارا ان يتقرب اكثر من زوجته وهو حاول .. اجل حاول .. ربما ليس بقوة ولكنه حاول ... عكسها هي التي بدت مستعدة تماما لخسارة الجنين وكأنه تحصيل حاصل ..

منذ تلك الليلة وسوسن ابتعدت ... انفصلت هو التعبير الاصح ! تقضي النهار في بيت والديها تلازم اباها كما تقول امها .. تقرأ له من كتب متفرقة واحيانا تقرأ له القرآن ... يعود من عمله فيجد غداءه جاهزا لتنعزل هي في غرفتها بعيدا عنه ..

الجميع يفسر الامر انها حالة عارضة سببها الكآبة لما بعد الاجهاض فقط والده يدرك معاناته اما امه فحاولت مرارا التقرب من سوسن دون نتيجة .. فسوسن اتخذت قناع الهدوء والاكتفاء .. لم يستطع احد النفاذ اليها .. وكأن خيبة امل تسكنها موجهة نحو العالم بأسره !

عاد حسين لمكتبه ليعاود الاتصال بهاتف سوسن النقال ... اخذ يشتم لان هاتف بيت اهل سوسن عاطل منذ ثلاثة ايام وقد تشاجر مع دائرة الاتصالات صباح اليوم لانهم لم يصلحوه لحد الان ...

رنّ هاتفها اخيرا فتنفس الصعداء ... جاءه صوتها الجميل وهي تقول " نعم .." تقبضت يده وتشنج جسده في شوق لصاحبة هذا الصوت الرخيم ...

قال بصوت اجش " لماذا كان هاتفك مغلقا ؟!" ردت بهدوئها المغيظ " لقد انتهى شحن بطاريته ولم اتنبه له .." عدّ حسين حتى العشرة ثم قال " حسنا .. متى ستعودين للبيت ؟"

ردت بعد لحظات " لن اعود الليلة.." تلاصقت الكلمات مع بعضها في حنجرته كالورقة المكورة ! اختنق تماما ولم يعرف كيف يستعيد نفسه ...

نادته " حسين ؟! هل ما زلت معي ؟" امواج وامواج تتلاطم فتصل الذروة !! هبّ واقفا على قدميه وهو يقول بنبرة هادرة " سآتي لاقلك بنفسي

الان ..." ولم ينتظر ردها بل اغلق هاتفه ولملم اغراضه وهو يطلب من زميله تقديم اجازة عرضية ثم تحرك مبتعدا بخطوات نارية .....

حدقت الام بابنتها التي تمسك بيدها هاتفها النقّال لتقول بصوت بارد " هل ارسلت الرسالة ؟؟ هل كتبت فيها كل ما قلته لك ؟؟" رفعت سهام وجهها نحو امها لتقول ببعض الدهشة " اجل فعلت ... لكن من اين عرفت كل هذه المعلومات ؟!! ومن اين حصلتِ على الصورة ؟! "

ابتسمت الام بخبث لتقول " عندي طرقي الخاصة !! ولترينا تلك البلهاء كيف ستتصرف بتعقل وشجاعة عندما تهاجمها الخيالات التي انسجها لها عن مدى قوة ارتباطها باحمد ومكانتها الحقيقية عنده "..

قالت سهام بشك " هل تعتقدين انها ستصدق ؟!! " ردت الام بحدة " لاتناقشيني .. انا لااخطو خطوة دون ان احسبها جيدا .. وهذا هو التوقيت المناسب .. "

بان اللؤم في عيني الام وهي تردف قائلة " ستعرف مرام ان كل مافعلناه معها سابقا كان مجرد تحضير ... زعزعة للاحلام الوردية الهشة .. اعترف انها قاومت لكن ... لاشيء يعادل ما ستشعر به بعد ان تفتح رسالتها... " ثم نظرت نحو ابنتها بصرامة

لتسألها " وهل اخبرت احمد عن المحل المقصود ؟" ..

هزّت سهام رأسها بنعم بينما تنظر لامها باحساس كبير بالنقص ! ... دوما كانت تشعر بهذه القيمة المتدنية امامها ليقابلها شعور فائض بتمرد مقموع وغضب مخمود .. شعرت بمن يسحب طرف ثوبها فادركت انه ايمن .. نظرت للاسفل اليه فطالعتها عيناه اللتان تماثلان عيني ابيه .. استعر ذلك الغضب الذي تكممه لتصبه ببرود قاتل فوق رأس صغيرها وهي تسحب ثوبها بقوة منه وتأمره قائلة " اذهب لغرفتك والعب هناك .. لااريد ان اراك قريبا مني هذه الساعة ..." ...

بنظرات متلهفة للتفاصيل راقبت انعكاس شعورها بالنقص في عينيه .. احمرار خديه ... ارتجاف شفتيه وكأنه يوشك على البكاء ليكتفي برفع ابهامه واضعا اياه في فمه ثم ... طأطأ رأسه وهو يتحرك نحو غرفته ... استكان في داخلها بركان الغضب لتنتعش بالاحساس بالانتصار والتفوق بينما امها تزهو هي الاخرى بانتصار مقبل تكاد تلمسه بيديها من قوة وثوقها بحدوثه ...

اغلق فراس حاسوبه النقّال وهو يتنهد بارتياح ... اخيرا توقفت رسائلها الالكترونية تماما ... حاولت خداعه في البداية انها فتاة لايعرفها لكنه فطن لاسلوبها بالكلام سريعا وبراءتها فضحتها اكثر ..

في البداية ادّعت انها طالبة طب وتسعى للحصول على بعثة مشابهة لبعثته وقد حصلت على معرفه من بعض الاصدقاء .. حصل هذا قبل رحيله عن البلد باسبوع .. لكنه اكتشف الحقيقة سريعا جدا من ثالث رسالة لها وهي تفلت منها بعض الحقائق فادرك ان الامر بدأ يكبر ويأخذ ابعادا مقلقة ... الصغيرة رهف تتألم وتخجل ان تظهر امامه بشخصها فادّعت هوية اخرى لمجرد ان تبقى على اتصال معه ... هذا ما دفعه لاتخاذ القرار باخبار الخالة بشرى .. فرهف تهمه جدا ويعتبرها مسؤولة منه ولذلك آثر مصلحتها وجازف بموقف قد يتسبب له وللخالة بشرى حرجا بالغا لكنها كالعادة لم تخيب ظنه وتفهمت دوافعه بل شكرته لاهتمامه ببنتيّها ....

صنع فراس قدح القهوة ثم اخذ يرتشفه بهدوء .. هو لم يخبر الخالة بشرى عن الرسائل ففي قلبه رأفة برهف تمنعه من هزّ صورتها اكثر امام امها .. ويكفيه انه احتوى الموقف وجعلها تجزع شيئا فشيئا من مراسلته حتى انقطعت عنها منذ عشرة ايام وليطمأن اكثر انها بخير اتصل بالخالة بشرى مدعيا السؤال عنهم فارتاح وهي تخبره ان رهف تغرق نفسها في الدراسة وقد عادت لحيويتها المحببة بل انها تبدو اكثر قوة وصلابة ...

ابتسم وهو يتذكرها بشعرها القصير ووجهها الصغير ثم همس " فتاة الشباك انتظري وستجدين في بضع سنين مقبلة من يهواك وساكون سعيدا ان ازفك اليه ..." .....

صوت ناعم لوصول رسالة نصية جذب اهتمامها وهي تخرج توا من الحمام فأجلت فتح هاتفها النقّال حتى ترتدي ملابسها ...

بعد دقائق التقطت مرام هاتفها لتجد رسالة من رقم مجهول ... فتحت الرسالة لتقرأ (احببت ان اريك غريمتنا الحقيقية يا شريكتي ! انها شهد اتساءل ان كنتِ سمعت بها قبلا ؟؟... الحب الاول والاخير لزوجنا الرائع احمد ... ترى.. هل ما زال يهمس بأسمها وهو نائم ؟؟!! اتركك مع صورتها لتعرفي ببساطة سبب اختياره لك انت بالذات وعزوفه عني انا !...)

تشوش ذهنها من كلمة (شهد) ! وربما تشوش من بشاعة الكلمات التي تبدو عادية في حد ذاتها لكنها تقطر سمّا في معانيها المستترة .. الارتعاش سيطر عليها وهي تضغط على زر التنزيل في الهاتف لترى الصورة المرفقة .. لم تدرك مرام ان دمعات اخذت تسيل على خديها بينما قلبها ينكمش شيئا فشيئا في صدرها ... الفتاة.. جميلة .. بوجه ابيض وعينين بنيتين وابتسامة حنونة و ... شعر طويل حالك السواد كثيف ومرسل على كتفيها بجاذبية ... صوت ران في عقلها .. سؤال قديم طرحته على احمد سابقا .. " هل تحب الشعر الاسود ؟" اجل .. هذا ما سألته به! احمد المهووس بشعرها حتى وهي نائمة تشعر بانامله

تلاعب خصلاته .. وذلك التشنج الذي اصابه كردة فعل اربكتها وتوّهتها!

اجفلت بقوة عندما اهتز هاتفها بيدها لتختفي صورة شهد وتطالعها صورة احمد بينما الرنين يعلو بعلو وجيب قلبها !! بعجز تطلعت لصورة حبيبها الاوحد وقلبها يناجيه .. يتوسل اليه ان ينقذه قبل ان يتحطم .. لكن الصورة اختفت والرنين توقف ليهجع الهاتف في سكون حزين ...

دموعها مستسلمة على خدها بينما تسرح بخيالها بعيدا ... بعيدا قبل اكثر من خمس سنوات ... صوته الذي عشقته ككل شيء فيه جاء من ذاكرتها محملا بالاسى وهي يشتكي لاخته غرامه الحي ابدا بشهد !!

عاد رنين الهاتف وعادت صورته تطالعها عبر الشاشة الصغيرة ... مشاعرها متبلدة رغما عنها لكنها وجدت نفسها تفتح الخط بشكل آلي ...

قال لها " اين كنت ؟! قلقت عليك .." ردت بسخرية مريرة " ولماذا تقلق ؟! انا في البيت دائما وكالعادة لااتخطى العتبة دون اعلامك .."

صمت قصير تبعه احمد ليقول ببعض التوجس " ماذا يحدث مرام ؟! لاتبدين بطبيعتك !" قالت ببساطة " لاتهتم ... مجرد صداع خفيف ... هل ستاتي لتقلني ؟؟" رد " نعم .. انا في طريقي اليك .. احضرت ايمن لنذهب سوية لمحل الالعاب حتى نشتري له هدية عيد ميلاده كما اتفقنا .."

ذكره لايمن جعل التشوش يعود اليها بقوة اكبر فهمست بضعف تحاول ان تداري تخبطها " هل اخترت محل معين ؟ " قال احمد " اجل .. سها.. ام ايمن ارشدتني لاحدى المحلات وقالت ان ايمن اعجبته سيارة الاطفائية هناك .."

رغما عنها ضحكت بسخرية وهي تقول " ام ايمن ؟!! ومنذ متى تهتم بما يحبه ابنها ؟!" رد احمد بصبر " انا ايضا استغربت .. لكن ..." توقف قليلا ليضيف بجدية وقد شاب صوته القلق " ماذا يحدث معك يا مرامي ... ألم نتصافى ؟! " اختنقت من بحة صوته العاطفية .. تستطيع ان تغمض عينيها الان لتتخيل ملامحه الوسيمة وقد امتزجت بتعبير يخصها به عندما يشتاق اليها .. تنهدت وهي تقول " اجل تصافينا .. لاتقلق .. كما قلت لك مجرد صداع .." قال احمد " مع اني لم اقتنع لكني ساجاريك الان وساعرف ما ان اختلي بك ماذا يحصل معك ..." ضحك بخفة وهو يقول بصوت حار أثر فيها رغما عنها " لي اساليبي معك لاحصل على كل ما اريد .." ....

دخلا محل الالعاب يسبقهما ايمن راكضا هنا وهناك .. ما زال احمد يحاصرها بنظراته المستفهمة وهي تتجاهله .. لاتعرف اي شيء يجعلها ثابتة امامه ؟! هل اعتادت الامر ام انها تتجاهله خوفا من عواقب لن تحتملها ... لقد اقصت هذه الرسالة من عقلها اقصاءا .. لايمكنها ان تحتمل معناها وفضلت الركون لحقيقة واحدة ان

شهد غير موجودة وهي مرام موجودة ... احمد يهمس باسم مرام وليس شهد ... مرام وليس شهد .. اخذت نفسا عميقا وهي تتطلع لبضع سيارات اطفاء حمراء لتقول وهي تتصنع البشاشة " انظر احمد .. اليست هذه مناسبة .." التفتت نحو احمد فوجدته جامدا في مكانه وعيناه متسعتان تحدقان في اتجاه واحد .. اتجاه محدد بعيدا عن ايمن بعيدا عنها بعيدا عن كل المعروضات في المحل ... وجهته كانت احدى البائعات خلف منضدة الدفع .. امرأة جميلة تبدو مألوفة .. شهقت مرام وهي تنظر لشعرها الاسود المختال حول وجهها .. اسم (شهد) انطلق من مكان ما وللحظات تصورت انها هي من اطلقته لكنها وبقلب يتحطم رويدا رويدا ادركت ان شفتي احمد هما من حررتا الاسم من اعماق صاحبهما ...

راقبته بذهول كيف تحرك نحوها وكانه منوم مغناطيسيا .. غير مصدق لوجودها امامه .. مسيرة لا مخيرة لحقته بخطوات بطيئة ميتة .. حتى وقفت على بعد بضع خطوات تراقب هيئته الطويلة يقف امام المرأة الشابة يتطلع اليها بنظرات شابها الحنين ...!!

(الهواء ... احتاج الهواء ...) ضجّت الفكرة في رأسها دون ان تجد منفذا لتحقيقها ..

قطع القلب الصغيرة تتناثر ببطئ .. تتدحرج بعيدا لتسقط في الهاوية .. هاوية الاحساس بالخيانة !... لم تصدق رقة صوته وهو يقول " مرحبا شهد .."

لتطالع وجه الشابة المتفاجئ والتي سرعان ما احمرت وجنتيها وهي ترد بدهشة " مرحبا احمد .. كيف .. حالك .. مضى .. زمن لم ارك فيه .." رد بابتسامة " اجل .. منذ اكثر من خمس سنوات ..."

آخر قطعة وجدت طريقها لتلك الهاوية السحيقة لتتدحرج فيها وهي تئن انينا .... شهقات البكاء غلبتها والدموع غمرت الصورة الحية امامها ... صورة حبيبها الاوحد يلتقي حبه الاوحد ... وهي مرام ليست هذا الحب الاوحد !!

لم تدرك ان احمد التفت نحوها بينما شهد تنظر اليها باستغراب وبعض الارتباك لانها جذبت اهتمام الزبائن ببكائها ..اقترب احمد منها ليمسك ساعدها وهو يقول بقلق شديد " مرام ماذا بك ؟!" لم تشعر مرام بالنفور من شيء قدر شعورها بالنفور من احمد في تلك اللحظة ... نفضت يده عن ساعدها بكل قوة وهي تصرخ به " دعني ..." وتحت انظار احمد المذهولة وهمسات الزبائن حولها ركضت خارج المحل هاربة من كل شيء ..

دخل احمد مضطربا للبيت يناديها بهلع " مرام ... مرام ..." لم يحصل على رد !! تسلق درجات السلم كل درجتين معا او حتى ثلاث ... مع اقترابه من غرفة نومهما ارتاح قليلا وهو يسمع بعض الاصوات ... لم يشعر بيده ترتجف الا عندما لف اصابعه حول مقبض الباب .. تنفس الصعداء عندما وجده مفتوحا ... تقدم ناحية الحمام حيث

مصدر الاصوات وقبل ان يصل اليه خرجت له مرام .....

لم يرها يوما بهذه الحالة .. وجهها شاحب .. عيناها جامدتان بلا اي مشاعر .. شفتاها تكادان تلامسان البياض .. ملامحها كلها كانت توحي بشيء واحد ... الانهيار !

همس " مرام .. ماذا بك ؟!" ضحكت ضحكة صغيرة رعناء ثم قالت والدموع تنساب على وجهها " ماذا بي ؟! ماذا بي حقا ؟؟! ساخبرك.... كيف يجب ان تشعر فتاة عندما تتحدى العالم لتتزوج من تحب بكل ذرة من كيانها .. هذه الفتاة اوهمت نفسها ان حبيبها يحبها ايضا .. ويالا السخرية .. اكتشفت انها احبت المستحيل ... !! فقلب حبيبها ليس لها ولن يكون لها ابدا .."

ابتلع احمد ريقه وهو لايستوعب ما يحصل لها .. قال مدعيا الهدوء " حبيبتي .. فقط افهميني ماذا حصل ؟ اتوسل اليك ... اكاد اموت قلقا عليك ..."

كان يقترب منها بخطوات متهملة وهو يتكلم جذبته حركة من يدها ليصدم برؤية ما تحمله ... همس بتحشرج وهو يجمد مكانه " ماذا في يدك ؟" ردت بنفس الضحكة الهستيرية وهي تلوح بيدها " هذا ؟... انه مجرد مقص !! " عقله ضجّ بكل الاحتمالات لكنه وجد نفسه يقول آمرا " ماذا تفعلين به ؟! اعطني اياه .."

ابتعدت خطوة للوراء وهي تقول ساخرة " انه مفيد جدا ... قد يكون طريقي الوحيد والخاص لاقطع هذا الرابط الذي يربطني بشهد في عقلك وقلبك وروحك لتمسي صورتها واضحة لك فلا تخلط بيننا .."

قال مصعوقا " هل تعرفين شهد ؟!!" غامت عيناها بحزن عميق وتهدلت شفتاها لتنكسر ابتسامتها كما انكسرت روحها وقالت بألم ما بعده ألم " نعم ... اعرفها في نفس الوقت الذي عرفتك به ... وكأني عرفتكما معا في آن واحد !! قبل خمس سنوات سمعتك تحدث الخالة نجاة ..." ازداد الحزن وبان الالتياع على كل تفصيلة منها وهي تكمل " لكن ... لم يخطر في بالي يوما انها عشقك الوحيد ... لم يخطر في بالي اني اشبهها بطريقة ما جعلتك تختارني لتحقق حلمك معها عن طريقي ..."

كان صدره يعلو ويهبط بقوة بينما الكلمات تنساب جريحة محتضرة من فمها " هل تحبها لهذا الحد يا احمد ؟!! لم اصدق عينيَ اليوم وانا اراك تنظر اليها بكل هذا الوله !! بعد كل هذه السنوات ؟!!"

هزّ راسها نافيا بقوة وهو يقول بتحشرج " هل حقا تؤمنين بما تقولين ؟!!" ردت بعنف وهي تحرك يديها " اؤمن .. اصدق ... لم يعد هناك شيء لاؤمن واصدق !"

عيناه علقتا على المقص في يدها فادرك ان عليه تهدأتها اولا فقال بهدوء مصطنع " مرام دعينا

نتحدث ... اقسم انك تهذرين بالسخافات التي لااعرف كيف مسجها لك عقلك ..." مد يده نحوها وهو يكمل بتوسل رقيق " اعطني المقص يا مرامي .."

همست بعينين غارقتين بالدموع وهي تعود خطوة اخرى للوراء " لا .." لترفع كفيها للاعلى بتحدى غاضب سافر وبلحظة مجنونة تحرك حدّي المقص بينما احمد يصرخ برعب " لا تفعلي .." ...

الفصل السابع عشر

يا مالكاً قلبي..اغنية لعبد الحليم

ترجلت سوسن من السيارة وهي تتصنع الهدوء واللامبالاة بينما في داخلها يهتز كيانها رغما عنها لجملة واحدة قالها حسين بحدة ما ان ركبا السيارة معا " زوجتي لاتبيت خارج بيتي !!."

خنقتها العبرة وهزّها (وهم الانتماء) فلم ترد بشيء وركزت جهودها على تصنع البرود وعدم الاكتراث ... وماذا بيدها تفعل غير ذلك ؟! فالمعجزات لاتتحقق ومعها هي بالذات يقترب تحققها من المستحيل !! تأوهت في صمت وهي تعاتب نفسها " ماذا جرى لك يا سوسن .. ؟؟!!"

جملة واحدة منه صدّعت ما كانت تظنه واقع تعيشه وتتآلف معه ... واقع يقول ان عودتها النهائية لبيت والديها مسألة وقت فحسب ...

وهي سهلت الامور له ولها .. كانت تسحب نفسها ببطئ لتعود بغرسها الصغير المحتضر لحضن والدها الدافئ رغم تهالكه !... امها ما زالت تمارس نوعا من الانعزال وتبدو مدركة للهوّة التي تتسع بين ابنتها وزوجها ... ومؤكد هي غير راضية !! فأمها من النوع التقليدي الذي يؤثر الانتماء الاول والاخير لرجل واحد والبقاء وفية له مدى الحياة حتى لو قابلها بعدم الوفاء !! ولذلك لم تسامحها

يوما لان انتمائها الاول قد تم تدنيسه بذكرى خطيئتها التي لاتتنسى ...

لكنها هي سوسن وبعد كل ما جرى لها اصبحت لاتنتمي الا لنفسها وستحمل تلك النبتة التي تأبى الاستسلام للموت حتى تجد الارض الخصبة لتزرعها فيها من جديد ... اجل لن تيأس رغم ان الجميع يعتقدونها يائسة ! بمن فيهم زوجها حسين .. انها ليست يائسة بل محبطة .. محبطة في طور التعافي .. ففقدانها لطفلها لم يكن سبب احباطها .. بالعكس .. الاجهاض جعل ذهنها يصفو ومشاعرها تتوضح فتحدد الاهداف واول اهدافها هو ... التعافي الكامل .. ولم يكن هناك مكان تلتجئ اليه في رحلة نقاهتها الا صدر والدها الرحب .. الرجل الوحيد الذي لم يخذلها ...

انتظرت حتى فتح لها حسين الباب لانها ابت ان تظهر ارتعاش يدها فيما لو حاولت اخراج مفتاحها الخاص من حقيبتها ...

سبقته بالدخول لتتوجه نحو غرفتها في صمت كئيب .. وقبل ان تحرك مقبض الباب لتفتحه كان حسين يسحبها من ساعدها وهو يقول من بين اسنانه " لن تذهبي الان لجحرك الانفرادي ! لقد طفح الكيل ! نحتاج للتكلم فلم اعد احتمل الوضع اكثر من ذلك .."

تطلعت اليه بعينين مدهوشتين ! من اين جاء كل هذا الغضب الذي تطفح بها نظراته ؟؟!!

آلمها ضغط انامله على ساعدها فاخرجها من دهشتها ثم اخذت تحاول التملص منه وهي تقول بحدة " اترك ذراعي حسين انت تؤذيني .."

تركها فورا وتراجع للخلف بردة فعل مبالغة لم تفهمها في البداية ...لكن تمتماته المعتذرة وهو يحيد بنظراته بعيدا عنها جعلها تدرك ان ذكرى ليلة زفافهما عادت لتعذبه كما تعذبها !!

ابتلعت ريقها وقالت بتماسك هش " ماذا تريد ان تقول يا حسين ؟" تطلع نحوها بعينين مضطربتين وقال بصوت اجش " قبل كل شيء .. هلا سامحتني لما .. فعلته .. ليلة .. الز....فاف ؟!"

ادركت بتعاطف فرض نفسه عليها ان الشعور بالذنب يسيطر عليه ثم بادراك اكبر ان شعوره هذا هو اولى الحواجز التي تفصلهما الان !!

همست بتحشرج وعينين دامعتين " لقد جرحنا بعضنا بعمق يا حسين تلك الليلة لنصل نهاية الطريق سريعا !!"

تقدم نحوها دون ان يلمسها وقال بانفاس متسارعة " لا سوسن ... انا .. انا .. اقصد .. انا ما زلت احبك .. اقسم اني احبك .. " هطلت دمعاتها واختنقت باحساس العجز وهي ترد " لكن الحب لن ينسيك اني كدت ان اكون لغيرك ... اني اخطأت الخطيئة العظمى يوم ان ارتضيت بعلاقة مشبوهة

أصْبِغ عليها الشرعية وكممتها الزوايا المظلمة خلف الابواب الموصدة ..."

مرّر يده في شعره وقال بحشرجة " اعترف ان فكرة رجل آخر لمسك قبلي تؤرقني ! لن اكذب عليك بهذا الخصوص ... " تألم للألم الذي يرسم ملامح وجهها فسارع ليقول بصدق " لكني اعاني عذابا اكبر ... اتعذب في كل لحظة لفكرة هجرك لي .. انا احبك واريدك في حياتي يا سوسن .."

صوت شهقاتها غلب على صوته واعترافاته .. مد يدين مرتعشتين تلامسان خديها تمسحان دموعها وهو يقول " لاعلم ما افعل لاتمسك بك حبيبتي ... الطفل كان معجزة ليبقيكِ معي لكن خسارته جعلتني كالمجنون !! لم يعد هناك سبب اتدارى خلفه لاتعلق باذيالك فامنعك الرحيل ..."

ابعدت يديه عنها واستدارت لتوليه ظهرها وهي تقول بشهقات متقطعة " قد .. يريحني انك كنت تريد الطفل من اجلي وليس العكس ! لكن ..."

صمتت فتسارعت خفقات قلبه هلعا فقال بتحشرج " لكن ماذا سوسن ؟!!" ردت بانكسار " ارتباطنا كله مبنيٌ بشكل خاطئ .. انت لم تكن تحبني وانا احببت فكرة انك فارسي المخلص الذي سيحقق حلماً تحلم به اي فتاة ...."

تهدّج صوتها وهي تكمل " انا احببت الفكرة وعشقت حاملها دون ان اعرف جوهره !"

همس بعد لحظات صمت " انا لم اعرفك جيدا وانت ايضا ... لكن ورغم كل ما تقولين انا احببتك انت .. احببت ما عرفته منك وهو الاهم ... احب ذلك الجانب الرومانسي منك .. احب احلام الفتيات فيك الذي يجعلك بريئة القلب والروح ... احب قوتك عند الضرورة فأنت لست هشة ابدا .. احب هدوئك عند الضرورة وتمردك عند يفطح كيلك !"

اختلطت ضحكاتها مع شهقات بكائها فأكمل برقة " فقط اعطينا فرصة يا سوسن .. اتوسل اليك .. "

قالت بتخاذل " انا لااشعر بالثقة يا حسين .. لااشعر اني قادرة على منح احد ثقتي .. اشعر اني مثخنة بالجراح .. جراح سببها لها الجميع دون وجه حق ! انا منهكة واحتاج للراحة والسكينة .. احتاج ان احب نفسي اولا قبل ان احب غيري ..."

قال بلهجة حنونة " حسنا سوسن .. فقط اقبلي بالمحاولة .. فقط ذلك .. انا لن اطالبك بشيء .. لن اثقل عليك لكن .. ابقي معي .. فأنا ايضا جُرحت سوسن ... جرحت في الصميم رغم انك لم تتعمدي هذا .. لذلك دعي جراحنا تلتأم معا وقد نجد في النهاية طريقا جديداً آخر نسلكه بدل الذي ضللنا فيه ..."

همستها المتأخرة انعشت قلبه وهي تقول بتردد " حسنا ...."

اخذ احمد يحدق بعقل غير قادر على الاستيعاب الى خصلات شعرها التي تكومت عند قدميها بحفيف لم يسمع ... رفع نظراته نحوها وقد بانت الصدمة والشحوب الشديد على وجهه ... طالت لحظات الصمت بينهما ليخترقها صوت مكتوم لسقوط المقص فوق خصل الشعر المنثورة بحزن على الارض ...

الدموع حجبت الرؤية امامها كما حجب الالم المبرح احساسها بأحمد نفسه ... كانت تعاني من كره الذات وهون الكرامة ...

شهقت عندما شعرت باصابعه تلتف حول ساعديها بغضب وصوت احمد الهادر اصابها بالصمم وهو يصرخ قائلا " ايتها المجنونة الغبية ... الغبية ... لماذا كل هذا ؟! ماذا فعلت بنفسك ؟! لماذا فعلت هذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟؟!! .."

ردت على صراخه بصراخ اعلى " قصصت شعري ... شعري الذي يذكرك بها !! انا اكرهه .. اجل اكرهه واكرهك ! اكرهك احمد .. اكرهك ..."

ثم اخذت تدفعه بهستيرية وتضربه بعنف وهي تواصل الصراخ " دعني . اتركني واذهب اليها ايها الخائن ... طلقني وتزوج بها فهي لم تنسَك كما انك لم تنسَها..."

كان جسدها يئّن تحت صلابته التي اعتقلتها بينما هي تزداد شراسة في مقاومته ... طوقها بعزم ليسجن ذراعيها خلف ظهرها ويرفع جسدها الرقيق ليلصقه بجسده ثم قال بصوت خافت

النبرات لكن العنف وفقدان السيطرة يفوحان منه " حسنا يا مرامي ... عليك ان تعرفي ان خلاصك مني مستحيل .. هل سمعتِ ؟؟ مستحيييييل ... ضعي هذا في رأسك الجميل بشعره المقصوص !!"

كانت ما تزال تقاومه وهي تتلوى بجسدها دون نجاح يذكر .. ولانه كان يرفعها عاليا لم تشعر وهو يتحرك بها حتى وصل سريرهما ... كل ما شعرت به انها تهوي على السرير معه ليحتجزها بجسده ... اقترب بوجهه منها ليهمس بشراسة لم ترها فيه سابقا " مستحيل يا مرامي ... مستحيل ان اسمح لك بأن تتسللي من بين اصابعي بعد ان وجدتك .. انت غبية لانك لاتدركين سلطانك عليّ لكن على الاقل انا ادرك سلطاني عليك و ساستخدمه بلا رحمة !"

قاومت والضعف يهاجمها مع كل قبلة متملكة حارة شغوفة يطبعها على بشرتها .. مع كل همسة حب مرتعشة لم تسمعها منه سابقا .. مع كل كلمة تملك تضع قضبانا بين القضبان لتزيد أسرها اكثر واكثر ... حتى استسلمت ضائعة في حكم قلبها الخائن الذي يعشقه ...خائن كمعشوقه الاوحد !

عندما استيقظ احمد كان يشعر بالبرودة حوله ! هب جالسا في سريره وعيناه تبحثان عنها .. ناداها " مراااام ..." لكن لاصوت الا صدى انفاسه التي اخذت تتسارع ...

هبط من السرير ليرتدي ملابسه كيفما اتفق وهو يناديها برعب " مراااام .... مرااااااام " ...

كيف يمكن ان يشعر ان القلب توقف تماما عن الخفقان بينما هو ما زال حيّا يتنفس و..يتألم .. ألم مبرح وهو يتطلع لخزانة ملابسها المفتوحة وقد اخذت بعض الملابس منها بعشوائية لتترك له الباقي يتأمّله ويتألّمه !!

لامس ملابسها بانامل مرتعشة وهو يهمس " لماذا مرام .. لماذا ؟ لقد منحتك كل روحي قبل ساعات فقط .. ألم تشعري ؟ ألم تشفقي ؟!! "

رنّ هاتفه فنفض اوجاعه ليتحرك مهرولا نحوه التقطه ليطالعه اسم اخته نجاة ... تذكر انه انزل ايمن عندها على عجل قبل ان يأتي البيت ليبحث عن مرام .. ابتلع ريقه وفتح الخط وهو يحاول السيطرة على ارتعاش صوته " مرحبا نجاة .." ردت اخته بانفعال رغم انها تحاول كتم صوتها " ماذا فعلت لمرام يا مجنون ؟!!" قال بانفاس متلهفة " هل هي عندك ؟" ردت بنفس الصوت المكتوم " اجل .. جاءتنا منهارة تبكي دون توقف يكفي منظر شعرها المقصوص بعشوائية مجنونة لتصيبني بانهيار انا الاخرى !!"

ارتجف صوته وهو يقول " اين هي ؟ هل ما زالت عندك ؟ هل .. تبكي ؟" ردت نجاة بتنهيدة " لقد استطعنا تهدأتها انا وكريم واعطيتها شايا مهدئاً فاستغرقت بالنوم بعدها رغم ان شهقات البكاء ما زالت تلازمها .. انها لم تكف عن اتهامك بالخيانة !! "

اضافت بصوت مكتوم غاضب " الان انا اجازف واكلمك لاني كريم حذرني من الاتصال بك قال لي انه يريد ان يعاقبك بالقلق عليها فهو غاضب منك ولكني لم احتمل وانا مختبئة الان في غرفة مكتبه لاحدثك بعيدا عن مراقبته .. اخبرني ماذا حصل بالضبط ؟"

رد بضياع حقيقي " نجاة .. لااعرف ما حصل معها .. كنّا بخير بل بالف خير .. اتصلت بها حالما اخذت ايمن لاتأكد انها جاهزة للخروج معنا حتى نشتري هدية عيد ميلاده معاً كما اتفقنا سالفا .." صمت قليلا يحاول تحليل ما حصل فحثته نجاة ليكمل قائلة بقلة صبر " وبعد ؟؟"

رد بصوت شارد " بدت غريبة عبر الهاتف حاولت ان اعرف ما بها لكني لم استطع ! توقعت انها ربما سمعت كلاما سخيفا كالعادة حول سهام .."
قاطعته نجاة قائلة بقسوة " اقسم بالله انا على وشك ارتكاب جريمة مع سهام هذه ! اكمل "

اكمل احمد بنفس الشرود وكأنه يستعيد الاحداث لنفسه " لكن ما ان رأيتها علمت ان هناك امر مختلف .. قلت ساعرف ما يحصل معها حالما ننفرد في بيتنا .." قالت بنزق " لكن ؟!"

قال احمد فجأة وكأنه يستوعب متأخرا احداث يومه " لن تحزري من رأيت في محل الالعاب ؟"
ردت نجاة بعدم تصديق " هل هذا وقته ؟! اخبرني بما حصل بينك وبين مرام "

قال احمد بانفعال متأخر " ولكن هذا ما حصل او الفتيل الذي اشتعل ليحرقنا معا !!" عبست نجاة وهي تسأل " ماذا تعني ؟!" رد باضطراب "لقد رأيت شهد يا نجاة .." هذه المرة كانت نجاة من لا تستوعب !! قالت بذهول " ماذا ؟! شهد ؟!!"

رد احمد باحباط " نعم ... " اختلج قلب نجاة وهي تحاول رسم صورة قاتمة للموقف .. سألت بأحباط " وكيف تصرفت يا احمق ؟" قال احمد مدافعا عن نفسه " اقسم لم افعل شيئا مقصودا .. تصرفت ربما ببعض العاطفية او ربما غلبتني ذكرى ماضية .. لااعرف .. لكني لم اتجاوز الحدود .. اقسم لك ... فقط ذهبت اليها وسلّمت عليها وما ان ردت عليّ شهد بسلام معتاد كأي شخصين يلتقيان بعد خمس سنوات حتى علا صوت بكاء مرام لتتصرف بهستيريا بعدها وتركض هاربة من المحل !"

شهقت نجاة وهي تضع يدها الحرة على فمها وتقول " يا الهي ! وانا كنت اظن ان الامر يخص سهام ! " ثم اضافت بريبة " هل انت متأكد انك لم تتصرف بطريقة اثارت غيرتها هكذا ؟" قال بصدق " اقسم لك لم افعل .. هي بدت غريبة حتى قبل ان ندخل المحل .. ثم حتى لو كنت تجاوزت الحدود مع شهد فردة فعلها غريبة ومبالغة ! انت لاتعرفين كيف بدت محطمة !!"

قالت نجاة بتفكير حانق " لكن من اخبرها عن شهد ؟! لابد انها ابنتي الاكثر حمقا من خالها .." قال احمد مفسرا " لقد قالت لي فيما بعد انها

سمعتني احدثك عنها قبل خمس سنوات .." اخذت نجاة تدعك جبينها وهي تهمس " يالَ الكارثة !! ما هذه المصائب ؟! حسنا اكمل .."

تنهد من اعماقه وهو يردف قائلا " لم استطع اللحاق بها لاني اضطررت ان ابحث عن ايمن اولا ولولا مساعدة شهد لاخذت وقتا اطول لايجاده .." كزّت نجاة على اسنانها غيظا لتقول بحنق مكتوم " اقسم لو ذكرت اسم شهد مرة اخرى فستكون انت ضحيتي التالية بعد سهام .."

تحشرج صوت احمد وهو يقول بجدية " نجاة ... انا احب مرام فقط .. هي بالنسبة لي كل شيء وليس كل النساء فحسب .. هل تفهميني يا نجاة .. انها .. كل .. شيء .."

اشفقت عليه نجاة لتقول برقة وعاطفية " افهمك يا قلب نجاة .. اكمل .." قال بألم " وصلت البيت وجدتها في حمام غرفة النوم وقبل ان ادخل اليها خرجت وهي تبدو في حالة انهيار .. " اخذ نفسا قبل ان يكمل قائلا " تحدثت بكلام كثير .. كله يدور حول شهد وانها حبي الاوحد واني لم اتزوجها الا لانها تشبهها وقبل ان احاول تهدأتها لافهم ما يحصل وجدتها تحمل مقصا ! " شعرت نجاة بهول الموقف فهمست " يا رب السموات !" قال احمد ورعب اللحظة يعود اليه " تجمدت وفقدت قدرتي على التحكم بها ... ارتعبت مما يمكن ان تفعله بنفسها وهي تحمل هذا المقص الحاد الكبير .."

خنقته العبرة وعيناه تستقران على خصل شعرها التي ما زالت تفترش الارض ثم قال بألم مبرح " في

ثواني كانت تقص شعرها بهستيريا !" قالت نجاة متوجعة لاجلهما معاً " وماذا فعلت انت ؟!"

رد بنفس الالم " جن جنوني خصوصا عندما اخذت تقول انها تكرهني وتريد .. ال ...طلا.." العنف والغضب ما خنق كلمة (الطلاق) على لسانه .. شعرت نجاة بالقلق فسألته بصراحة " هل آذيتها ؟!" هتف بلوعة " بل منحتها نفسي ليس كرجل فحسب بل كأنسان ايضا ... علّها تفهم ما هي بالنسبة لي .." رغما عنها وجدت نفسها تضحك بهستيرية فقال احمد بغيظ شديد " لاتضحكي نجاة .." هدأت ضحكاتها قليلا ثم قالت " لااصدق كم انت عاطفي كالثور !!"

هتف بها " نجاة ! " فردت برقة " حسنا يا اخو نجاة اتركها الليلة عندنا وحتى ايمن دعه يبيت ليلته معنا واما انت فلك الله لاني لااستطيع مساعدتك بشيء آخر .." قال بشجن " بل تستطيعين .. فقط كوني معها ... لاتتركيها .. انها مجنونة عاطفية .. وسآتي غدا لنتفاهم سوية " قالت بحنان " حسنا يا صغيري .. لاتقلق عليها .. " ثم اضافت " اذا اتصلت ام مرام تسأل عنها اخبرها انها تبيت مع منى هذه الليلة وسأكلمها بنفسي غدا .." ردد بشرود حزين " حسنا .." لم يكن فعلا بيدها ان تفعل شيئا آخر فقالت بمرح لتحاول رفع معنوياته " سيكون كل شيء على مايرام ايها الثور ... " لم يرد بشيء فقالت بحنان " تصبح على خير

صغيري .." رد باختناق " تصبحين على خير ..قبليها ... من اجلي .." ...

سقط الهاتف من يدها وصوت غاضب يقول من خلفها " فعلت ما في رأسك واتصلت به .." ردت بعتب وتأنيب " اجفلتني كريم !!ألَم يكن في مقدروك التنحنح مثلا قبل ان تهدر هكذا من خلفي ؟؟!! "

تقدم نحوها غير مبالي بمحاولاتها الفاشلة لجذب انتباهه لناحية بعيدة عن هدفه فقال بصرامة " لقد حذرتك .."

ادركت انها احدى حالات غضبه التي تستوجب منها الانحناء لتمر العاصفة بسلام .. ابتسمت برقة واستعطفته بملامحها قبل كلماتها " كان يجب ان اطمأنه على زوجته حتى لايتهور .. وخفت ايضا ان يتصل بامها وتكبر المشكلة .. "

حدق فيها يدرس كلماتها بعناية .. لانت ملامحه قليلا ليقول " كنا محظوظين جميعا لانها لجأت الينا بحالتها تلك بدلا من امها .." ردت بعاطفة " انها تلجأ اليه هو يا كريم .." ضيّق عينيه وهو يتساءل " تقصدين احمد ؟" ردت بتنهيدة من قلبها " نعم ... انها تبحث عنه فينا .. انها تعشقه ولاتستطيع الحياة بدونه ..انت لاتعرف ماحصل !! " كست الجدية وجهه وهو يقول محذرا " مؤكد لن تصبري لتقوليه لي .. لكن ... لاتأخذك العاطفة بعيدا .. الامور لاتحل بهذه الطريقة .." عبست

لتقول بحنق " انا اعلم هذا ! كنت اعبر لك عن احساسي بها فقط .."

وضع كريم يديه على كتفيها وقال بوضوح " نجاة مهما كان ما حصل ... دعيني اقوم بواجبي تجاهها ... دعيني اكون ظهرا تستند اليه فلاتشعر بالضيّم والقهر .." عقدت حاجبيها وهي تقول باستهجان " لكن احمد ظهرها !"

رد كريم بهدوء " كل امرأة في بعض اللحظات تحتاج لاسناد خارج نطاق الدعم الذي يقدمه لها زوجها عادة لانه اسناد يقف بوجهه هو .."

قالت نجاة بتأفف " انا لم احتَج لهذا الاسناد .. دوما كنت انت كل شيء بالنسبة لي .." رد بابتسامة حانية " نحن حالة مختلفة نجاة كم مرة قلت لك هذا ؟!! لن تستطيعي جعل علاقة احمد ومرام او اي ثنائي تهتمين لهما لاتستطيعين جعلها كحالتنا نحن .." لم يعجبها كلامه فاكمل قائلا بلطف " كل ثنائي يحكمه نوع من التطابق والتكامل في آن واحد .. ويظل الاختلاف موجودا لكي لايكون ترابطهما تاماً .. قلة نادرة من يجدون ما وجدناه نحن ... المسألة ببساطة اننا فعلا نكمل بعضنا بطريقة متفرّدة ..."

وضعت راسها على صدره وقالت بلهجة متوسلة " حسنا حبيبي .. لكن ... لاتقسو عليه .." رد وهو يمسد على شعرها " سافعل ما هو ضروري لهما معا ..والان .. اخبريني ماذا حصل بينهما ؟" ...

في اليوم التالي ...

ما زالت لاتستطيع مغادرة السرير .. تشعر بتخاذل جسدها وانكسار روحها ... رغم كل ما قالته لها خالتها نجاة صباح اليوم الا انها في داخلها تحتاج لاكثر من كلمات رومانسية تصف عشق احمد المفترض لها .... لقد اهتزّ عالمها تماما .. لن تعود مرام كما كانت ابدا ! ليلة الامس كانت غريبة بطولها ووحشتها ... وفي غمرة احساسها الفظيع هذا تسلل بجسده الصغير ليقول بصوته الناعم المحبوب " مرام .. اريد النوم بجانبك .." بدموع لاتتوقف ضمته لصدرها تشم عطر ابيه فيه لتدرك ان الادمان على الحب لافكاك منه ... انها تعشق طفله بطريقة غير عادية او حتى قابلة للتفسير...

فلاتعرف هل تحب احمد فيه ام تحب الشعور انها تعوض ايمن بعض احتياجاته ....

دقات هادئة على الباب لم تجد القوة او الرغبة للتواصل معها ... فُتحت الباب ليجذبها صوت تهربت من التفكير في صاحبته ومواجهتها ...

قالت بشرى بهدوء وهي تجلس بجانبها على السرير " صباح الخير حبيبتي .."

في لحظة شعرت انها عادت طفلة.. طفلة تتألم بعد ان ضايقتها بعض الفتيات في المدرسة وهن يسخرن من هزالها الشديد .. تلجأ لسريرها لساعات عدة حتى يأتي والدها لغرفتها فيقول ببشاشته " جميلتي جميلتي ... تعالي واختبأي بحضن والدك المشتاق ..."

وهنا تقفز اليه تضمه اليها وتبكي حتى يجد الضحك طريقه اليها ولاتعرف هل تضحك بسبب دغدغات اصابع والدها ام ان البكاء في احضانه قادر على امتصاص اسوأ مشاعرها فلا يتبقى الا الفرح !!

انهارت مرام في احضان امها تبكي حاجة ملحة لترفع عن كاهلها هذا الشعور الثقيل بالخسارة !

بعد مصارحة طويلة قالت الام بحنان وهي تمسك بوجه ابنتها الباكي " حبيبتي .. انت اشجع مما كنت اعتقد حتى .. لقد كنت قوية وانت تواجهين تجربة صعبة لم اتمناها لك لكن القدر كان له الكلمة الاخيرة ..."

شاب نظرات مرام شعورا بالذنب قبل ان تحيد بعينيها بعيدا فابتسمت الام قائلة " لاداعي لتهربي من مواجهتي يا مرام .. كما لاداعي لشعورك بالذنب ... كأم ما زال في داخلي شعور يقول (ألم يكن افضل لو ...) لكني اوقف الامر عند كلمة (لو) لانها تفتح الباب للشيطان ...."

عادت مرام لتنظر لامها باحساس متخبط فتنهدت الام قائلة " انظري للأمور من زاوية اخرى يا ابنتي ... زوجك يحبك انت ويعشقك انت .. باعترافك لم يشعرك يوما بغير هذا فلماذا تنهارين من نظرة حنين افلتت منه نحو امرأة احبها يوما ... ؟!!" اختلجت تعابير مرام بالألم وهي تقول بتحشرج " امي .. مجرد قولك هذا يحطمني !" ألم ابنتها مزّق قلبها لكنها استطاعت ان تقول بحزم " مرام

تجاوزي جموح رومانسيتك.. كوني واقعية بنيّتي ولاتعطي الامور اكبر من حجمها ... تخيلي لو التقيت بفراس بعد بضع سنوات ألن يكون لك رد فعل مشابه الى حد ما ؟؟ مع العلم انك لم تعشقي فراس بل مشاعرك مالت نحوه .. "

تشوشت مرام وهي تهمس " لكن ..." قاطعتها امها قائلة بنفس النبرة " لايوجد لكن ... كوني قوية فحسب .. انت الان امرأة متزوجة ولست فتاة صغيرة .."

نظرت مرام لامها باستعطاف لتقول " احتاج للوقت .. هل هذا كثير ؟؟ " ردت بشرى بابتسامة حانية " لا .. ليس كثيرا ... خذي كل وقتك .. انت هنا وكأنك في بيت زوجك وبنفس الوقت ستجدين الفسحة حتى تعيدي حساباتك مع نفسك ... فربما في داخلك اشياء اخرى تضنيكِ وما حدث بالامس لم يكن الا القشة التي قصمت ظهر البعير .."

الانهاك النفسي بان على وجه مرام بينما الام تقاوم النظر لخصلات شعرها المقصوصة بعشوائية مؤلمة ! قالت بشرى اخيرا " الحب يا مرام لاتعني ان نتهاون في حق انفسنا .. ابحثي عن الخلل وواجهيه وانا متأكدة ان احمد في النهاية سيسعى لارضائك .." ...

كانت نجاة تتحرك ذهابا وايابا في غرفة الجلوس وعيناها لاتكفان عن النظر نحو السلم بانتظار نزول ام مرام ... ابعد كريم الصحيفة التي كان

يقرؤها عن مستوى نظره ثم قال " اهدأي نجاة .. ام مرام انسانة عاقلة وواعية .." لم ترد نجاة بشيء بينما قالت منى بمشاكسة " انت لاتعلم يا ابي سر قلقها .. انها تخشى ان تأخذ الخالة بشرى ابنتها معها وبذلك ستخرج مرام عن دائرة مراقبة عيني امي التي هي عيني خالي !" هتفت نجاة بحنق " توقفي عن الثرثرة الفارغة يا فتاة واذهبي لمراجعة دروسك عسى ان تتعلمي شيئا مفيدا .."

ضحك كريم بينما ردت منى بغيظ " انا ليس لدي دروس !! انا اعمل الان امي ام انك نسيتِ؟!!.."

قالت نجاة بعينين متفحصتين مقيّمتين " لم اقصد هذا النوع من الدروس .." احمرت منى بشدة وتحركت منفعلة لتغادر غرفة الجلوس وتتجه نحو المطبخ ..

قال كريم وهو يعيد تركيزه لصحيفته " لاتقلقي نجاة .. اتركي الامور تجري بسلاسة .."

همست نجاة وهي تسمع خطوات على الدرج " اتمنى ذلك من قلبي .." ...

بعد ايام ...

قال احمد بانفعال شديد " اريد زوجتي كريم .. انا تركتك تحجبها عني لاسبوع كامل وكلما اتيت تمنعني حتى من دخول البيت بحجة انها تستريح

وتهدأ .. لكن فاض الكيل وانا اعرف باغمائها ليلة الامس دون ان يخبرني احدكم بذلك ولولا فلتة لسان منى لما علمت ..."

نظر كريم نحوه بغموض بينما اضاف احمد وهو يضرب بكفه على حافة الباب الخارجي حيث يقف مع كريم واخته نجاة التي تتهرب من النظر نحوه " اريد رؤيتها الان .. حالا .. فما حصل كله سوء تفاهم ويجب ان اجلس معها لنتحاور ونتفاهم .."

قال كريم وهو يضع يديه في جيبي بنطاله " زوجتك مرهقة وتحتاج للراحة وهي ما زالت لاتريد رؤيتك وحتى تحدد هي الوقت الذي يناسبها لتتكلم معك لااريدك ان تأتي هنا مرة اخرى .."

قال احمد بعدم تصديق " هل تطردني يا كريم ؟!! تطردني من بيتي كما تدّعي دوما ؟؟" اخذ احمد ينقّل نظراته بعتب شديد بين كريم الهادئ ونجاة المتوترة .. اجابه كريم " انه بيتك وبيت مرام ايضا واذا استدعت الظروف لتواجد احدكما دون الآخر فاعتقد انت تؤيدني بأن مرام هي الاحق بالبقاء .."

مسح احمد وجهه بكفّه وقال بارهاق " انا احبها كريم .. اعشقها ولااستطيع العيش بدونها.." رقّت ملامح كريم ليقول " اعلم هذا او على الاقل اصبحت اعلمه !"

عبس احمد وهو يقول " ماذا تقصد ؟! " رد كريم وهو ينظر مباشرة في عيني احمد " هل تعلم انها

المرة الاولى التي اسمعك فيها تردد كلمة حب لمرام ؟ دوما كنت تقول احتاجها... احتاجها !!"

اتسعت عينا احمد بينما همست نجاة تعاتب زوجها " كريم !" قال كريم دون ان يحيد بنظراته بعيدا عن احمد " فليواجه الامر يا نجاة .. طوال تلك الفترة وانا اتحامل على نفسي واكتم كلمات تخنق ضميري وترهق بحملها كاهلي ... عليه ان يعرف ان مرام تحتاج لاثباتات قوية انه يحبها حقيقة .. ليس لانها بديل لشهد او تعويض عن سهام .."

قال احمد بصوت متأثر" بديل ؟!! اي بديل ؟؟ هل تصدق حقا اني اردتها بديلا لشهد ؟؟ " رد كريم دون مراوغة " الى حد ما هذا ما كان يخطر في بالي ويصيبني بالرعب !"

هزّ احمد رأسه بعدم تصديق وقال " اذن لاالوم جنون مرام لمجرد اني ذهبت لاسلم على شهد في المحل .."

قال كريم وهو يتهمه بنظراته قبل كلماته " هل سلمت عليها فقط يا احمد ؟؟! ألم يخنك حنين باهت اليها ؟؟ ألم ترتعش لذكراها ؟؟ انا لااحاول لومك لان هذا يحدث ولايعني انك ما زلت تحب شهد ولكني احاول ايصال شعور مرام اليك .. انت تعرف كيف تعشقك فتخيل وهي تراك بهذه الحال !"

غامت ملامح احمد ليقول باحباط " يا الهي .. لااعرف كيف حدث كل هذا .. لااعرف حتى كيف شاءت الصدف ان نتواجد في ذلك اليوم نحن الثلاثة معا في نفس المكان .. ورغم ذلك لحد الان اجد ردة فعل مرام غريبة وغير مفهومة !! لقد اصابتني بجنون يفوق جنونها وهي تقص خصلات شعرها امامي بينما انا اقف عاجزا كأبله !"

هنا قالت نجاة بغيظ شديد " ربما لو قرأت الرسالة التي وصلتها على هاتفها قبل خروجكما ستدرك ما الذي جعل مرام تفقد السيطرة هكذا .."

عقد احمد حاجبيه وهو يردد " رسالة ؟! ايّ رسالة ؟؟ " ردت نجاة بغضب متفاقم " رسالة ارسلتها زوجتك المصون وربما بتخطيط من امها ايضا ... "

اضطرب احمد والخيوط تتشابك في عقله ليقول " انا لاافهم ! ارجوك اشرحي بوضوح " زمّت نجاة شفتيها ثم قالت " لولا اني لااتجرأ لانتهاك خصوصية مرام لاحضرت لك هاتفها حتى تقرأ وترى بنفسك ، لقد ذهلت لمدى الحقارة التي وصلت اليها زوجتك المريضة .."

قال احمد بحزم هذه المرة " اخبريني نجاة بالله عليك ولاتجعليني اتوه اكثر .." ردت نجاة والغضب ينضح من كلماتها " ببساطة ارسلت لها صورة لشهد تبدو فيها قريبة الشبه بمرام وكتبت

لها بضع اسطر تقطر سما مفادها ان شهد هي غريمتهما الحقيقية وانك فضّلت مرام لانها تشبهها " جحظت عينا احمد بينما اكملت نجاة " ولم تكتفِ بهذا بل كتبت لها تسأل بسخرية ان كانت تسمعك تهمس بأسم شهد ليلا وانت نائم كما كان يحدث معها " همس احمد بغضب مكتوم " يا الهي !! هذا كذب وافتراء حقير .."

ثم توقف للحظات بينما نظراته تتشبعان بالمعرفة !! قال بتحشرج " تذكرت الان ! انها هي من خطط لكل هذا ! اجل .. هي من اصرت ان آخذ ايمن لاشتري له هدية من هذا المحل بالذات مدعية وجود لعبة يرغبها بشدة ! " تقبّضت يداه وهو يكمل من بين اسنانه " لقد كانت تعرف ما تفعل .. سحبتنا رويدا رويدا لنقع في الفخ .."

عندها فاض غضب نجاة فقالت بلهجة منتقمة " حسنا ما دام الامر وصل لهذه الدرجة فربما حان الوقت لاخبرك بأمر طال كتماني له .." نظر احمد نحوها وهو يقول عابسا بشدة " ايّ امر ؟!"

تدخل كريم قائلا " نجاة !هذا ليس وقته .." لكن نجاة اصرّت قائلة " لا كريم ... انه الوقت الانسب .. لم يعد هناك تراجع .. احمد يجب ان يتصرف بطريقة مختلفة مع تلك المختلة .."

هدرت الانفاس في صدر احمد وهو يتوقع الاسوأ ليقول بحزم " ماذا تخفين عني يا نجاة ؟!" رفعت نجاة ذقنها وقالت دون تراجع " ساخبرك .."

عندما دخل احمد هادرا للبيت فاجأته رؤية ايمن يجلس بمفرده تحت السلم .. سيطر على انفعاله قليلا وهو يقترب منه مبتسما ... لكن ما حدث بعدها كان مهولا !!

صرخ احمد وهو يدخل غرفة الجلوس فاقدا السيطرة على نفسه " من فعل هذا بأيمن ؟! "

تطلعت كل من سهام وامها اليه حاملا ايمن المنكمش على صدر ابيه ممسكا بيده اليمنى الصغيرة ... فقالت سهام تستفزه او ربما تحاول المناورة قليلا " ما بك ؟! هل العروس الجديدة تجعل مزاجك سيئا هكذا ؟!"

لم تكن تدرك ان الامور تفلت تماما منها .. ذهلت وهي ترى احمد يبتلع غضبه الجامح ليستدير مغادرا غرفة الجلوس ثم سمعت صوت الباب الخارجي يفتح ليعود بعد لحظات بمفرده فاقترب منها و دون سابق انذار او توقع نزلت صفعة مدوية على خدها الايسر " آآآآآآه .." وقبل ان تنطق بشيء هي او امها قال بغضب ناري " ساقطعك لسانك ان همست باي حرف يمس مرام .. " ثم نقّل نظراته بين الام وابنتها واضاف بشراسة " الان هل ستخبرني احداكما من احرق يد ولدي ؟!واياكما والكذب فهناك من احرق يده عمدا !"

قالت الام باشمئزاز " انه طفل غبي لايستوعب الامور سريعا .. فلا تكبر الموضوع وتعطيه اكبر من حجمه .. الامر لايعدو ان كان مجرد محاولة لمعاقبته لانه كسر الصحن ودون قصد حصل حرق بسيط وعالجناه "

صرخ احمد في حماته بهياج " انتما مجنونتين .. حقا مجنونتين !!" ثم التفت نحو سهام ليقول بكره شديد " اقسم بالله العظيم هذه المرة لن اغفر ما فعلته ... لا لايمن ولا لمرام .."

قالت سهام بكره مماثل " هل اصبحت تحبها حقا ام يجب ان اقول وجدت حبك لشهد فيها " رفع قبضته امام وجهها بتحفز وقال من بين اسنانه " حسابنا طويل يا سهام ... طويل جدا ... ولكني ساجيبك فقط لاحرق قلبك هذا ان كنت تملكين قلبا حقا مع ذلك احب ان ارى تعابير وجهك وانا اقولها .."

انزل قبضته وقال بعيون تلمع " أنا .. اعشق مرام .. اعشق تفاصيلها ..حنانها .. ابتسامتها .. قلبها الدافئ الذي يمنح دون انتظار لاي مقابل .. حتى لاتنتظر ان ابادلها الحب .. انها فقط تعطي وتعطي وتعطي .. روحها تتسلل الى روح كل من يقترب منها لتسكنه وتنشر الفرح فيه دون عناء ... " ارتجفت شفتا سهام ليقول احمد باشمئزاز " كم انت مسكينة لانك لاتشعرين بقدرة على العطاء حتى لابنك !! "

استدار ليتركها دون كلمة اخرى فنادته قائلة " اين ستأخذ ايمن ؟!" توقف ليستدير نحوها ويقول ببرود " منذ الان سيعيش مع اختي نجاة .. انت ام غير صالحة اطلاقا ولاتستحقين طفلا مثله .. طفل يزداد انطواءا وذبولا يوما بعد يوم وهو قربك .. لذلك سأرحمه من حبه لك الذي يضنيه لانه

لايملك الا ان يحبك كما لايملك الا ان يبحث عن العطاء منك .."

صمت وهو يدرس ملامحها المرتبكة وكأنها لم تتوقع خطوته هذه ليضيف " فلينشأ يتيما خير من ان ينشأ كارها لذاته لان امه لاتستطيع محبته .."

قالت بحدة تهدده " اذا طلقتني سآخذ حضانته .." ابتسم ساخرا وهو يقول " لن اطلقك الان بل ساتركك هكذا تتآكلين من الداخل وحيدة بين اربعة جدران ذليلة ومكسورة امام الناس الذين تحسبين لصورتك امامهم الف حساب ..."

ثم التفت ليترك غرفة الجلوس وهو يقول " عندما تقررين الحصول على لقب مطلقة اعلميني وانت تعرفين سيكون معها ورقة التنازل عن حضانة ايمن

وانا في المقابل ساكون اصيلا معك وامنحك هذا البيت ملكا لك .. هذا البيت فقط لاغير .."

توقف ليقول هازئا " نسيت ان اخبرك ... فلتجدي سبباً آخر تعطينه للناس حول عدم معاشرتنا الزوجية !فأنا ايضا استطيع قول الكثير .. الكثير الكثير ... "

وهكذا خرج تاركا المرأتين تحدقان في اعقابه ...

كانت الام اول من انفجر ! لتصرخ بغضب " ايتها الغبية .. ايتها الغبية ... لقد اضعتِ كل شيء ... كله بسبب هفواتك ولسانك الذي يتكلم كثيرا ... وفوق هذا غباءك كامرأة لاتعرف كيف تجعل رجلا عبدا لشهوته نحوها.. هل كان يجب ان اخبرك

ايضا بما يجب ان تفعلينه في غرفة النوم مع زوجك ؟!!"

النيران تتأجج !! غليان غريب وحشي ينطلق كالحمم الخامدة من اعماق مظلمة سحيقة .. صرخات طال كتمانها اخذ يرتفع صداها .. صور طال حفظها بين ثنايا الذاكرة البريئة التي تشوهت مبكرا ... مبكرا جدا !! هذه الصور اخذت تتلاحق امام ناظريها بسرعة رهيبة ...

قالت سهام بنبرة غريبة " لاحاجة لتخبريني لاني رأيت وبأم عيني ما تفعلينه انت مع زوجك .."

ارتبكت الام قليلا بعدم فهم وهي تقول " ماذا ؟!!" حدّقت سهام بحقد متأصل فيها وقالت بسخرية مريرة لاذعة " اجل يا مبجلة يا عظيمة يا داهية في الذكاء ... لقد سبق ورأيت كيف تقرفين وتشمئزين وانت تعاشرين ابي .. ابي الذي كان ينعتك بنعوت البغايا !! كم كنتما مقرفين !! حتى ذلك السرير الواسع الذي ضمكما هو نفسه كان يقرف من مما تتشاركانه ..."

اتسعت عينا الام ليجتاحها الغضب في ثوان وهي تهدر قائلة " ايتها الفاسقة .. الفاجرة ... هل كنت تتلصصين على خلوتنا ؟!!" ضحكت سهام ضحكة كريهة جدا لتقول بعدها باشمئزاز " بل الصدفة البحته التي جعلت طفلة تلعب مع اخيها لتختبئ في خزانة الملابس في غرفة والديها .."

ضحكت سهام بطريقة ابشع لتضيف وهي تتقدم نحو والدتها " اخبريني امي .. هل تعتقدين انك

كنت حقا (امرأة) في سرير والدي ؟! انا اشك في ذلك والدليل انه كان يخونك مرارا وتكرار !! ولا استطيع الا ان افكر انك حتى لم تكوني نصف امرأة !!" صرخت الام بها وهي تهم ان تصفعها " يكفي يكفي يا حقيرة .." فما كان من سهام الا ان دفعتها بقوة وهي تفقد السيطرة تماما وتصرخ بصوت يصم الآذان " انت يكفي .. يكفي ..."

نظرت الام نحو ابنتها بصدمة وذهول لتقول غير مصدقة " تدفعينني يا مجنونة ؟!! بعد كل ما فعلته لك ؟!!"

كانت سهام قد فقدت السيطرة فعلا فالانفجار حصل ولم يكن هناك من يوقفه !! قالت بكره اعمى نضحت بها كلماتها " انا امقتك واكرهك واشمئز منك كما اشمئز من نفسي لاني منك..."

ثم اخذت تدفعها مرة تلو الاخرى وهي تصرخ بهستيرية " اخرجي من حياتي ... اتركيني ... لااريدك ... انا لااطيق النظر لوجهك واكاد اتقيأ من نبرة صوتك .." كانت الام تحاول التوازن حتى لاتقع ارضا بينما تقول بذهول متزايد " ماذا جرى لك يا سهام ؟!! هل فقدتِ عقلك تماما ؟!!"

لكن سهام ظلت تصرخ " غادري بيتي .. لااريدك هنا ... غادرييييه ..." ثم اخذت تتوعدها بنظرة شابها الجنون " اقسم ان لم تغادريه خلال ربع ساعة ساريك اني فقدتُ عقلي تماما .."

خوف حقيقي تمكن من الام وشعرت ان ابنتها على حافة جنون حقيقي لذلك اثرت التراجع وهي تقول ببرود مصطنع " ستندمين على فعلتك هذه وستستجدين عودتي لانقذك " فما كان رد سهام الا ان قالت بانهاك جسدي وعقلي " غادري !" ...

قالت نجاة وهي تأخذ ايمن النائم من ذراعي والده " هل انت متاكد من قرارك ؟" رد احمد وهو يتململ بوقفته بجانب سيارته " نعم .. انا واثق .. لكن هل ساثقل عليك لتتحملي مسؤولية ايمن مؤقتا ؟" عبست نجاة لتقول كأم حانقة " ساضربك على راسك يا فتى .."

اطرق احمد برأسه وقال بصوت ابح " كيف هي ؟؟" ردت نجاة بتنهيدة " تسرح اغلب الاوقات لكننا لانتركها لحظة بمفردها .. البارحة منى جعلتها تضحك من قلبها وهي تصف لها مديرها في الشركة وكان هذا تقدم ملحوظ بعد اسبوع من الصمت الحزين .." ابتلع احمد ريقه وقال بنعومة " اخيرا ضحكت ؟!! كم اشتقت لصوتها وصوت ضحكاتها .."

قالت نجاة " الحمد لله على كل حال .. في الليالي الثلاث الاولى كانت تستيقظ تبكي كطفلة ! فحولنا سريرها لغرفة منى لتكون بجانبها .."

تلعثم احمد وهو يقول بنبرة متوسلة " اسمحي لي برؤيتها ... انها تحتاجني نجاة كما احتاجها انا .."

لم تسمح له نجاة بعبور حدود الباب الخارجي وقالت ببعض الارتباك " رويدا رويدا يا احمد .. الان هي تحتاج لتجد نفسها فما حصل شوش مشاعرها وجرحها بعمق ... كما انها ... مرهقة واخاف ان .. رأتك ان يغمى عليها .. مرة اخرى ...فهي .. ضعيفة .."

لايعرف احمد لما شعر بشيء ما تتخلل نبرات صوت اخته ! كان على وشك سؤالها عمّا تخبأه عندما سارعت نجاة لتقول " امها علمت .. جاءت ورأتها وتكلمتا سويا على انفراد "

قال احمد بتنهيدة طويلة " اجل اعلم ... لقد اتصلت بي لتفهم ما حصل ، وكان لنا كلام طويل ايضاً.."

قالت نجاة بتوجس " هل شرحت لها كل شيء ؟" رد احمد " اجل وهي تفهمت ونصحتني بالصبر قليلا حتى تستعيد توازنها .." تنهّد مرة اخرى وهو يقول بتحشرج " انا اشتاق اليها .. اموت يوميا وهي بعيدة عني .. اشتقت اليها نجاة .. اشتقت .."

ردت نجاة تواسيه " اصبر يا صغيري .. هي ايضا تحبك ومؤكد تشتاق اليك .." فجأة التمعت عينا احمد برجاء وقال بحماسة " اسمحي لي بالبقاء هنا الليلة .. لن اقترب منها ولن اريها وجهي .. فقط اريد ان اكون بنفس المكان ..حتى لو نمت في الحديقة فلا امانع ..."

أنّبته نجاة قائلة " لاتكن لحوحا ... اذهب الان فأبنك سيقصم ظهري واريد وضعه في السرير .." اوشكت ان تستدير عندما همس " هلا تقبلينها نيابة عني ..؟؟" ردت وهي تهزّ راسها " حسنا حسنا ... كم انت لجوج ؟!!"

بعد اسبوعين آخرين ..

مع شمس النهار والهواء العليل القادم من الشباك المفتوح استيقظت مرام منتعشة دون سبب واضح .. وربما لانها اصبحت تنام كثيرا وعميقا وربما لانها اصبحت تحلم احلاما مبهمة كلها سعادة رغم ان عقلها يأبى الرضوخ لتتذكر تفاصيل تلك الاحلام او حتى بطلها ....

نحت جانبا اي تفكير في طرق يألفها قلبها ويرفضها عقلها ... العم كريم جعلها تدرك انها بحاجة للتصالح مع عقلها اولا ليوضح الطريق الصحيح للقلب .. بعد ايام وليالي طويلة غارقة بصور عذبتها استيقظت يوما لتستقبل صباحا جديدا تحول فيه الانكسار وبشكل عجائبي لفسحة رائقة للتصالح مع نفسها ككل ، ودعم الجميع لها اشعرها بالتماسك .. خصوصا امها فبعد حديثهما

الطويل شعرت ببعض الراحة لانها افصحت عن كل دواخلها .. انها تعترف ان احساسها بالخجل كبّلها خلال الشهور السابقة فلم تفصح لامها بشيء حتى لاتلمها على اختيارها .. امها الحنونة كانت كبلسم على جرح حار غائر .. حنانها .. ثقتها بها انها ستجد الحلول كان دفعة قوية لايماثلها شيء آخر ... لقد فاجأتها لعدم ممانعتها ببقائها في بيت العم كريم لانه بيت زوجها ايضا .. وقالت بوقتها " الزوجة لايجب ان تترك بيت زوجها الا لاسباب قوية جدا ..."

عادت لتنحى جانبا اي تفكير مزعج .. تمطّت وهي تنظر للسرير المجاور الذي يخص منى وكالعادة كان فارغا من صاحبته .. اصبحت منى مختلفة .. اكثر نشاطا وحيوية واكثر رقة ! ترى متى ستعود تلك الغيبة لمصطفى بدلا من مراقبته في ذهابه وايابه ...

صوت مزعج حاد اتاها من جانب الشباك شتت مزاجها المتعافي الرائق ... عبست وهي تفكر ان هذا يبدو وكأنه صوت ماكنة جز الحشائش .. همست لنفسها وهي تغادر سريرها " لابد انها الخالة نجاة تعمل في حديقتها .."

وبابتسامة ناعسة خرجت عبر الشرفة المطلّة على الحديقة بعد ان ارتدت روبا خفيفا يلائم هذا الطقس الخريفي ...

الابتسامة تجمدت على فمها وهي تواجه ... رؤيته !!.. بعد ثلاثة اسابيع من فراق طويل معذب تختبئ فيه حتى من صوته اذا حضر ها هي تراه

بشحمه ولحمه يتحرك بهمّة وهو يدفع ماكنة جز الحشائش كما حزرتها سابقا ...

لم يكن يرتدي الا بنطال من الجينز بينما ترك نصفه الاعلى عاريا لتلتمع على بشرته اشعة الشمس .. اوشكت ان تعبس حنقا عندما لمحت نسخة مصغرة عنه تدور حوله .. ايمن وهو لايرتدي اكثر مما يرتدي والده ! مجرد بنطال قصير من الجينز ايضا .. لاتعرف لماذا تصاعد شعورها بالغضب هكذا ؟! هل لانه نجح في جذبها للنظر اليه والتحديق فيه بينما تأبى الانصياع لحنينها اليه ؟؟...

قلبها الخائن ايضا اخذ يغرد كطير وجد وليفه ويأبى مفارقته .. عيناها تأبيان الرضوخ لرغبتها بالابتعاد وهما تتمليان من هيئته العضلية التي احتوت جسدها عشرات المرات ... احمرت وهي تتذكر اخر مرة .. لقد كان عاطفيا بطريقة غريبة افقدتها احساسها بأي ألم .. ولو لفترة مؤقتة .. يدها لاشعوريا ارتفعت لتلامس شعرها الذي يكاد يلامس كتفيها بعد ان هذّبته لها الخالة نجاة لتعالج ما خربّته هي فيه ... عاد الألم ... لم يعد قويا محطما لكنه ما زال موجوداً كسوسة صغيرة تصر على النخر في صفاء بالها ...

لم تتنبه لتوقف صوت الماكنة حتى سمعته يقول بصوت مبحوح " صباح الخير يا غرامي .."

الفصل الثامن عشر و الأخير

على قد الشوق ..اغنية لعبد الحليم

وهما يتأملان بعضهما البعض باشتياق مفضوح لم تداريه المسافة البسيطة التي تفصلهما ... مع ذلك ...

أبت ان تخضع له .. !

لابتسامته التي تحمل اكثر من تفسير ما بين فرح واشتياق وعتب !..

لنظراته الحارة وهي تتمليان من تفاصيلها بتدقيق يفتن انوثتها ...

لنبرة صوته التي تناديها بسحر يفوق سحر الكلمات نفسها ..

لانفاسه التي يتهدج بها صدره بوضوح تعلن عن لوعته وهو يراها من بعيد بينما كل ما يتمناه هو .....

" تعالي مرام وشاركينا العمل ..." صوت ايمن تقاطع مع تلك الذبذبات التي تنتقل بينهما ... حادت بنظراتها بعيدا عن احمد لتتجه نحو صغيره الذي يحمل بيده كومة من الحشائش ويبدو عليه الانهاك !! ابتسمت برقة وهي تقول " اسفة صغيري .. اخشى اني اشعر بالتعب والجو ما زال دافئا نوعا ما وخصوصا في هذا الوقت من النهار

وقد يرهقني الحر ان خرجت تحت الشمس الان .."

عبس ايمن في تفكير ثم قال بثقة وكأنه وجد الحل المناسب " يمكنك ان ترتدي بنطالا من الجينز فقط ،مثلنا تماما ... وعندها لن تشعري بالحر ابدا .."

انفجر احمد ضاحكا وعيناه تتراقصان بالخبث وهو يتطلع لوجه مرام المخضب بالحمرة ثم قال لايمن وهو ينظر اليها بتمعن سافر " قد لن تشعر هي بالحر لكن والدك سيشعر بالاشتعال .."

اخذت تلملم روبها حول نفسها وهي تشعر بالحصار العاطفي فقال احمد بصوت اجش " ألن تقولي لي صباح الخير ؟!!" صمتت وهي تحيد بنظراتها بعيدا عنه فقال ايمن ببراءة " ربما هي لاتسمعك جيدا .. اذهب اليها ابي وقل لها صباح الخير يا غرامي وسترد عليك .."

ضحك احمد بخفوت ثم قال مدعيا الضيق " انا ممنوع من الصعود للطابق العلوي .. لا يسمح لي عمك كريم الا بالتواجد في الحديقة او الطابق السفلي وبوجوده هو شخصياً!! .."

عقد ايمن حاجبيه باستغرب وقال بتساؤل " لماذا ابي ؟؟ هل فعلت شيئا سيئا ليعاقبك العم كريم هكذا ؟؟"

كانت مرام تكتم ضحكتها وهي تدّعي اللامبالاة لهذا المحاورة الملفتة للحواس ! وهكذا قاومت رغبتها بالدخول واخذت تنظر بعيدا وكأنها

تستنشق الهواء بينما اذناها تنتظران رد احمد بتلهف ..

قال احمد بصون مبحوح " اجل يعاقبني ... يقول اني اغضبت مرام ولذلك يحبسها بعيدا عني .. انظر اليها كيف تقف هناك بعيدة وقريبة !! ربما وضع تعويذة ما حتى يمنع صوتي من الوصول اليها ... "

عضت شفتها لان ضحكتها على وشك الانفلات بينما سمعت صوت ايمن الحائر وهو يقول " ما معنى تعويذة ؟!" رد احمد مبتسما " انه نوع من السحر ستعرفه عندما تكبر .. ما يهم اني معاااااقب .." قال ايمن بتساؤل " وهل اغضبت مرام حقا لتستحق العقاب ؟!" رد احمد بتنهيدة وهو يعود للتطلع اليها " نعم اغضبتها وهي تأبى مسامحتي .. فهلا تتوسط لي عندها ؟؟ " صمت قليلا ليضيف بنبرة ساحرة شجيّة " قل لها ان العشق يبدأ وينتهي بها فلا عشق قبلها ولابعدها .. قل لها ان الرعايا يموتون جوعا ومليكتهم لاترمي لهم حتى بالفتات !! "

ارتعشت يدها وهي ترفعها لتعيد خصلات شعرها خلف اذنها .. لم تعد قادرة على ادعاء عدم الاكتراث .. وبدلا من ان تقوم بعمل غبي كمناداته مثلا فضلت التراجع لتبتعد عائدة للغرفة ...

كان يتملل ما بين المطبخ وغرفة الجلوس وعيناه لاتكفان عن انتظار نزولها ... همس بضيق " ألن تنزلي يا مرام ؟؟ هل تتهربين مني ؟؟"

نظر لساعته وهو يعود باحباط ناحية المطبخ ليقول لنجاة التي تعد طعام الغداء " هل تبقى عادة طوال النهار بالطابق العلوي ؟؟"

ردت نجاة وهي تنظر اليه بطرف عينها بينما ابتسامة مشاكسة ترقص على شفتيها " انت تعرف انها تختبئ منك !" تأفف احمد وهو يجلس على احدى الكراسي وقال " لم اكن اعرف انها تستطيع ان تكون قاسية هكذا !"

وضعت نجاة القدر على النار ثم مدت يدها لتأخذ المنشفة الصغيرة الخاصة بالمطبخ واخذت تجفف يدها وهي تقول " انها ليست قاسية وانت تعرف ... انها تحاول تأجيل المحتوم لانها مازالت تحتاج لمزيد من التطمين .."

عبس احمد وهو يقول " المحتوم ؟!! الكلمة لم تعجبني .. هل تجدين عودتها الي كالقدر المحتوم الذي لانريده ولكننا نتقبله على مضض ؟!!"

ردت نجاة بحنق وهي ترمي المنشفة بغضب " لاتفسر الامور بهذه الطريقة الفجّة ! ما قصدته انها تعرف بأن عودتكما معاً امر محتم لانكما لاتستغنيان عن بعضكما البعض ... لكنها متخوفة ومرتبكة بعض الشيء .. " اطرق احمد متنهدا فقالت نجاة بتعاطف " امنحها دعمك اللامشروط عزيزي ... المرأة عندما تطمأن لزوجها تتفجر طاقاتها لارضائه واسعاده ..."

همس احمد " فقط لو تسمحون لي بالاقتراب منها .. انا احتاج للتكلم معها على انفراد .."

قالت بابتسامة خبيثة " الانفراد بها لايوحي لي برغبة في الكلام يا ثور .."

ضحك احمد وهو يرد قائلا بشغف " هل تلومينني ؟!! لقد مضت ثلاثة اسابيع دون ان اراها حتى ! "
غامت عيناه بالعاطفة وهو يكمل " اليوم بدت ... فاتنة بطريقة غريبة مختلفة عمّا اعتدته ..
بشعرها القصير الذي تداعبة الريح ليغيظني وهو يداعب خديها .. عيناها الحنونتان تهجران النظر اليّ مباشرة لكنهما على الاقل ما زالتا تلمعان بتلك اللمعة التي تظهر تأثرها بي ... وجهها يطفح بصحة وافرة تزينه حمرة خديها حياءا من نظراتي وقدها ممتلئ بالعافية و.... الروب الابيض يلفه لفّاً.. "
تنهّد من اعماق صدره بينما ضحكت نجاة من قلبها لتقول بمرح " وتقول لي تريد (الكلام) ؟!! "

جاء صوت كريم من عند باب المطبخ ليقول بابتسامة هادئة " الكلام سيكون بعد تناولنا الغداء سويا ... و... كذلك العشاء ... انا دعوت حسين وسوسن ايضا .. يكفي اننا تركانهما بمفردهما طوال الايام الماضية .. حان الوقت ليعيشا كأي زوجين يمارسان نشاطهما الاجتماعي سوية ..."

ابتسمت نجاة بفرح بينما قال احمد ببعض القلق وهو يقف على قدميه ويقترب من كريم " هل ستدعني اكلمها بمفردي يا كريم ؟؟ انا اخذت اليوم اجازة خصيصا لاتفرغ لهذا الموضوع .."

اسبل كريم اهدابه وقال بغموض " ساقول ما اريده اولا ثم سادع القرار لك .. فهناك بعض الامور يجب ان تعرفها وتحدد ردة فعلك نحوها "

لم يفهم احمد ما يعنيه كريم الذي ما ان ادلى بدلوه حتى غادر المطبخ قائلا انه سيغير ملابسه ..

تطلع احمد نحو اخته نجاة مستفهما فسارعت نجاة للهرب من نظراته وهي تقول بمرح مصطنع " اذهب واغسل يديك قبل الطعام يا ولد ... "

علم احمد ان لافائدة من محاولة حمل نجاة على الكلام وهكذا تركها لينادي ايمن حتى يغسلا يديهما معاً !

" هل يتعمد ملامسة يدي ؟!!" هذا ما همست به مرام لنفسها وهي تتناول طعام الغداء مع الجميع .. كانت تحاول التصرف بشكل طبيعي رغم انها تتحاشى النظر نحوه .. هو حبيبها .. حاكم قلبها ..

امسكت انفاسها مرة اخرى وهو يلمس ساعدها - عرضيا - كالعادة ! لماذا اصرت الخالة نجاة على اجلاسه بجانبها لتعاني من تشنج الرقبة وهي تمنع نفسها من الالتفات لناحيته ...؟!!

ارجعت خصلة من شعرها خلف اذنها ليداعب بشرتها نفس اطلقه ثم مال نحو اذنها ليهمس بحرارة " ارحميني قليلا .. انا أذوب مع كل حركة من هذه اليد الصغيرة .."

تنحنح كريم بينما هي احمرت وكادت الشوكة تسقط من يدها ...

لم تصدق مرام انتهاء الغداء وما ان همّت بالمغادرة فاجأها كريم قائلا لمنى " حبيبتي .. خذي ايمن واتركينا قليلا لنتحدث .."

ابتسمت منى وهي تشجع مرام بنظراتها ثم اخذت ايمن وغادرت غرفة الطعام ...

كانت يدا مرام متشابكتين تحت الطاولة وهي تنحني برأسها للامام قليلا فيغطي شعرها جانبي وجهها ..

قال كريم بهدوء موجها كلامه لمرام اولا " ابنتي العزيزة .. ساسمح لنفسي ان اكلم احمد نيابة عنك في بعض الامور التي يجب ان يعرفها وامور اخرى يجب ان يتخذ قراره بها ..."

هزّت مرام رأسها موافقة بينما احمد بدى متوجسا ! لكنه التزم الصمت ليرى ما في جعبة كريم ..

قال كريم وهو يتطلع لاحمد " ما حصل بينكما ذلك اليوم اتركه لكما لتتصارحا حوله .. فأنا اجده بلا اهمية حقيقية للتفكير به ! فقط يحتاج للوضوح والصراحة فينتهي وكأنه لم يبدأ .."

واصل احمد صمته وهو ينتظر القادم .. انه يعلم كيف يفكر كريم ويدرك الان انه يخفي بعض الامور عنه ..

اكمل كريم قائلا " لكن .. ربما ما حدث فيه فائدة لكما معاً لتكتشف مرام اشياء اخرى خلف كونها زوجتك يا احمد .." هنا قال احمد بتوجس متفاقم " ماذا تقصد كريم ؟" رد كريم دون مراوغة " مرام تريد العمل يا احمد .. انها من الاوائل ! وقد اضاعت فرصة العمل في الجامعة ولكن هذا لايهم .. فهي تستطيع ان تعمل باماكن كثيرة مناسبة .."

للحظات عمّ صمت متوتر .. نجاة تنظر بقلق لملامح احمد الغامضة بينما مرام بان عليها بعض الاضطراب ..

كريم هو الوحيد الذي احتفظ بهدوئه ليقول " ما رأيك احمد ؟ مرام تريد العمل حقا فهل ستسمح لها ؟؟"

قال احمد اخيرا وهو يتطلع لمرام بتمعن " هل هذا الموضوع يهمك لهذه الدرجة يا مرام ؟؟"

ردت دون ان تنظر اليه " نعم .." قال احمد بحزم " قوليها وانت تنظرين نحوي .." زمّت شفتيها ثم رفعت رأسها لتنظر لعينيه مباشرة .. " كم اشتقت اليك .." جملة اوشكت ان تفلت لكنها اجادت سجنها لتقول بدلا منها " نعم احمد .. مهم جدا .."

ابتسم بحرارة وعيناها تستقران على شفتيها ثم قال برقة " وانا موافق ..." تنهيدة نجاة فضحت توترها الذي يأخذ متنفسا بعض الشيء بينما سارعت مرام لتطرق برأسها مرة اخرى ..

قال كريم مبتسما " حسنا هذا جيد .. " تردد قليلا قبل ان يقول " كنت ساتوسط لها لتعمل مع منى في نفس الشركة لكن .. وقت العمل الطويل .. لايناسب مرام .. كما ان نوعية المهام هناك قد تكون مرهقة لها في .. وضعها الحالي .."

عقد احمد حاجبيه وتسلل بعض القلق اليه وهو يقول محولا نظراته لمرام " ما بها مرام ؟!! ماذا تقصد بوضعها الحالي ؟ "

هنا شعر احمد ان التوتر تمكن منهم هم الثلاثة ! لكن كريم بدى مسيطرا على توتره وهو يقول " حسنا .. نحن لم نخبرك لاننا اردنا ان تأخذ مرام وقتها في التفكير بهدوء .. ولو علمت كنت ربما .." قاطعه احمد بنزق قائلا " ارجوك كريم .. ماذا يحدث بالضبط .."

قال كريم وهو يتطلع نحو مرام " زوجتك حامل يا احمد .." صوت الكرسي وهو يتحرك على الارضية كان نشازا وسط الهدوء الحذر الذي عمّ الجلسة ! كان احمد قد هبّ واقفا على قدميه ليقول بهياج

" منذ متى علمتم بالامر ؟ ولماذا لم يخبرني احدكم ؟؟ " ودون ان ينتظر الاجابة التفت نحو مرام لينحني قريبا من رأسها المنكس قائلا من بين اسنانه " هل استحق ذلك منك يا مرام ؟؟ ماذا فعلت لتعاقبيني بعدم معرفتي لحملك ؟!!الا يكفيني انك نفيتني بعيدا حتى دون ان تسمعيني .." رفعت وجهها نحوه لتقول بألم " انا لم انفيك ! انا نفيت نفسي لاني كنت اتالم بشدة ... شعرت ... شعرت بالخيانة ..."

لم يتنبه الاثنان لاشارة كريم نحو نجاة فخرجا معا في صمت تاركين غرفة الطعام لهما ..

قال احمد وهو يبتعد عنها بألم يماثل ألمها " انا ايضا اشعر بالخيانة ... الخيانة لانك لاتثقين بي ..

الخيانة لانك ابتعدتِ عني بدلا من اللجوء الي ... الخيانة لانك لم تخبريني بحملك لطفلي وانت تعلمين كم اتوق للاطفال ومنك انت فقط ..."

تحشرج صوت مرام وهي تقول " انا لم اقصد ... انا .. شعرت اني انهار .. انا .." لم تعد قادرة على اخراج الكلمات التي تعثرت بغصة البكاء لتفاجئ احمد بهروبها راكضة نحو السلم وعندما حاول اللحاق بها اوقفه كريم قائلا " صبرا يا احمد ... فلتهدأ قليلا ... هيِ تشعر بالذنب لانها لم تخبرك ولكن رفقاً بها بني .. لاتنسى انها حامل ..."

اخذ احمد يمرر يده في خصل شعره باضطراب ليقول وهو يبتعد باتجاه باب البيت " انا ساخرج لبعض الوقت .." ثم توقف قليلا ليضيف بحزم " الليلة سابيت هنا .. قريبا من ابني وزوجتي التي تحمل ابني الآخر ..."

ابتسم كريم بحنان وهو يتطلع لظهر ربيبه ... فهذا الشاب العاطفي الرائع وجد اخيرا سكنه وملجأه ...

تردد حسين اكثر من مرة قبل ان يطرق باب الغرفة عليها لكنها تأخرت كثيرا وموعد العشاء في بيت والديه لن ينتظر استعدادات سوسن البطيئة ... تصالحهما ايضا كان بطيئا .. بطيئا جدا وما يغيظه انها تبدو مستمتعة به !! لم يدخل غرفة النوم هذه الا باذنها .. رغم انها يفترض غرفته ايضا .. غرفتهما معا التي لم تجمعهما ولا لليلة واحدة !! ابتلع

ريقه بصعوبة وهو يسمع صوت كعبي حذائها وهما يطرقان على ارضية الغرفة .. فتح الباب ليغشي حواسه اولا عطرها المثير .. واجه صعوبة في التركيز وهي تنظر اليه مبتسمة برقة وشعور بالذنب يلوح على ملامحها التي تفوق عطرها اثارة ...ثم قالت " اسفة حسين ... اعلم اني آخذ وقتا في تغيير ملابسي ولكنها طبيعتي ولااستطيع تغييرها بل اني لااشعر بالوقت كيف يمضي ؟!!" احمرت قليلا كطفلة مذنبة ... لانت ملامحه وابتسم بنعومة وهو يتفحص فستانها الانثوي بلونه الابيض وتفصيلته التي تلائم مزاجها الرائق ... قال باعجاب تفيض به نظراته " انتظار فتنتك متعة .." ابتسمت له وهي تبتعد بنظراتها عنه فشعر بالاحباط ! دوما تتراجع عند اي اشارة عاطفية ...

الاسابيع الماضية قضوها كصديقين .. يتناولان الطعام سوية وهما يتحدثان بلا توقف ليكتشف ان سوسن تمتلك حس دعابة غير عادي ! كان يضحك من قلبه لكل مزحة تلقيها على مسامعه .. كما اكتشف انها امرأة سهلة العشرة غير متطلبة الا فيما يخص النظافة والترتيب فعندها تنقلب لامرأة اخرى تماما .. صارمة وغير متسامحة ...

اكتشف انها تعشق كل ما يتعلق بالحاسوب ففاجأها يوما بشراء حاسوب خاص لها وكانت فرحته لاتقدر بثمن وهو يرى التماع السعادة في عينيها .. في المقابل هي كانت تجيد تنظيمه بطريقة لاتخنقه .. انها تنفع حقا في الادارة ولديها امكانيات ممتازة لانها تجيد التعامل بهدوء .. حتى

انه فاتحها يوما حول رغبتها بالعمل فكان ردها مبهما نوعا ما وهي تقول " سأفكر ..."

صوتها نبهه لشروده وهي تقول " هيّا حسين .. لقد اخرتنا جدا !!" ثم ضحكت بعذوبة وهي تغمز له مداعبة .. بدت حلوة جدا .. مغرية جدا جدا ... وهو مشتاق والشوق غير رحيم به ... ابتسامتها الشقيّة تجمدت قليلا وهي تقرأ ما يعتري ملامحه من تغييرات عاطفية ...

تنحنحت وهي تهمس " حسنا .. الخالة.." قاطعها حسين بأن وضع سبابته على شفتيها اللامعتين ليقول بصوت هامس " الا استطيع ان احظى .. بقبلة ؟!" اتسعت عيناها قليلا وارتعشت وهو يمرر اصبعه على شفتيها ليضيف بتحشرج " فقط قبلة .. بعدها يمكننا الذهاب .."

كان قلبه يتضخم في صدره وكأنه سينفجر قريبا !

انتظر وانتظر بينما يدرس ملامحها المترددة المرتبكة .. قال وهو يمرر انامله هذه المرة على وجنتها " نحتاج لذلك انا وانت ... خطوة يجب ان نخطوها حبيبتي .." كلمة (حبيبتي) جعلتها ترتعش اكثر وهي تسبل اهدابها لتهمس بما يمكن وصفه بتمتمة (نعم) ... لم يشعر يوما بكل هذا الظمأ حتى ارتوى منها ليدرك ايّة ايامٍ جوفاء كان يعيشها محروما منها ... يد تعانق جانب وجهها وذراعه الاخرى تحيط خصرها لتلصق جسدها به ...

مجهود جبّار اضطر ان يبذله ليبعدها عنه برفق .. بينما مشاعره تتخبط بالحرمان وروحه العطشى لم ترتوي بعد ...

اسند جبينه على جبينها ليقول بهمس شجي " لم احاول يوما تفسير ما يحدث لي عندما اقبلك .. فكل ما اعرفه اني اعيش الاحساس بأنك معي .."

تلك الدمعة التي سالت على خدها هزّته فأخذ يمسحها بابهامه وهو يقول بنعومة فائقة " انا احبك .. احبك .. " ردت همسا " وانا .. احبك ايضا ..." ..

كان العشاء متسما بالمرح المبالغ فيه ربما للتغطية على ذبذبات الغضب التي تنطلق من احمد بينما مرام التزمت صمت غير مبالِ او مكترث به !

نجاة لم تكن راضية عمّا يحصل لكن كريم كان يغمز لها باستمرار ليمنعها من ابداء اي ملاحظة ..

وقد ساعدت حالة سوسن وحسين الهائمة في اضفاء جوِ من الدفء ...

" لم اعد احتمل .. لم اعد احتمل .." ظلت مرام تردد هذه الجملة في سرها وهي تضغط على نفسها لتحتمل السهرة حتى نهايتها .. لم تنظر نحوه وهو في المقابل لم ينظر نحوها ولم يوجه لها اي كلمة .. انه غاضب .. تعرفه وتعرف غضبه كيف يكون .. وغضبه هذا يؤرقها ويغيظها ايضا ...

شعرت بيد مواسية على يدها .. رفعت رأسها فلاقتها عينا منى المهتمتين وهي تهمس لها " اهدأي مرام .. سيكون كل شيء على ما يرام .."

شعور ببعض الاسترخاء زحف اليها فابتسمت لصديقتها بامتنان ...

لم يكن صعبا ادعاء وجود صداع لتنسحب لانها ببساطة كانت تعاني منه فعلا ! فانسحبت مرام مبكرا تحت انظار الجميع الا ... هو ...

بعد ساعة لحقت بها منى الى الغرفة التي تتشاركاها .. وجدتها ما زالت تحاول النوم وقد اطفأت كل المصابيح لتكتفي بضوء القمر المتسرب من الشباك المفتوح ...

جلست منى بجانبها على السرير بينما مرام توليها ظهرها .. قالت منى وهي تمسد على ظهرها " هل انت بخير ؟؟" ردت مرام " نعم .. بخير .. لكن .." شجعتها منى قائلة بحرارة صادقة " لكنك ورغم كل ما حدث ورغم كل الموانع التي تعتقدينها موجودة .. تشعرين بالحنين اليه .. حنين معذب لايداريه ضوء النهار ولايخمده ظلام الليل .."

التفتت مرام نحو منى لتنظر اليها بعمق متفهم لحالتها هي الاخرى ثم قالت بحنان " اتصلي به منى ... لاتكوني عنيدة وغبية !!" ابتلعت منى ريقها دون ان تجرؤ على ادعاء عدم الفهم فقالت وهي تبعد نظراتها نحو ضوء القمر المنساب " كان يحب ضوء القمر ويجد فيه سحرا شجيا يخفف من وطأة الظلمة على البشر "

تنهدت مرام وهي تعود لوضعها الاول توليها ظهرها ثم قالت " لن الح عليك اكثر .. مصطفى خسارة فادحة فقدانه .. اتوسل اليك افعلي شيئاً والا مت بحسرتي انا شخصيا .."

ضحكت منى بخفوت بينما استقامت واقفة على قدميها وقالت " ساذهب لاساعد امي في غسل الصحون وانت ...حاولي ان تجدي للنوم سبيلا .. و اتحداكِ ان تجديه وانت تعلمين بوجود خالي على بعد بضع خطوات منك .."

فتحت مرام عينيها على اتساعهما وقالت دون ان تلتفت لمنى " هل فعلا سيبيت هنا الليلة ؟؟"

ردت منى وهي تبتعد ضاحكة " اجل .. وسيأتي ليلا لالتهامك وانت نائمة .."

اغمضت مرام عينيها بشدة وهي تسمع خطوات منى المغادرة لتهمس لنفسها " سأكون بخير .. ان شاء الله سأكون بخير وسأجد الطريق لارتاح .."

حالة الهيام الذي خيّمت على حسين وسوسن كان لها تبعاتها ما ان عادا لشقتهما ... بدت سوسن كعروس تفتنه بخجلها ... عندما قالت له " تصبح على خير " وهي عند باب غرفتها كانت وكأنها تناديه ... تقبضت يداه عندما رد بعناد عليها "تصبحين على خير" عاند نفسه وهواها خوفا عليها هي ...

مر الوقت وهو يتحرك في غرفة المعيشة بصبر نافذ .. انه يريد زوجته فماذا يمنعه عنها ؟!! انها ما زالت مستيقظة ... يكاد يقسم انه يشعر بها

مستيقظة مثله ... فماذا يمنعه ؟! ماذا ؟؟ صوت الباب يفتح جعل خفقات قلبه تتضاعف ! تقدم نحو غرفتها ليجدها هناك بقميص نوم حالم .. تقف باضطراب شديد وكأنها على وشك ان تركض هاربة ! همست تناديه " حسين .." رد باختناق " نعم .." قالت بضعف وهي تنظر نحو الارض " اعجز عن النوم .." اوشك ان يضرب راسه بالحائط من شدة توتره فقال بقلة انضباط " سوسن ..دعيني انام قربك الليلة .. دعيني احبك كما يجب ان يكون .. " كانت خطواته تقترب منها وهي ما زالت على وقفتها ... مد يديه تلامسان ساعديها العاريين فارتعشت بقوة .. قال بصوت حميم " انا ايضا اعجز عن النوم .. ربما لاننا اصبحنا اكثر قربا من ان ننام منفصلين .." هزّت رأسها عاجزة عن قول شيء آخر فضمها لصدره باحساس لايصدق وهو يقول " سأكون رقيقا معك ... رقيقا جدا !" ...

كانت على وشك الاغفاء اخيرا بعد طول تقلب في السرير عندما شعرت بمنى تعود .. كانت تشعر بالارهاق فعلا لكثرة التفكير ..

صوت قفل الباب وهو يدور جعلها تستعيد بعض يقظتها لتقول بصوت ناعس " لماذا تغلقين الباب بالمفتاح يا منى ؟؟" ثم اضافت بمرح ساخر " صدقيني احمد لن يهاجمني عند منتصف الليل ليلتهمني وانا نائمة !!"

" كم انت مخطئة !" فتحت عينيها بقوة لتستوعب هذا الصوت الرجولي الذي لم يفارق احلامها ... عاد ليقول لها ساخرا " هل مليكتي قررت النوم لتغلق بابها الخاص في وجهي ؟!!"

التفتت نحوه ببطئ حذر واخذت تنظر اليه لتحدد ملامحه عبر ظلام الغرفة .. كان يقف هناك عند الباب مستندا اليه وهو يكتف ذراعيه امام صدره ... لم تجد قوة اكثر لتحملها على النهوض من سريرها ومواجهته ... وكل ما استطاعت قوله بصوت اجش " ماذا تفعل هنا ؟!"

حتى في هذه الظلمة رأت شعلة الغضب في عينيه الرائعتين ليتقدم نحوها ببطئ اثقل بحمله على قلبها ... هذا القلب كاد يجن فرحا لاختلائه بمن يعشق ...

جلس بجانبها على السرير وظل يحدق في وجهها طويلا .. ملامحه تموهها الاضاءة الخافتة لضوء القمر فلم تتبين افكاره ... مد يده ليلامس وجنتها فما كان منها الا ان ابعدت وجهها لكنه باصرار قرب يده اكثر ورغما عن ممانعتها العبثية اخذ يمرر انامله على صفحة وجهها .. تنهداتها ما كانت الا صدى لتنهداته هو ... همس " كان لديك من القوة والقسوة لتبتعدي هكذا وتتركيني .. انا الذي لااستطيع النوم بدون وجودك على نفس السرير .. كيف استطعت النوم يا مرام وانا اعاني السهاد ؟!!"

همست بتوسل وهي تشعر بتأجج مشاعرها " لاتفعل هذا احمد .. ستعود منى ..." كانت تتمسك بعودة منى وكأنها ملجأها الوحيد من عاصفة قادمة لامحالة وهي لاقبل لها بالصمود امامها ...

تبسّم في وجهها والعاطفة تجعل يديه ترتعشان ثم قال ببحة تعرفها " منى لن تعود .. ستنام مع ايمن ..بينما ابو ايمن سينام حيث يجب ان ينام .."

اختنقت بالعاطفة وهي تراه يقترب بوجهه منها .. كانت عاجزة عن ردعه بينما تلصق ظهرها بالسرير ويداها ذابلتان بوهن على جانبي راسها ..

لم يفعل اكثر من تشمم بشرتها ليتأوه قائلا " كيف يمكن ان اعيش لهيبين معاً وفي آن واحد ؟!! لهيب الشوق ولهيب الغضب !" لاتعرف كيف اصبحت كفه على بطنها ليهمس وعيناه في عينيها " هذا الحب الذي ينمو في احشائك ملكنا معاً ..لكن ..انت ؟ .. " نفس حار اطلقه وهو يكمل " انت ملكي يا مرامي .. وانا اتمسك بهذه الملكية بيأس واقاوم قسوتك عليّ ثم ... اجدني اخضع لسلطانك باستكانة تملؤني شغفاً !! هل رأيت يوما من يعاني الشغف مثلي ؟؟!! "

كيف يمكنها ان تصمد .. ولماذا يجب ان تصمد ؟!! ورغم هذا ... صمدت !! همست وهي تتطلع لعينيه بتحدي واهٍ ممزق " ما زلت.. تجيد الكلمات .."

لم يبتسم للفكاهة ! كست نظراته مشاعر كثيرة لم تكن مفهومة لها ! ليقول اخيرا بهدوء غريب " هل سأجيد الكلمات ايضا وانا اتحدث بصراحة عن .... شهد .."

اهتز جسدها والألم المبرح يعود اليها ... اغمضت عينيها وهي تقول بهشاشة " لن احتمل منك كلمة واحدة عنها !!" شعرت بشفتيه تلامسان خدها ثم همسه يلامس اذنها " كم انت غبية !! وأنا اكثر غباءا منك لاني لم استطع ايصال مشاعري اليك بشكل واضح ..." همست بتمنع لاجتياحه الناعم " احمد ... " قال وهو يواصل ملامسة جبينها وخديها " عندما احببتها كنت يافعا وشعرت بانتماء حقيقي لكن .. خسرتها ! لم اتقبل في البداية خسارتها ..اعترف.. ثم .. تقبلتها وبحثت عن حياة جديدة .. وكأن الحياة كانت تخبئ لي الاسوأ .. فعشت ما بين واقع سهام وذكرى شهد ... واقع جاف وذكرى تهونه عليّ ..."

ما زالت تغمض عينيها لكن الدموع ابت الا ان تسيل ... لم يتوقف احمد ... اكمل بهمس حنون " ثم جئت انت ... ينبوع تفجر في الصحراء التي كنت تائها فيها " ردت بهمس باكٍ " بل كنت بديلا عن الحب المفقود .."

لم تثنه كلماتها ولا حتى دموعها ... كان مصرا على كشف كل شيء فقال وهو يطبع مزيدا من القبلات " هل تذكرين عندما سألتني في صبيحة زفافنا ان كنت احب الشعر الاسود ؟؟ " لم ترد ولكنه ادرك انها تتذكر و... تتألم من الذكرى ... قال

" شعرت للحظة بشيء غريب يحدث لي .. كأني احطم خيالا يشوش عقلي او ربما ... كأن الرؤيا اتضحت فجأة لاراك انت وحدك اضمك بين أضلعي ..."

فتحت مرام عينيها لتنظر لعينيه مباشرة دون ان تقول شيئا فاكمل والصدق ينير ملامحه " هل تذكرين ما اجبتك به ؟ قلت لك (انا احب شعرك انت) ... هل تذكرين ؟؟ " كانت عيناه تتوسلان التذكر كما تتوسلان العدل والانصاف ...

مرّت اللحظات بينهما متوترة مشحونة بالقلق ..

يدها اخذت ترتفع شيئا فشيئا حتى لامست خده لتقول بحشرجة مختنقة " أنا احبك بطريقة لاتتخيلها ... لدرجة اني لااحتمل كوني لست الاولى في قلبك ..." تنهد وهو يدير راسه ليلثم باطن كفها قائلا " قد لااستطيع تغيير تاريخي ولكني اقسم لو كان بيدي لما احببت قبلك ... معك عرفت الحب كيف يكون يا مرام في اوجه .. عميق وصافٍ .. هادر وناعم ... كمطر يحيي الارض بعد موتها ... انك الحب نفسه يا مرام "

كانت دموعها تسيل اكثر بينما اضاف احمد بهمس متوسل " ارويني بغيثك يا مرامي ... فالارض عطشى تناجي عطاءك ..."

همست بارتجاف وتلعثم وهو يدفن نفسه في عنقها " احمد .. فقط احتاج .. اريد ان .. انا ..." كانت انفاسه تتسارع ليهمس بصوت ابح " لن

ادفعك لشيء الليلة ... ورغم اني اموت اشتياقا الا ان الخيار لك ...نعم ... أو ... لا "

كانت يداه متشنجتان على جسدها وهو ينتظر ردها ... ليتنهد باحباط هائل وهمسها يصل مسامعه " لا !" ...

نظرت بحنان نحو ايمن وهو ينام قرير العينين .. كم تتمنى لو تستطيع ان تحذو حذوه !

عادت بنظراتها نحو الشارع الهاجع تحت جنح الظلام وهي تتطلع اليه عبر زجاج النافذة ..

كلمات هامسة خرجت من بين شفتيها وهي تنقل نظراتها للهاتف المستكين في يدها " هل تراك تنام قرير العين ايضا ؟!!" ثم عادت لتسرح بنظرها عبر النافذة وهي تتأرجح بين فكرتين تناقضان بعضهما وتناكفان في بعضهما !!

(اتصل ام ... لا ... اتصل ..) ويدها تتململ ضجرة بملمس هاتفها ... تراءت لها ذكرى قديمة وهي في الحادية عشرة عندما كانت تلعب كرة القدم في الشارع مع اولاد الجيران ولانها كانت ضئيلة الجسد رقيقة البنية كانت دوما تسقط ارضا مع كل تدافع على الكرة .. لتعود لبيتها مثخنة بالجروح !! في احدى المرات كانت السقطة قوية جعلتها تشعر بالدوار فلم تستطع الوقوف لفترة .. وكانت هذه غلطة ! غلطة ان تظهر ضعفا كهذا امام الاولاد الذين تحاول امامهم ادعاء القوة

والمنافسة معهم .. اصبحت مثار سخريتهم وتعالت ضحكاتهم ..

شعرت في وقتها بالاذلال واقسمت في سرها انها لن تلعب كرة القدم مرة اخرى .. فجأة امتدت لها يد اكثر خشونة من ان تكون لولد من سنها .. رفعت نظراتها لتتطلع اليه .. عيناه صافيتان بالرقة تبتسمان بالتشجيع .. لم يكن يرتدي النظارات في ذلك الوقت .. كان فتى مراهق هادئ كعادته دوما .. هذا الهدوء الذي احبته فيه على الدوام ...

همست منى بالكلمة " احببته .. احببته .." لتترقرق عيناها بالدموع وهي تهمس مرة اخرى " وما زلت احبه ... كم انا غبية ؟!!"

بحركة حانقة مسحت تلك الدموع الغبية ثم رفعت الهاتف باصرار لتضغط الرقم المناسب ... لم تهتم انها تعدت الثانية عشرة بعد منتصف الليل .. فليستيقظ ذلك الغبي الذي احبه ويعاني السهاد مثلي !!

عندما فتح الخط هتفت بصوت حانق " هل انت نائم ؟!!" صمت للحظتين فقط ثم قال بنعومة " هل هذا هجوم بعد منتصف الليل ؟!"

قالت منى بحنق متزايد " الا تجد كلمات اخرى تقولها لي ؟!!"

صمت مرة اخرى ثم قال بصوت اجش " عندما تجدين انت كلمات تقولينها لي .."

تحشرج صوتها وامتلئ صدرها بالمشاعر .. تراجع الغضب ورحل الحنق متخاذلا امام دعوة ناعمة من القلب ...

همست بارتعاش " انا ... غبية .. أنا أ...."

قاطعها سريعا بحنق ناعم " اياك ان تقولي آسفة .. لاني ساجن عندها .." ردت والبكاء يخنقها " اردت ان اقول .. انا .. انا ... احبك ..."

تنهيدة مرتجفة عبرت سماعة الهاتف لتصل اذنها .. همست " مصطفى ..." رد بصوت اثقلته مشاعر حبيسة " هل كان يجب ان تتصلي بعد منتصف الليل ؟!! هذه المرة سأجن من انتظار بضع ساعات حتى تشرق الشمس .. "

ضحكت وشهقات البكاء ترافقها فقال بعاطفة متقدة " هذه المرة لن انتظر الكثير .. طاقتي على الصبر استنفذتها كلها .. " لم يكن لها رد سوى همس ناعم يطفح سعادة " نعم ..."

في صباح اليوم التالي ...

مستغرقة في نوم لذيذ فلم تبالي بتلك الملامسات لبشرة وجهها .. اطلقت اصواتا تنم على استمتاعها بهذا الغرق في احلام تدعمها بعض الخيالات التي يستحضرها لها عقلها الباطن ... كالشعور بدفء ذراعه حولها وهمس الحب في اذنها وها هي تشعر بملامسته لخديها وكأنه حقيقي فعلا ..!

صوته العاطفي جاء متوسلا " آآآه يا غرامي .. كم هو عذاب حلو ؟!! فقط لاتزيدي العذاب اكثر وانت تبتسمين بسعادة هكذا كلما لامستك .."

لاتعرف لمَ شعرت ان الامر لم يعد خيالا وقد اصبح يجنح نحو احساس واقعي اكثر !

رمشت بعينيها تنفض عنها سلطان النوم لتخرج من هالة الاحلام .. همسه يعيدها للواقع اكثر فاكثر وهو يقول " ها انت تستيقظين مليكتي .. فهل ستطرديني حتى وانا اتذلل لاطلب قربك فقط .."

فتحت عينيها لتكون عيناه الجميلتان بلونيهما الرائعين هما اول ما يطالعها في يومها هذا ...

للحظة لم تدرك ما يحصل وهي تهمس باسمه " احمد .." افاق عقلها ببطئ وهي ترى ابتسامته الحارة بينما نظراته استقرت على شفتيها ليقول بصوت مبحوح " صباح يذكرني بصباح زفافنا .. " صمت ليضيف بعذاب " لكن ...شتان ما بين ليلة زفافنا وليلة الامس !"

استعادت وعيها تماما وهي تتذكر بؤسه ليلة الامس عندما قالت له (لا) لكنه التزم بوعده وابتعد دون ان ينظر اليها ليقول بصوت تقطعه الانفاس المتسارعة " تصبحين على خير يا مرامي .." ثم توجه نحو سرير منى حيث قضى ليلته يتقلب ويتنهد بينما هي اولته ظهرها لتغمض عينيها مبتسمة و.. راضية ...

رفعت مرام كفيها نحو صدره تحاول دفعه برقة بعيدا عنها وهي تقول بخجل " كيف اصبحت في سريري ؟!!" رد وهو يطبع قبلة على عنقها " انتظرت حتى غفوتِ وتسللت اليك .." ثم رفع راسها ليقول بخبث " لاتقلقي لم استغل نومك لفعل شيء لا يرضيك .." احمرت وهي تتهرب من نظراته ليعترف هامسا " مع اني لم استطع مقاومة اخذ حقي في شفتيك .." عبست بنعومة لتعاتبه برقة " انت غشاش .." تنهد ليقول بلوعة " انا عاشق .. عاشق محروم ... " اوشك ان يميل نحوها فحادت برأسها بعيدا وهي تقول ضاحكة " تكاد تفعصني انا وابنك ..ابتعد ارجوك .." تنهد مرة اخرى وهو يبتعد على مضض " حسنا يا مرامي .. سابتعد .. هذه المرة فقط .. " دفؤه رحل معه وهو يغادر سريرها قائلا دون ان ينظر اليها " ساذهب لاستحم .. علي الذهاب لعملي باكرا .."

رغم انه حقق لها ما ارادت لكنها شعرت بالضيق .. الضيق من افتقاده ! نادته " احمد .." لكن صوت زغاريد قادمة من الاسفل قاطعتها ليقول احمد باستغراب " ماذا يحدث ؟!!" ابتسامة بطيئة زحفت لفم مرام وهي تقول بفرح " يبدو ان ابنة اختك الغبية قررت ان تتخلى عن غبائها اخيرا !"

بعد اسبوع ...

صوت بهيج لجرس صغير معلق فوق الباب جعل مرام تتهيأ بابتسامة لاستقبال زبون جديد للصيدلية ..

مضى يومان فقط على عملها في هذه الصيدلية التي يملكها رجل صيدلاني عجوز ..يتركها لها نهارا ليتسلمها هو عصرا ... هذا هو الاتفاق الذي تم مع العم كريم ..

احمد ما زال يخاصمها لانها مازالت ترفض العودة للبيت معه حتى انه لم يبارك لها عملها الجديد ..

الابتسامة تلكأت على فمها وهي تتطلع لزبونها الذي لم يكن سوى ... احمد نفسه !

نظر اليها وهو يغلق الباب خلفه ثم قال ببساطة " صباح الخير .." ردت بارتباك " صباح ..الخير .."

هل الشوق في عينيها يلمع كهذا اللمعان الذي يسكن عينيه ؟ هل تفضحها مشاعرها كما تفيض مشاعره هو حتى من مسام جلده ...

فجأة شخر قائلا " لقد اكتفيت .." وبعينين متسعتين راقبته كيف اقفل الباب وقلب القطعة التي كتب عليها كلمتين متناقضتين على كل جهة منها ليختار كلمة (مغلق) حتى تظهر للمارة في الخارج ..

تقدم منها بعزم وهي لاارادايا تتراجع .. التف حول منضدة العرض وهي عاجزة عن قول شيء ..

هو ايضا كان عاجزا عن ايقاف ذراعيه ليمدهما بصبر نافذ ويسحب مرام من خصرها وهو يهمس

بغضب مكتوم " يكفي دلالا مرام ... لم اعد احتمل .. "

دفن راسه في رقبتها ليقول بصوت مبحوح " انت تعملين الان وتفعلين ما تريدين .. وانا اثبت لك مرارا وتكرارا حبي واخلاصي لك .. اذن ماذا تنتظرين لتعودي للبيت ؟! هل ساظل هكذا مشتتا ؟! لابيت .. لاعائلة ..لا .." توقف قليلا وهو يرفع راسه لينظر في عينيها قائلا بهيام " لا.... حب !"

ابتلعت ريقها وهو تواجه انفجاره بارتباك .. لقد كانت فكرة الخالة نجاة ان تلوعه اكثر قبل العودة وهي نفذّت كلامها وتعترف انها كانت مستمتعة بمحاولاته اليائسة لجعلها ترضى عنه ..

لكن حبيبها يعاني .. يعاني اكثر مما تستطيع احتماله .. ضغطت على شفتيها لتنتقي بضع كلمات ترضيه فلم تجد !..قالت اخيرا ببساطة وهي ترمش بعينيها ببراءة " حسنا .. سأكون جاهزة للعودة لبيتنا بعد ساعة من عودتي من الصيدلية .."

خطأ .. اجل كان خطأ ان تصدمه هكذا بتحقيق امنيته في مكان عملها الجديد !! خصوصا اذا كان مكان عملها مزدحما بقناني زجاجية صغيرة !

بعد فترة كان احمد يضحك بلا توقف وهو يلملم الزجاج المتكسر المتناثر بينما مرام تتخصر بحنق عابسة وهي تقول " اضحك كما تشاء ولكنك

ستمسح اثار الادوية التي انسكبت ايضا .. لااصدق انك تصرفت معي هكذا في محل عملي .."

رد غامزا " تأكدي المرة القادمة ان المكان يخلو من اشياء قابلة للكسر بسهولة هكذا "

اشارت باصبعها وغيظها يتفاقم " هناك زجاج خلف قدمك اليسرى ايضا .. " ثم اضافت بلهجة منتقمة لانه ما زال يضحك " وضع في حساباتك انك ستدفع ثمن كل هذه الادوية .." ..

نظرت اليه بانشداه وتركيز غريبين ... ما الذي يميزه ؟!! رجل في اواخر الاربعينيات اسمر برائحة نتنة اختلطت فيها رائحة العرق برائحته الشخصية لتفوح رائحة تزكم الانوف !

التفت اليها ليقول بضجر " المبلغ المطلوب هو (...) " تطلعت الى عينيه الان ... عينان ببؤبؤان اسودان وبياض شاحب ... هاتان العينان اخذتا تحدقان بوقاحة فيها .. في تفاصيلها ...ازدادت وقاحة نظراته وجرأتها عندما لم تبدي اعتراضا ليبتسم ابتسامة قبيحة وهو يقول متبجحا " هلا اعطيتني كوب ماء ؟"

ما الذي يجري لها ؟!! لماذا تصمت هكذا لتبادل تحديقه الفاضح بتحديق خادش لاي حدود عادية ... عادت لتنظر ليديه ... انهما ... انهما تشبهان يدي والدها !

اجل .. نفس السمرة والخشونة ... شعور غريب تملكها ... شعور متعطش ل...شيء ما لاتفهمه !

غريزتها كانت تدرك ما تريده اكثر بينما النشوة تتملكها ... قالت بصوت مبحوح وهي تنظر في عينيه اللتين تفجرتا بشهوة فاضحة " تعال واشربه داخلا ..." ....

الرائحة النتنة التي شمتها فيه قبل نصف ساعة اصبحت تلتصق بها الان بل وتحيطها كهالة من عطر نفّاث ...اخذت تقذف ما في جوفها مرار وتكرارا في حوض التغسيل في حمامها الخاص بينما كانت تتهالك من مشاعر متخبطة وصور مريعة .. معه ... على سريرها ... فتحت صنبور الماء واخذت تغسل وجهها دون ان تجرؤ على النظر في المرآة امامها ... صوت بعيد ... بعيد جدا يقول لها " ماذا فعلتِ سهام ... ماذا فعلت ؟؟ ولماذا ؟؟"

صوت اخر اكثر واقعية اجفلها ! صوت قادم من خلف الباب الذي يفصل بينها وبين ذلك الحيوان الذي اوشكت ان تسلمه نفسها كاملة لولا ان... فاجأهتها موجة غثيان جعلتها تفلت منه لتركض نحو الحمام ... اغمضت عينيها والصور تصبح اكثر الحاحا ثم اخذت تتشابك شيئا فشيئا بصور اخرى .. عبر باب الخزانة الموارب ووالدها ينهش كحيوان اخر في جسد امها المشمئز !

صوت اكثر صخباً من خلف الباب جعلها تستعيد بعض من المنطقية ... يجب ان يخرج هذا الرجل من هنا .. يجب والان ... بارتعاش مدت يدها لتفتح قفل باب الحمام تحاول ان تجد صوتها من مكان ما بينما تحرك المقبض ...

" ماذا تفعل ؟!!" هل هذا صوتها يرتجف هكذا ؟؟ وكيف لا يرتجف وهي ترى ذلك الرجل الذي التقطته لتعاشره وهو يحشو مجوهراتها في قميصه !! ضحك ضحكة صفراء وهو يضع آخر قطعة بينما قال باهانة " انها تعويض عن الوقت الذي قضيته مع امرأة معتوهة تدعوني لسريرها لتتركني قبل ان انالها حتى تتقيأ في الحمام!"

لم تشعر سهام بنفسها الا وكلمات السباب تتسابق على فمها لتتقدم نحوه وتضربه بكلتي يديها ... هو ايضا لم يتوقف عن نعتها باحقر التسميات واخذ ينهال عليها بالصفعات !

تنهد كريم باحباط وهو يلقي نظرة نحو زوجته العنيدة ! عاد ليقول " لماذا اصريت على الذهاب هناك ... لااعلم ! " نظرت نجاة نحوه بعبوس " لماذا لايفهم الرجال ان بعض الامور ليست من تخصصهم ؟!!! قلت لك ايمن بحاجة لباقي اغراضه ولااريد احمد ان يذهب هناك ..."

هزّ كريم راسه بدون اقتناع دون ان يضيف المزيد !

ركن كريم سيارته ليهبط منها تتبعه نجاة ... وصل باب البيت الخارجي وقبل ان يضغط على الجرس التفت نحو زوجته وهو يقول محذرا " لااريد استعراضات نسائية .. ارجوك .."

هزّت رأسها كطفلة مطيعة فتبسم ضاحكا بينما يده تضغط على الجرس .. ما حدث بعدها كان مروعا وقبيحا بمعنى الكلمة ... لحظات وفتحت الباب ليطالعهما مشهد رهيب ! سهام بوجه محمر غريب وملابس فاضحة حمراء وهي تمسك في خناق رجل قذر الهيئة رث الثياب .. اتسعت عينا نجاة في صدمة بينما كريم خرج من صدمته اسرع منها وهو يسمع الشتائم المتبادلة بينهما ...تقدم نحوهما يحاول استيعاب الموقف ليصرخ قائلا " ماذا يحدث ؟!!" التفتت نحوه سهام لتقول بهستيريا مفجعة " انه يسرق مجوهراتي .." فتقدم كريم من الرجل الذي تملكه بعض الخوف ثم امسكه كريم من قميصه المهترئ ليقول بغضب هادر " ايها الحقير .. " استعاد الرجل رباطة جاشه ليقول بتهكم " هل انت قريبها ام ربما زوجها المغفل ؟!عموما زوجتك لم تكمل ما بدأته معي فاطمئن!" فما كان من كريم الا ان لكمه على فكه ليسقطه ارضا بينما نجاة تولول وسهام تتراجع بصدمة متاخرة تحاول ان تداري عري قميص نومها ... قال الرجل بينما كريم يلتقطه من الارض مرة اخرى " توقف يا رجل .. توقف ... هي من دعتني للدخول وهي من طلبت معاشرتي .. فما انا الا رجل بسيط اعمل محصلا للكهرباء !"

تجمد كريم كما تجمدت الوجوه حوله لتسكن الاصوات الا صوت الريح الخريفية ...همس كريم بانشداه وهو ينظر ناحية سهام التي جسدت الاذلال بعينه " ماذا يحدث هنا ؟!"

قال الرجل بثقة اكبر " انا لاعلاقة لي بها ... زوجتك هي من .." لكمة اخرى اخرسته واسقطته ارضا مرة اخرى ليتمزق قميصه فتسقط المجوهرات ارضا .. وفي اللحظة التالية كان كريم ينفض الرجل نفضا ثم رماها خارجا واغلق الباب الخارجي وهو يلتزم صمتا خنيثا خوفا من الفضيحة لربيبه ....

كانت نجاة في حالة صدمة وهي تنظر بعينين متسعتين غير مصدقتين ما حدث للتو امامها ..

اجفلت عندما امسكها كريم من كتفها ليقول بتماسك " اهداي حبيبتي ... اهداي .."

نظر الاثنان نحو تلك الخطوات الهاربة التي اثقلها الخزي وعثرها العار !

همست نجاة وهي تنظر للمجوهرات التي تناثرت على ارضية المرآب " ماذا سنفعل كريم ؟"

رد كريم وهو يشدد ذراعه حولها " اتصلي بأحمد واخبريه ان يحضر فورا !"

كانت ترتجف في شعور مبهم لايوصف ! ماذا ينتظرها بعد ؟!! الى اي جحر قذر تنزلق يوما بعد يوم ..؟!! لماذا فعلت هذا ؟ لماذا تفعل كل هذا ؟ بل السؤال لماذا هي هكذا ؟ بسواد مظلم يغشي كل شيء حولها .. منذ رحيل الجميع عن هذا البيت وهي تشعر بنوع من التحرر ... التحرر من طغيان امها الذي كبّل عالمها لينحصر بارضائها فقط .. التحرر من امومة لايمن لم تطلبها ولم تشعر بها

يوما !.. التحرر من الادعاء المرير امام زوج كأحمد لم تألفه وربما لم تألف انسانيته معها طوال خمس سنوات زواج ...

وها هي في نهاية المطاف تدفعها كوابيسها السوداء القديمة لتجرب شعور امها وهي تُنتهك على يد رجل يشابه اباها في هيئته وفعله !...

اغمضت سهام عينيها واستندت بكفيها على حافة حوض الاستحمام الذي تجلس عليه ... انها تحبس نفسها هنا منذ وقت لاتعلمه وهي تختبأ من الذين شهدوا احلك لحظات حياتها ....

قريبا سيأتي احمد ... قريبا سيحدث التغيير ... همست وهي تبتسم بارتجاف حزين " التغيير !"

كان كريم يكبل ذراعي احمد بكل قوته وهو يهدأه " تماسك احمد ... ارجوك ... تذكر اننا نريد الخروج بلا خسائر تمسك او تمس ايمن ..." هدر احمد بجنون " سأقتل تلك الحقيرة الفاجرة المبتذلة .. " كانت نجاة تبكي ولاتعرف لماذا تبكي .. ربما لان صورة ايمن لاتفارق خيالها بينما صورة امه التي شهدتها قبل اقل من ساعة تشوهها ...

لم تشعر بنفسها وهي تقول بنشيج متألم " صغيري ايمن .. اي ابتلاء ابتلي به منذ ولادته ؟!! بل منذ ان تصور في رحم امه ! لقد اجرمنا كلنا بحقه ... كلنا .." التفت الرجلان نحو نجاة وهما ينهتان ... قال كريم بارهاق " ارجوكم دعونا نحل المسألة بتعقل .."

رمى احمد نفسه على الاريكة منهكا ليضع كلتي يديه على رأسه ويقول بانكسار " انها حتى لم تفكر بابنها ! لماذا تفعل هذا ؟ لماذا ؟ ماذا تريد بالضبط ؟ هل فعلت لها شيئا لتنتقم مني هكذا ؟ لقد عاملتها بما يرضي الله وحاولت وحاولت دون جدوى .. ماذا كان بيدي ان افعل اكثر لانقذها مما هي فيه ؟ "

رد كريم وهو يضع كفه على كتف احمد " الامر يفوق قدراتك فلا تحمل نفسك فوق طاقتها .. سهام مريضة احمد وانت تدرك هذا .. مريضة ويجب ان تتعالج .." رفع احمد راسه لكريم وقال بانفعال " اقسم اني حاولت ان اخذها للطبيب اكثر من مرة لكنها كانت ترفض وتصاب بعدها بهستيريا من الغضب لاسابيع فتحول حياتي وحياة ابني لجحيم .."

قال كريم بتعاطف " انا لاالومك ... انت لم تقصر معها فهي ايضا ملزمة بأن تدرك بحاجتها للعلاج انها مريضة وليست مجنونة فاقدة للعقل .."

اطرق احمد براسه وهو يشعر بالتشتت .. لم يكن يدرك ان كريم نفسه يشعر بالتشتت ايضا ولكنه يضغط على نفسه ليستعيد تركيزه ... انه يدرك ان ما حصل اليوم لايمكن ان يمر دون تغيير جذري ...

التفت نحو نجاة التي هامت نظراتها الحزينة بعيدا ليقول برقة " نجاة .. هلا ذهبت لغرفتها ؟ ارجوك فقط ساعديني وتأكدي انها بخير .."

هزّت راسها وهي تقول بشرود " لاتقلق لقد خرجت من الحمام وهي تجلس على سريرها كلوح من الثلج !"

عندها قال احمد وقد استعاد رباطة جأشه " كريم .. اليوم سأنهي هذا الزواج المتهالك .. وساجبرها على توقيع التنازل عن حضانة ايمن .." نظر اليه كريم بعمق ليقول بثبات " وماذا عنها هي ؟!"

تنهد احمد وهو يدير وجهه جانبا " لاتقلق كريم .. رغم كل شيء هي والدة ايمن .. سارسلها لاخيها وساخبره انها بحاجة لعلاج .."

قال كريم بتردد " لكن والدتها هناك وما فهمته منك انها غادرت من هنا وهي على خصام مع ابنتها .." رد احمد والهم يثقل كاهله " ليس لدي خيار آخر ... اخوها رغم خنوعه الا انه يحبها حقا هناك رباط يجمعها .. ربما هو يستطيع تفهمها اكثر مني ليقنعها بالعلاج .."

قال كريم " وهل تظن ان الام ستسمح بهذا ؟!"

رد احمد من بين اسنانه " ساهددها بالفضيحة التي حصلت اليوم اذا مانعت .. " ثم نظر لكريم ليقول مشمئزا " انت لاتعرف كيف تحسب لمظهرها امام الناس الف حساب ..."

تنهد كريم ليقول " حسنا ... فليكن الله في عوننا جميعا ..." همسات نجاة الناعمة ارهقت قلب كريم وهي تقول بحزن عميق " فليحفظ الله صغيري ايمن ..."

بعد شهر ...

زواج منى ومصطفى ..

ابتسمت نجاة وهي تنظر لرهف ثم مالت نحو بشرى لتقول " رهف تبدو مختلفة قليلا اليس كذلك ؟ اقصد انها تبدو اكثر هدوءا ونظراتها تشع بدفء محبب " ردت بشرى بفخر داخلي " اجل .. الحمد لله ... مرت فترة عانيت معها بسبب تقلبات المراهقة لكنها الان وديعة الى حد ما ولا تهتم الا بتحصيلها العلمي ..." ثم اضافت بشرى بابتسامة مستسلمة " مع اني لن اقول ان تقلبات المراهقة توقفت تماما !" ردت نجاة بتنهيدة وهي تنظر باتجاه ابنتها العروس " اقسم لك ان ابنتي العروس ما زالت تعاني من تقلبا المراهقة !"

انفجرت بشرى بالضحك لتشاركها نجاة ايضا بينما قلبيهما يدعوان لابنتيهما بالسعادة ... حادت نظرات نجاة نحو حسين وسوسن وهي تتنفس الصعداء ... فتلك الابتسامة الهبلاء التي يتبادلانها طوال الوقت تعرفها جيدا ! انها ابتسامة الرضا قبل ان تكون ابتسامة حب ..

ابتسمت مرام في وجه احمد مغيظة له وهي تراقص ايمن بينما احمد ينظر اليها بضيق رافضا الخضوع لرغبتها بأن يأتي ويرقص معها بدلا من الرفض والتذمر .. في الحقيقة هو يعترف ان الغيرة تنهش قلبه وهو ينظر اليها وقد بدت بانوثة متفجرة !

الحمل يلائمها بشكل مغيظ لحواسه وهذا الفستان الاسود الذي ترتديه سيقطعه اربا ما ان يصلا البيت فهي لن ترتديه مرة اخرى ...

عيناه سرحتا بلمعان الاضواء على شعرها الاسود الذي استطال قليلا .. تراجع حنقه وذاب قلبه وهو يتذكر شعرها الطويل الذي قصته بنفسها قبل اشهر ... لكنه سيعود ويطول كما كان واكثر... اجل .. هي وعدته بالامس وهي بين احضانه انها لن تقصه طوال حياتها ... جذب انتباهه ضحكة اطلقتها بسعادة عندما حاول ايمن ان يبتدع رقصة خاصة معها .. تسللت ابتسامة حانية لفمه عندما غمزت له بمكر انثوي محبب ..

قال كريم وهو يقف بجانبه مبتسما " هل ما زالت تغيظك بتحقيق رغباتها رغما عنك ؟؟" التفت احمد نحوه وقال متهما اياه " كله بسببك انت من جعلها تستقوي عليّ ! كانت كالقطة الناعمة المولودة حديثا !" ضحك كريم ملئ فمه ثم قال " اعترف انك تجدها اكثر جاذبية وهي تخربشك بمخالبها .."

تبرّم قائلا " لن اعترف بشيء ... ما زلت احن لقطتي الطيعة .. " ثم اضاف متوعدا " وساعيدها كما كانت حالما تنتهي اشهر الحمل وتلد .."

رفع كريم حاجبيه بمكر وقال مغيظا " حظا موفقا في مسعاك ..."

تحرك كريم بضع خطوات عندما ناداه احمد قائلا " لحظة كريم .." استدار كريم نحو احمد ليقترب منه احمد وقد علت ملامحه الجدية ثم قال بصوت لايسمعه الا هو " اتصلت باخ سهام ... قال لي انها انتظمت اخيرا في الذهاب للطبيب .."

ابتسم كريم وهو يربت على كتفه " الحمد لله .. الفضل لله وقد جعلك انت سبب في ذلك .."

رد احمد وهو يطرق برأسه " اشعر ببعض الراحة اخيرا فقط انهكني الشعور بالمسؤولية تجاهها مع انها لم تعد زوجتي اصلا .."

ابعد كريم صور بشعة ما زالت تراوده عن ذلك اليوم الذي تم فيه الطلاق ليقول بحنان " انت رجل اصيل احمد وفعلت كل ما في مقدورك .. يكفي تكفلك بعلاجها .."

تململ احمد في وقفته وهو يقول بصدق نابع من اعماقه " رغم انها ام ابني .. ورغم اني كنت اشعر لفترة اني قصرت معها الا اني اصدقك القول اني افعل ذلك شفقة بها ... افعله لوجه الله فحسب .."

رد كريم فخورا به " وهذا هو الصحيح بني هذا هو الصحيح ..." ....

حمل مصطفى عروسه وهو يتخطى بها باب جناحهما ... كانت منى تشعر بالاضطراب حقا هذا الاضطراب كان يتفاقم خلال الفترة السابقة وهي تعاني في سباق مارثوني مع امها وام مصطفى

للتحضير لعرس سريع حتى لاتتراجع عن قرارها هذه المرة !!

بنعومة شديدة وضعها على السرير لينحني نحوها وهي تتراجع لتغرق نفسها بينما طيات الفرشات الوثيرة وطرحتها تحيط وجهها كهالة ... همست بخوف " ماذا تفعل مصطفى ؟!! ما زلت بثوب العرس !!"

ضحك مصطفى من قلبه ثم قال " وانا ما زلت ببدلة العريس .." عبست قائلة " والمعنى ؟!"

رد وهو يمعن في وجهها الذي بدى باجمل حالاته " احتاج اولا لتصديق رؤيتك وانت بثياب العرس البيضاء .." احمرت قليلا وهي تقول مبتسمة " هل رأيتني الان ؟" رد بهزة من رأسه فاتسعت ابتسامتها لتمد يديها وتخلع عنه نظارته وهي تقول " اذن هذه لم تعد ضرورية .." ضحك بخفة وهو يقول " هل يزعجك ارتدائي للنظارات ؟؟" هزّت كتفيها وهي تقول ببساطة " لا .." رفع يده واخذ يلاعب خصلة ملتوية فوق جبينها وهو يقول بهمس " انت تشابهين هذه الخصلة ... مستفزة وعنيدة وجذابة بشكل لايصدق ..." كان يتوقع انها ستضحك لكن نظراتها اكتست بضعف غريب .. قال " ما بك حبيبتي ؟؟" ردت بتحشرج " هل تعلم اني احببتك منذ الصغر لكني لم ادرك حبي لك الا قبل اشهر ؟!!"

ابتسم بمعرفة وهو يقول " نعم اعلم .." فقالت بشجن " وهل تعلم اني عشت حياتي لاثبت نفسي لك وللاخرين .." غامت عيناه بعاطفة حانية وهو

يقول " ايضا اعلم .." تنهدت وهي تقول " هل تفهمني لهذه الدرجة ؟!" رد بابتسامته التي تبعث فيها شعورا بالرضا " انا اعلم غيرتك من حسين لانه البكر ولانه الولد .. صحيح والديك ليسا من النوع الذي يفرق بين الولد والبنت لكن ... غيره يفعل .. اليس كذلك ؟" ردت بألم طفيف " نعم .. صديقات امي .. اقارب والدي .. جيراننا ... الكل كان يدلل حسين وكأنه عبقري بينما انا الهث لاجذب انتباههم .." تركها تفضفض وهو يلاعب تلك الخصلة مرة اخرى لتقول " اكره شعوري اني ضعيفة لاني انثى .. كنت انظر لامي وهي تذوب امام ابي وتتقبل منه قراراته فقط لانها تحبه ! كنت اشعر بالغيظ رغم انها تبدو سعيدة على الدوام ..."

قال مصطفى بابتسامة " هذا ظلم للخالة نجاة فهي قوية بطريقتها وقادرة على جعل عمي كريم يرضخ لرغباتها .." قالت منى بانفعال " لا مصطفى .. ما تحققه مجرد رغبات ليست ذات اهمية وابي يعلم هذا .. دوما القرارات المهمة يتخذها هو .. بينما امي تستكين له معجبة بتسلطه عليها .." رفع مصطفى حاجبيه بعجب وقال " مهلا يا منى .. انت تبالغين !" اسبلت اهدابها وهي تهمس " ربما ... لكن .. كل شيء حولي ساهم لاكون كما انا .. حتى قصة خالي احمد مع شهد والمعاناة التي عاناها جعلتني اتوجس خيفة من شيء اسمه الحب .."

رفع مصطفى ذقنها اليه وقال بصوت اجش " معي ستعرفين ان الحب يحررك ولايسجنك .. معي

ستعرفين ان الاستكانة الطواعية لمن نحب تمنحنا سعادة تفوق سعادة التمرد والسيطرة على الذات.."

ذابت لنظراته اليها وهمست باسمه وهو يميل بوجهه نحوها ... نعومته جعلتها تذوب اكثر فيه .. تتعلق به دون ان تشعر ... تمنحه استسلاما لم تكن يوما تعرف نوعه ... استسلام لمن نحب ...

الخاتمة

فتاة الشباك .. رفقاً بقلبي !

تتجول امام عينيه كل يوم في اروقة كلية الطب .. تلقي عليه تحيتها المعتادة اللطيفة " مرحبا دكتور فراس .." لتبهجه بابتسامتها كما تبهج يومه برؤيتها ...

لقد كثّف من المحاضرات التي يلقيها في الجامعة لكي يراها اكثر ... يغيظه ان تناديه ب(دكتور فراس) وقد كانت سابقا وهي مجرد مراهقة صغيرة تناديه باسمه دون حرج ..! ألم يفتن مراهقتها قبل خمس سنوات ؟؟ ابتسم وهو يلوم نفسه " هل تتمنى الان لو ان افتتانها استمر ؟!!"

ضحك في سره وهو يلملم اوراقه بينما فكره مع تلك الفتاة التي تلملم محاضراتها لتغادر القاعة حالها كحال باقي الطلاب .. بطولها الفارع وقدها ميّاس تتحرك بخطوات واثقة تشابه ثقتها بنفسها.. وجه صبوح مرح وعينان تشعان ذكاءا تثبته اسئلتها خلال المحاضرة .. شعر طويل بتدرجات بنية ملفتة تصففه ببساطة تعكس بساطتها الشخصية!

قال في سره " كيف تصبح الفتيات المراهقات فاتنات واثقات ساحرات بهذه السرعة ؟!! لم تكن

الا مرهقة عاطفية مرتبكة بشعر قصير وجسد صبياني !"

خفق قلبه بين اضلعه وصوتها ينساب لاذنيه قائلة " مع السلامة دكتور فراس .." كزّ على اسنانه يحاول كتم انفعالاته ليرفع وجها مبتسما بطريقة لطيفة وهو يرد عليها " مع السلامة رهف .. اراك غدا .." ابتسمت له فغار قلبه وتنبهت حواسه لاستقبال موجة من مشاعر متدفقة تصبح اكثر قوة يوما بعد يوم ....

جلست رهف مع صديقتها نرمين في مقهى الجامعة بينما تتلقى بصبر وهدوء تقريع نرمين لها " لماذا انت مغفلة هكذا !! اذا كان قريبك وتقولين انك كنت معجبة به في مراهقتك فلماذا لاتحاولين التقرب منه ؟!!" ردت رهف بابتسامة ناعمة مرحة " لم اكن معجبة به فقط كنت مهووسة !!..." ضحكت رهف للذكرى ثم اضافت قائلة وهي تتنهد " نرمين ... انا الان في العشرين وكل تفكيري منصب على دراستي ... لقد مضى الوقت الذي تكون فيه عاطفتي شغلي الشاغل .." عبست نرمين بغير اقتناع فبدى عبوسها ملائما لتجعدات شعرها الغامق ثم سألت بحيرة " هل تودين القول انه لايؤثر بك الان ؟!!" ثم مطّت شفتيها بامتعاض لتقول بحنق " اعطني الضوء الاخضر وسالاحقه انا حتى يتزوجني .."

تبسّمت رهف لتقول ببعض الشرود " ربما لاني لاحقته بمراهقتي بما فيه الكفاية لاشعر ان من حقي ان الاحقه الان .." حدّقت نرمين في وجه

رهف ثم قالت بجدية " رهف ... اشعر في كلامك نبرة لاتعجبني !! هل تشعرين بالذنب ام بالحرج مما شعرتِ نحوه سابقا ؟!"

شاب نظرات رهف التفكير العميق لتقول ببعض الحيرة " لاعلم .. كل ما اشعره الان اني لم اعد نفس ال (رهف) التي هامت به وكانت تنتظره في شباك غرفتها ..تسترق النظر اليه وخداها متوهجان هياما!.." صمتت للحظة ثم اضافت بنبرة غريبة " الان انظر للموضوع بطريقة مختلفة .... " لكن نرمين اصرّت قائلة " انت الان في موقف افضل بكثير .. فانت ناضجة وراجحة العقل و ... " قاطعتها رهف وهي تحرك سبابتها امام وجهها قائلة " ولاني راجحة العقل عليّ ان استخدم رجاحته تلك لاعرف ان اي ارتباط بالدكتور فراس هو خطأ "

عادت نرمين لتعبس وهي تقول باستهجان " لماذا خطأ ؟!! قولي لي سبباً واحدا مقنعا !!" عادت تلك النبرة لصوت رهف وهي تقول " لانه احب اختي يوما يا نرمين .. الاتدركين كم سيكون الامر شاذّا ؟!!" ردت نرمين بعدم اقتناع " لكنه مضت سنوات على هذا وهو الان يبدو معجبا بك انت .. لايعقل انك لم تلحظي هذا ..انه ينظر اليك بطريقة خاصة ... اقسم لك ان خيالاتي لاتشطح بعيدا هذه المرة ..."

ابتسمت رهف لتقول " ربما كلامك صحيح ولكني لن اتعلق بحبال الهواء الذائبة ... الامر من اساسه خطا فلاداعي للتمادي .. " ....

رفعت نرمين حاجبيها عاليا لتقول بعجب " ايّ تمادي ؟!! لماذا تتكلمين كالمعقدات ؟!!" ثم رفعت كفها امامها لتضيف " حسناً .. حسناً ... انا مصرّة ان (اتمادى) لافهم ... لنمشي خطوة بخطوة ..الخطوة الاولى تقول (هل تشعرين بشيء نحو الدكتور فراس؟؟) "

سؤال يتردد في عقلها ... وما بين (نعم) و (لا) تتوه الافكار فتتوه الاجابة !! بينما يبقى القلب نائيا بنفسه لايريد التورط في هذا الجدال ...

صور فراس وهو يبتسم لها .. يناديها صغيرتي .. كان يعطيها اشارات صحيحة انها كاخت صغرى له بينما هي تعاند لتفسر الاشارات (عنوة) انه يهيم بها !! كم كانت مغفلة !

همست نرمين وهي تتنهد تأثرا بشكل مسرحي " زوج اختك الوسيم حضر .. آآآه يا قلبي ..."

ملامح فراس توارت مرة اخرى لتعود لصندوق الذكريات لتغلقه من جديد وتستقبل حاضرها وهي تقف لتتطلع بمحبة لاحمد الذي يوشك على الوصول اليها ... لقد وعدها بالحضور لاخذها وها هو يفي بوعده ..

القى احمد سلاما لنرمين المتسعة العينين من فرط الاعجاب ثم انحنى كعادته ليقبل اعلى رأس رهف

قائلا بابتسامة " مرحبا يا جميلة .." ابتسمت رهف له وهي تقول بمرح " مرحبا يا وسيم .. متى عدتم ؟ " رد احمد ببشاشة " ليلة الامس ... كانت رحلة رائعة في الريف يفترض ان تأتي معنا مستقبلا .. الاطفال جن جنونهم مع الحيوانات .." هزّت كتفيها وهي تقول " كنت اتمنى ذلك لكن لاوقت لديّ فدراستي مكثفة جدا هذه السنة .." اسبل احمد اهدابه وهو يقول بغموض " هل .. ما زال فراس يعطيكِ المحاضرات ؟"

قالت رهف وهي تدرس ملامحه " اجل .. سمعت انه قد يتعين رسميا وليس مجرد محاضر خارجي .." غمغم احمد " حسنا .. يبدو انه سيستقر هنا اخيراً ولن يعاود السفر .."

ادركت رهف ان الغيرة داء فعلا لاعلاج له .. تنهدت وهي تضع ذراعها في ذراع زوج اختها وقالت ببشاشة " كفانا كلاما عن فراس ودعنا نذهب .. اشتقت للاطفال جدا .."

ابتسم احمد في وجهها وتحرك معها بعد ان القيا تحية على نرمين التي اخذت تلوح لهما كهبلاء ولسان حالها يقول " ارزقني بشاب مثله يا رب .."

يراقبهما يتضاحكان عبر شباك غرفته الخاصة المطلة على الساحة الرئيسية للجامعة وهو يقول " كم انت محظوظ يا احمد .. تحظى بقربها هكذا وتشاركها ضحكات من القلب ... " ثم تنهد ليقول بحسرة " رفقاً بقلبي يا فتاة الشباك !"

تمت ... رفقاً بقلبي ....

اتمنى ان يمكنني الله من كتابة ....

جزأها الثاني ..